جوامع الجامع

العتبة العباسية المقدسة

جوامع الجامع

تأليف

أمين الإسلام أبي علي
الفضل بن الحسن الطبرسي
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جواد السيد كاظم الحكيم

الجزء الخامس

سورة الفاتحة - سورة النساء

راجعه واعتنى بنشره

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
WWW.MK.IQ
E.mail: media@mk.iq
الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الإسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ. = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.
١. القرآن--تفاسير الشيعة--القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.
BP130.4 .T33 2017
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع
تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم
راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية
الطبعة: الأولى
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع
سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص

مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي، ست بصري، عدّ الكوفي ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ و﴿غَوَّاصٍ﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة ص) أُعطي من الأجر بوزن كل جبل سخّره الله لداود عشر حسنات))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في ليلة الجمعة أُعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبيّ مرسل أو ملك مقرّب، وأدخله الله الجنّة، وكل من أحبّ من أهل بيته))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ١٧٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

﴿بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾

إن جعلت ﴿صٓ﴾ حرفاً من حروف المعجم ذكر على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، فقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه، فكأنّه قال: والقرآن ذي الذكر إنّه لكلام معجز.

وإن جعلت ﴿صٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة، فكأنّه قال: هذه ﴿صٓ﴾ أي السورة التي أعجزت الفصحاء والقرآن ذي الذكر، كما تقول: هذا حاتم والله، تريد: هذا هو المشهور بالجود والله.

وإن جعلتها قسماً فكمثله، كأنّه قال: أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنّه لمعجز.

وإن جعلتها مقسماً به وعطفت عليها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ [ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ جاز أن تريد بالقرآن القرآن كله، وأن تريد السورة بعينها](١) فيكون معناه: أقسم بالسورة الشريفة وبالقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنفس الشريفة، ولا تريد بالنفس غير الرجل.

والذكر: الشرف، أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه من الشرائع وغيرها من التوحيد وذكر الأنبياء وأخبار الأمم وأحوال القيامة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [من أهل مكة](٢) ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ أي: في تكبّر عن قبول الحقّ ﴿وَشِقَاقٍ﴾ وخلاف وعداوة شديدة.

---

(١) ساقطة من د.

(٢) في ب: منهم.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيد لذوي العزّة والشقاق.

﴿فَنَادَوْا﴾ فدعوا واستغاثوا عند وقوع الهلاك بهم.

﴿وَلَاتَ﴾ هي لا المشبهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على ربّ وثمّ للتأكيد، وتغيّر بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان، ولم يبرز إلا اسمها أو خبرها وامتنع بروزهما جميعاً، فتقديره: ولات الحين ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: وليس الحين حين مناص، ولو رفع لكان تقديره: ولات حين مناص حاصلاً لهم، والمناص: الملجأ.

﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ ولم يقل: وقالوا، إظهاراً للغضب عليهم، ودلالة على أنّ هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافر المتمادي[1] في الكفر ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ومعنى الجعل: التصيير في القول على سبيل الدعوى، كأنّهم قالوا: أجعل الجماعة واحداً في قوله وزعمه.

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ﴾ بليغ في العجب.

و﴿الْمَلَأُ﴾: أشراف قريش، يريد: وانطلقوا عن مجلس أبي طالب لما أتوه وهم خمسة وعشرون رجلاً فيهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم، وأبو جهل، وأُبيّ بن خلف، وأخوه أمية، وعتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، فقالوا: أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فإنّه سفّه أحلامنا وشتم آلهتنا، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك فيقولون: دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك، فقال: ((أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟[فقال أبو جهل][2]: لله أبوك نعطيك ذلك وعشر أمثالها، فقال: ((قولوا: لا إله إلا الله فقاموا قائلين بعضهم لبعض:

---

(١) في ب: المتوغل.

(٢) في ب: فقالوا

﴿ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ﴾ فلا حيلة لكم في أمر محمّد. وروي: أنّه عليه السلام استعبر ثمّ قال: ((يا عم، والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه))، فقال له أبو طالب: امض لأمرك، فوالله لا أخذلك أبداً[1].

و﴿أَنِ﴾ هي المفسّرة بمعنى: أي، لأنّ انطلاقهم من مجلس التقاول يتضمّن معنى القول.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿لَشَيۡءٌ يُرَادُ﴾ أي: يريده الله تعالى وما أراد الله كونه فلا مردّ له، ولا ينفع فيه إلا الصبر، وقيل: معناه: أنّ هذا الأمر الذي نراه من زيادة أصحاب محمّد لشيء من نوائب الدهر يراد بنا ولا انفكاك لنا منه[2].

ومعنى ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾: اصبروا على عبادتها والتمسّك بها حتى لا تزالوا عنها.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ في ملة عيسى التي هي آخر الملل، لأنّ النصارى يقولون: ثالث ثلاثة ولا يوحّدون، أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا، أو ما سمعنا بهذا كائناً في الملة الآخرة، على أن يكون ﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حالاً من ﴿هَٰذَآ﴾ فلا يتعلّق بـ﴿مَا سَمِعۡنَا﴾ كما في الوجهين، والمعنى: إنّا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنّه يحدث التوحيد في الملة الآخرة.

ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

ثمّ أنكروا أن يختص عليه السلام بشرف النبوّة من بين رؤسائهم، وينزّل عليه الكتاب دونهم.

---

(١) دلائل النبوّة ج٢: ١٨٧، تفسير القمي ج٢: ٢٢٨.

(٢) معالم التنزيل ج٤: ٣.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن﴾ القرآن المنزل، ووصفهم له بالاختلاق مخالف لاعتقادهم فيه، وإنّما يقولونه على سبيل الحسد.

﴿بَل﴾ لم ﴿يَذُوقُوا﴾ عذابي بعد، فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا
هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ
الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا
يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل
لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

أي: ليس ﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ﴾ الرحمة، وما بأيديهم مفاتيح النبوّة فيضعوها حيث شاؤوا واختاروا لها من شاؤوا.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى يتكلّموا في التدابير الربّانية والأمور الإلهية التي يختص بها ربّ العزّة. ثمّ تهكّم بهم سبحانه فقال: فإن كان إليهم تدبير الخلائق وعندهم الحكمة التي بها يعرفون من هو أحقّ بالنبوّة ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ فليصعدوا في معارج السماء وطرقها التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي إلى من يختارونه.

ثمّ أخبر عن حالهم ومآلهم فقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾ يريد: ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على الله ﴿مَهْزُومٌ﴾ مكسور عما قريب فلا تبال بهم، و﴿مَّا﴾ مزيدة، وفيها معنى الاستعظام، كما في قول امرئ القيس:

وَحَدِيثٌ مَا عَلَى قِصَرِهْ[١]

إلا أنّه على سبيل الهزء، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم، كما يقول لمن ينتدب لأمر ليس من أهله: لست هنالك، وقيل: إشارة إلى مصارعهم، وجاء تأويله يوم بدر[٢].

﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ مستعار لثبات ملكه، كما قال الأسود:

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ[٣]

وقيل: كان يعذّب الناس بالأوتاد[٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ وقصد بهذه الإشارة الإعلام بأنّ الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم، وأنّهم الذين وجد منهم التكذيب، وذكر تكذيبهم أوّلاً على وجه الإبهام في الجملة الخبرية، ثمّ أوضح ذلك في الجملة الاستثنائية، بأنّ كل واحد من الأحزاب ﴿كَذَّبَ﴾ جميع ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ لأنّهم إذا كذّبوا واحداً منهم فقد كذّبوا جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي: فوجب لذلك أن أعاقبهم حقّ عقابهم.

﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ ما لتلك الصيحة ﴿مِن فَوَاقٍ﴾. قرئ بفتح الفاء وضمها، أي: ما لها من توقف مقدار فواق، وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا المقدار من الوقت، وعن ابن عباس: (ما لها من رجوع وترداد)[٥]، من

---

(١) ديوان امرئ القيس: ١٢٧، وصدره: وحديث الركب يوم هنا.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٣: ٨٣.

(٣) البيت للأسود بن يعفر الايادي. أمالي المرتضى ج١: ٢٦.

(٤) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ٨٣.

(٥) تفسير الطبري ج٢٣: ٨٤.

أفاق المريض: إذا رجع إلى الصحّة، وفواق الناقة: ساعة يرجع الدر إلى ضرعها، يريد: أنّها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد.

﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: نصيبنا من العذاب الذي وعدته، أو عجّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها. والقط: القسط من الشيء، لأنّه قطعة منه، من قطّه: إذا قطعه، ولذلك قيل لصحيفة الجائزة: قط؛ لأنّها قطعة من القرطاس.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوة على العبادة، المضطلع بأعباء النبوّة، وقيل: ذا القوة على الأعداء[1]، لأنّه رمى بحجر من مقلاعه صدر الرجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله، يقال: فلان أيد وذو أيد وذو آد، وأياد كل شيء: ما يتقوى به.

---

(١) تفسير الماوردي ج٥: ٨٢.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجّاع عن كل ما يكره الله إلى ما يحبّ، وقيل: مسبّح مطيع[١].

﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ حال، واختير على مسبّحات ـ وإن كان في معناه ـ ليدلّ على حدوث التسبيح من الجبال حالاً بعد حال. وكان داود إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبّحت، فذلك حشرها كل واحد من الجبال والطير.

﴿لَّهُۥٓ﴾ لأجل داود، أي: لأجل تسبيحه؛ لأنّها كانت تسبّح بتسبيحه. وضع الأواب موضع المسبّح، إما لأنّها كانت ترجع التسبيح، والمرجّع: رجّاع لأنّه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع، وإما لأنّ الأواب وهو التواب يكثر الرجوع إلى مرضاة الله ويديم تسبيحه وذكره، وقيل: الضمير في ﴿لَّهُۥٓ﴾ لله، أي: كل من داود والجبال والطير لله مسبّح يرجّع التسبيح[٢].

﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ قوّيناه.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: وهي الزبور وعلم الشرائع، وقيل: كل كلام وافق الحقّ فهو حكمة.

﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ فصل بمعنى: مفصول كضرب الأمير، وهو الكلام البيّن الملخص الذي تبيّنه من يخاطب به ولا يلتبس عليه، أو بمعنى: فاصل كصوم وزور، أي: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الحقّ والباطل، والصحيح والفاسد، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك. وعن عليّ عليه السلام: ((هو قوله: البيّنة على المدعي واليمين على المدعى عليه))[٣]، وهو من الفصل بين الحقّ

---

(١) عن السدي. تفسير الطبري ج٢٣: ٨٦.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج٢٣: ٨٧.

(٣) الكشف والبيان ج٨: ١٨٤.

والباطل، ويدخل فيه قول بعضهم: هو قوله: أما بعد[١].

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ ظاهره الاستفهام، ومعناه: الدلالة على أنّه من الأنباء العجيبة التي حقّها أن لا تخفى. والخصم: الخصماء، وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف، لأنّه مصدر في الأصل، أي: فريقان خصمان، ومثله قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾[٢].

وانتصب ﴿إِذۡ﴾ بمحذوف تقديره: وهل آتاك نبأ تحاكم الخصم حين ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ أي: تصعّدوا سوره ونزلوا إليه. والسور: الحائط المرتفع، ونظيره: تسنّمه إذا علا سنامه، وتفرّعه إذا علا فرعه.

﴿إِذۡ دَخَلُواْ﴾ بدل من ﴿إِذۡ﴾ الأولى، ﴿خَصۡمَانِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: نحن خصمان.

﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي: ولا تجر، قال:

ألَا يَا لِقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي[٣]

﴿أَخِي﴾ بدل من ﴿هَٰذَآ﴾ أو خبر لـ﴿إِنَّ﴾، والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والألفة والخلطة.

﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ ملّكنيها، وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي.

﴿وَعَزَّنِي﴾ أي: غلبني في مخاطبة الحجاج والجدال، أو أراد: خطبت المرأة وخطبها هو، فخاطبني خطاباً أي: غالبني في الخطبة فغلبني حيث تزوّجها دوني،

---

(١) عن الشعبي. معاني القرآن للنحاس ج٦: ٩٣.

(٢) الحج: ١٩.

(٣) شعر الأحوص بن محمّد الأنصاري: ١٧٢، وبقيته: ويزعمن أن أودى بحقي باطلي.

وعلى هذا فيكون النعجة مستعارة من المرأة، كما استعير لها الشاة في نحو قوله:

يَا شَاةُ مَا قَنْصٌ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ   حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ[١]

﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ جواب قسم محذوف، وسؤال مصدر مضاف إلى المفعول، كقوله: ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[٢]، وقد ضمّن معنى الإضافة فعدّي تعديتها، كأنّه قال: بإضافة نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب.

و﴿مَّا﴾ في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ للإبهام، وفيه تعجّب من قلتهم.

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ لما كان غلبة الظن كالعلم استعيرت له، أي: وعلم داود وأيقن ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي: اختبرناه وابتليناه لا محالة بامرأة أوريا. قيل: إنّ أهل زمان داود كانوا قد اعتادوا أن ينزل بعضهم لبعض عن امرأته إذا أعجبته، فاتفق أنّ عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له: أوريا فأعجبته، فسأله النزول له عنها، فاستحيا أن يرده ففعل، فتزوجها، فقيل له: إنّك على ارتفاع منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها[٣]. وقيل: خطبها أوريا ثمّ خطبها داود فآثره أهلها[٤]. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه قال: ((لا أوتى برجل يزعم أنّ داود تزوّج امرأة أوريا إلا جلدته حدّين: حدّاً للنبوّة وحدّاً للإسلام))[٥].

---

(١) شرح ديوان عنترة: ١٧٨.

(٢) فصلت: ٤٩.

(٣) الكشاف ج٤: ٨٠.

(٤) الكشف والبيان ج٨: ١٩٠.

(٥) التبيان ج٨: ٥٠٧، الكشف والبيان ج ٨: ١٩٠.

وروي: أنّ التحاكم كان بين ملكين[١]، وقيل: كانا من الإنس، وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما: إما كانا خليطين في الغنم، وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من السراري والمهائر، والثاني معسراً ما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها[٢].

وإنّما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين، وإنّما عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبّت، وكان من حقّه حين سمع الدعوى من أحدهما أن يسأل الآخر عما عنده فيها. وعن مجاهد: (مكث ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة، أو لحاجة لابد منها)[٣]. وقد يعبّر عن السجود بالركوع.

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

أي: ﴿جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ ممن كان قبلك من الأنبياء، أو استخلفناك على الملك في الأرض.

﴿بِمَا نَسُوا۟﴾ أي: بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، أو لهم عذاب يوم القيامة بسبب

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١: ١٥٤، عن ابن عباس وغيره. الكشف والبيان ج٨: ١٩١.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. معاني القرآن للنحاس ج٦: ١٠٠.

(٣) تفسير الماوردي ج٥: ٨٩.

نسيانهم، وهو ضلالهم عن سبيل الله.

﴿بَٰطِلًا﴾ أي: خلقاً باطلاً لا لغرض صحيح وحكمة بالغة، أو مبطلين عابثين ذوي باطل، أو وضع ﴿بَٰطِلًا﴾ موضع عبثاً، كما وضع هنيئاً موضع المصدر وهو صفة، أي: وما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحقّ المبين، وهو أنّا خلقنا نفوساً أودعناها العقل والتمييز، وعرّضناها للمنافع العظيمة بالتكليف، وأعددنا لها الجزاء على حسب أعمالها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى خلقها باطلاً.

والظن بمعنى المظنون، أي: خلقها للعبث لا للحكمة، والغرض الصحيح مظنون ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ولما كان إنكارهم للبعث مؤدياً إلى أنّ خلقها عبث جعلوا كأنّهم يظنون ذلك، لأنّ الجزاء هو الذي ساق إليه الحكمة في خلق العالم، فمن أنكره فقد أنكر الحكمة، ومن أنكر الحكمة في خلق العالم فقد أظهر أنّه لا يقدره حقّ قدره.

﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الاستفهام فيها الإنكار، والمعنى: إنّه لو بطل الجزاء لاستوت عند الله حال الصالح والطالح، والمحسن والمسيء، ومن سوّى بينهم لم يكن حكيماً.

وقرئ: لتدبروا على الخطاب. وتدبّر الآيات: التفكر فيها والاتعاظ بمواعظها، والمبارك: الكثير النفع والخير.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ
عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ
عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا

بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ
جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ
مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً
حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ
لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

أي: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ هو والمخصوص بالمدح محذوف، وعلل كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجّاعاً إلى الله عزّ اسمه في أموره، أو مؤوباً مرجعّاً لتسبيحه وتقديسه لأنّ كل مؤوب أواب.

و﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخيل القائمة على ثلاث قوائم، الواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض.

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ السريعة المشي، الواسعة الخطو، جمع سبحانه بين وصفيها الممدوحين واقفة وجارية.

وضمّن ﴿أَحْبَبْتُ﴾ معنى فعل متعدّ بـ(عن)، فكأنّه قال: أنبت حبّ الخير عن ذكر ربّي أو جعلت حبّ الخير مغنياً عن ذكر ربّي، والخير: المال كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1] وقوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾[2]. والمال هنا: الخيل التي شغلته، وسمّى الخيل خيراً كأنّها نفس الخير لتعلّق الخير بها، كقوله عليه السلام: ((الخيل

(١) العاديات: ٨.

(٢) البقرة: ١٨٠.

معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة))[1]. وقال عليه السلام في زيد الخيل[2] حين وفد عليه وأسلم: ((أنت زيد الخير))[3].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس أي: غربت، وهو مجاز عن تواري الملك بحجابه، ويدلّ عليه مرور ذكر العشي، ولا بد للمضمر من جري ذكر أو دليل ذكر، وقيل: الضمير لـ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ أي: حتى توارت بحجاب الليل يعني: الظلام[4].

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ أي: فجعل يمسح مسحاً، أي: يمسح بالسيف سوقها وأعناقها يعني: يقطعها، يقال: مسح علاوته: إذا ضرب عنقه، ومسح المسفر الكتاب إذا قطع أطرافه بسيفه، وقيل: مسحها بيده استحساناً لها وإعجاباً بها ثمّ جعلها مسبلة في سبيل الله[5]. والسوق: جمع الساق، كأُسد في جمع الأسد.

واتصل قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ بمحذوف تقديره: قال: ردّوها عليّ، فأضمر ما هو جواب له، كأنّ قائلاً قال: فماذا قال سليمان؟ لأنّه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهراً، وهو اشتغال نبيّ الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها. وقيل: إنّما ذبحها تقرّباً إلى الله تعالى ليتصدّق بلحومها، وقيل: معناه: أنّه سأل الله تعالى أن يردّ الشمس عليه فردّها عليه حتى صلى العصر. والهاء في ﴿رُدُّوهَا﴾ للشمس[6].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢: ١٨٥، صحيح مسلم ج٦: ٣٢.

(٢) زيد بن مهلهل بن زيد الطائي، قدم على النبي صلى الله عليه وآله في وفد طيء سنة ٩ هـ، وكان شاعراً محسناً خطيباً لسناً شجاعاً، قيل: إنه مات منصرفه من عند النبي صلى الله عليه وآله. ينظر: الاستيعاب ج١: ٥٦٣.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج١٠: ٢٠٢.

(٤) تفسير الماوردي ج٥: ٩٣.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الكشف والبيان ج٨: ٢٠١.

(٦) عن عليّ عليه السلام. الكشف والبيان ج٨: ٢٠٠.

﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ اختبرناه وشددنا المحنة عليه، واختلف في الجسد الذي ألقي على كرسيه، فقيل: إنّه قال ذات يوم: لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاماً، يضرب بالسيف في سبيل الله، ولم يقل إنّ شاء الله، فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة وجاءت بشق ولد، فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه[1]. وروي أنّ النبيّ ﷺ قال: ((والذي نفس محمّد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً))[2].

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ إلى الله وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه، وقيل: إنّه ولد له ابن فاسترضعه في المزن ـ وهو السحاب ـ إشفاقاً عليه من كيد الشيطان، فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسيه ميتاً، تنبيهاً له على أنّ الحذر لا ينفع من القدر[3].

قدّم الاستغفار على استيهاب الملك جرياً على عادة الأنبياء في تقديم أمر الدين على أمور الدنيا.

﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي﴾ أي: لا يتكون ولا يتسهل، ومعنى ﴿مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾: دوني. طلب من ربّه سبحانه ملكاً زائداً على الممالك، زيادة تبلغ حد الإعجاز، ليكون دليلاً على صحّة نبوته، فذلك معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾، وقيل: كان ملكاً عظيماً فخاف أن يعطى غيره مثله فلا يحافظ على حدود الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[4].

---

(١) عن النقاش. تفسير الماوردي ج٥: ٩٦.

(٢) صحيح البخاري ج٢: ١٤١.

(٣) عن الشعبي. تفسير الماوردي ج٥: ٩٦.

(٤) البقرة: ٣٠.

﴿رُخَآءً﴾ أي: لينة طيبة لا تزعزع، وقيل: مطيعة له[١].

﴿تَجۡرِي﴾ إلى حيث يشاء، وقوله: ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ معناه: حيث قصد وأراد.

و﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ بَنَّآءٖ﴾ بدل من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ﴾ داخل في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل. كانوا يبنون له ما يشاء من الأبنية الرفيعة، ويغوصون له في البحر على اللآلئ والجواهر، فيستخرجون ما شاء منها، وهو أوّل من استخرج الدر من البحر، وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والأغلال، ويجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة يؤدبهم إذا تمردوا. والصفد: القيد، وسمّي به العطاء لأنّه ارتباط للمنعم عليه، وفرّقوا بين الفعلين فقالوا: صفده: قيّده، وأصفده: أعطاه.

﴿هَٰذَا﴾ الذي أعطيناك من الملك والبسط ﴿عَطَآؤُنَا... بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي: جماً كثيراً لا يقدر على حسبه وحصره، أو لا يحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع.

﴿فَٱمۡنُنۡ﴾ [فأعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ مفوّضاً إليك التصرّف فيه، أو فامنن][٢] على من شئت من الشياطين بالإطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ لا حساب عليك في ذلك.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا﴾ النعمة الباقية في الآخرة، وهي الزلفة والقربى وحسن مآب.

وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ
﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ١٠٣.

(٢) ساقطة من ج.

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان، و﴿إِذْ﴾ بدل الاشتمال منه.

﴿أَنِّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَسَّنِيَ﴾ حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يحك لقال: بأنّه مسه، وقرئ: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم النون، وبفتح النون والصاد، وضمهما، والنُصب والنَصَب: التعب والمشقة، كالرُشد والرَشَد، والنصب: تثقيل نصب، والعذاب الأليم يريد مرضه وما كان يقاسيه فيه من أنواع الوصب. وقيل: النُصب: الضرّ في البدن، والعذاب: في ذهاب الأهل والمال(١). وإنّما نسبه إلى الشيطان لما كان يوسوس به إليه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الجزع، فالتجأ إلى الله سبحانه في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ على تقدير القول، أي: [قلنا له](٢): ادفع برجلك الأرض هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك، وقيل: إنّه نبعت عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله(٣).

﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مفعول لهما، والمعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب، لأنّهم إذا سمعوا بذلك رغبوا في الصبر على البلاء.

﴿وَخُذْ﴾ معطوف على ﴿ارْكُضْ﴾، ﴿ضِغْثًا﴾ هو ملء الكف من الشماريخ(٤)،

---

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ١٠٦.

(٢) ساقطة من ب، د.

(٣) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ١٠٧.

(٤) الشمراخ: العثكال الذي عليه البسر. (لسان العرب: مادة شمرخ)

وذلك أنّه حلف على امرأته لقول أنكره منها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة، فاضربها دفعة واحدة.

﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ في يمينك.

﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ﴾ علمناه ﴿صَابِرٗا﴾ على البلاء الذي ابتليناه به.

وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ
أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ
ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ
﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ
لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ
﴿٥١﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ عطف بيان لـ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ ومن قرأ عبدنا جعل ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وحده عطف بيان، وعطف ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ على عبدنا.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أولي الأعمال الدينية والفكر العلمية، كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزمنى[1]، الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم، و﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ جمع البصر وهو العقل.

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ جعلناهم لنا خالصين ﴿بِخَالِصَةٖ﴾ بخصلة خالصة لا شوب فيها، ثمّ فسّرها بـ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء، وأنّ الكدورة منتفية عنها. وقرئ: بخالصة ذكرى على الإضافة. والمعنى: بما خلص من

(١) الزمنى ـ جمع الزمِن ـ: المبتلى. (الصحاح: مادة زمن)

ذكرى الدار، على أنّهم لا يشوبون ذكرى الدار بهمّ آخر، إنّما همّهم ذكرى الدار لا غير.

ومعنى ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: ذكراهم الآخرة دائماً ونسيانهم إليها ذكر الدنيا، أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء، وقيل: ذكرى الدار: الثناء الجميل في الدنيا، ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم. والمعنى: أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنّهم من أهلها، أو أخلصناهم بتوفيقهم لها.

﴿لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾ أي: المختارين من بين أبناء جنسهم.

﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ جمع خيّر أو خير على التخفيف، كأموات في جمع ميّت أو ميت.

﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ كأنّ حرف التعريف دخل على يسع، وقرئ: واللّيسع كأنّ حرف التعريف دخل على ليسع، فيعل من اللسع. والتنوين في ﴿وَكُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم من الأخيار.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ أي: نوع من الذكر وهو القرآن، ولما أجرى ذكر الأنبياء وأتمّه قال: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٌ﴾ كما يقال: هذا باب، ثمّ ذكر عقيبه الجنّة وأهلها فقال: ﴿وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: حسن منقلب ومرجع.

ولما أتم ذكر الجنّة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال: ﴿**هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ**﴾، وقيل: معناه: هذا ذكر جميل وشرف يذكرون به أبداً[1]. وعن ابن عباس: (هذا ذكر من مضى من الأنبياء)[2].

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ معرفة كقوله: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ**﴾[3]،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٣٧.

(٢) الكشاف ج٤: ١٠٠.

(٣) مريم: ٦١.

وهي عطف بيان لـ(حسن مآب)، و﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال، والعامل فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ من معنى الفعل، وفي ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ضمير الجنات، و﴿الْأَبْوَٰبُ﴾ بدل من الضمير تقديره: مفتحة هي الأبواب كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال.

﴿أَتْرَابٌ﴾ جمع ترب، كأنّهن سمّين أتراباً لأنّ التراب مسّهن في وقت واحد، وإنّما جعلن على سن واحدة لأنّ التحاب بين الأقران أثبت، وقيل: هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهم[١].

وقرئ: ﴿تُوعَدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ لأجل يوم الحساب، كما يقال: هذا ما تدّخرونه ليوم تجزى كل نفس بما كسبت.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرنا ﴿لَرِزْقُنَا﴾ أي: عطاؤنا الجاري المتصل.

﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: فناء وانقطاع.

هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ
﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ
﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا
لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ
عَنْهُمُ الْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠
مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾

---

(١) تفسير الماوردي ج٥: ١٠٦.

أي: الأمر هذا، أو هذا كما ذكر وإنّ للذين طغوا على الله ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان له.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ شبّه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم.

﴿هَٰذَا﴾ حميم ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾، أو العذاب هذا فليذوقوه، ثمّ ابتدأ فقال: هو ﴿حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾، أو ليذوقوا هذا ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1].

وقرئ: ﴿وَغَسَّاقٞ﴾ بالتشديد والتخفيف حيث كان، وهو ما يغسق من صديد أهل النار أي: يسيل، يقال: غسقت العين إذا سالت دموعها، ويقال: الحميم يحرق بحرّه والغساق يحرق ببرده[2].

﴿وَءَاخَرُ﴾ أي: ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق، أي: مثله في الفظاعة والشدّة.

﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أي: أجناس، وقرئ: ﴿وَءَاخَرُ﴾ أي: وعذاب آخر أو مذوق آخر. و﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ صفة لـ(آخر) لأنّه يجوز أن يكون ضروباً أو صفة للثلاثة وهي: ﴿حَمِيمٞ﴾، ﴿وَغَسَّاقٞ﴾، ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾.

﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾ هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، أي: دخل النار في صحبتكم، وهو حكاية كلام الطاغين بعضهم لبعض أي: يقولون هذا، والمراد بالفوج: أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة، فيقتحمون معهم النار.

﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡ﴾ دعاء منهم على أتباعهم، أي: لا نالوا رحباً وسعة ﴿إِنَّهُمۡ﴾ لازموا ﴿ٱلنَّارِ﴾، فيقول الأتباع: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ﴾ لا اتسعت لكم أماكنكم، أنتم حملتمونا

---

(١) البقرة: ٤٠.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٤١٠.

على ما أوجب لنا النار.

والضمير في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب، تقول لمن تدعو له: مرحباً، أي: أتيت رحباً من البلاد لا ضيقاً، أو رحبت بلادك رحباً، ثمّ تدخل عليه (لا) في دعاء السوء، و﴿بِهِمْ﴾ بيان للمدعو عليهم.

قال الأتباع أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً، ومعناه: ذا ضعف، وهو أن يزيد على عذابه ضعفه أي: مثله فيصير ضعفين كقوله: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[١].

﴿لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ يعنون فقراء المؤمنين الذين لا يؤبه بهم.

﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ الذين لا خير فيهم، ولأنّهم كانوا على خلاف دينهم فعدوهم أشراراً. وعن الصادق[٢] عليه السلام: ((يعنونكم، لا يرون والله واحداً منكم في النار))[٣].

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرئ بلفظ الإخبار على أنّه صفة لـ﴿رِجَالًا﴾، وبهمزة الاستفهام على أنّه إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم.

وقوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يتصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾ أي: ما لنا لا نراهم في النار كأنّهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها.

والثاني: أن يتصل بـ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ ويكون ﴿أَمْ﴾ متصلة بمعنى: أي الفعلين فعلنا بهم: الاستسخار منهم أم تحقيرهم وازدراءهم، وأنّ أبصارنا كانت تحتقرهم على معنى: إنكار الأمرين على أنفسهم، أو منقطعة بعد مضي ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ

---

(١) الأحزاب: ٦٨.

(٢) في ج، د: الباقر.

(٣) الكافي ٨: ٣٦ ضمن حديث بالمعنى.

﴿سِخۡرِيًّا﴾ على الخبر أو على الاستفهام، كما تقول: إنّها لإبل أم شاة، وأزيد عندك أم عندك عمرو؟. ويجوز أيضاً تقدير همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير الهمزة؛ لأنّ ﴿أَمۡ﴾ تدلّ عليها، فلا تفترق القراءتان في المعنى.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ لابد أن يتكلّموا به، ثمّ بيّن بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾ شبّه ما يجري بينهم من التقاول بما يجري بين المتخاصمين فسمّاه تخاصماً.

قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾

أي: هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولاً، وأنّ الله واحد، وأمر القيامة نبأ

عظيم لا يعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة، وقيل: النبأ العظيم هو القرآن[١].

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ بكلام ﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ وقت اختصامهم.

و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

و﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ هم أصحاب القصّة المذكورة بعد: من الملائكة وآدم وإبليس، لأنّهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم.

قرئ: (إنّما) بالكسر على الحكاية، أي: ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ﴾ هذا القول، وهو أن أقول لكم: ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وقرئ: ﴿أَنَّمَآ﴾ بالفتح أي: لأنّما، ومعناه: ما يوحى إليّ إلا للإنذار، فحذف اللام فوصل الفعل، ويجوز أن يكون مرفوع الموضع، أي: ما يوحى إليّ إلا هذا القول، وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك.

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [لما توليت خلقه بنفسي من غير واسطة، وذلك أنّ الإنسان لما كان يباشر أكثر أعماله بيده][٢] غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي بغيرهما حتى قالوا في عمل القلب: هذا مما عملت يداك، وقالوا لمن لا يدين له: (يداك أوكتا وفوك نفخ)[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[٤]،﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. وقيل: إنّ العرب تطلق لفظة اليدين للقدرة والقوة[٥]، كما قال الشاعر:

تَحَمَّلْتُ مِنْ دَلْفَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ[٦]

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٣: ١١٧.

(٢) ساقطة من د.

(٣) مجمع الأمثال ج٣: ٥١٩.

(٤) يس: ٧١.

(٥) تفسير الماوردي ج٥: ١١١.

(٦) ديوان عروة بن حزام: ٧٠، وفيه: من عفراء.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أرفعت نفسك فوق قدرها، أم كنت من الذين علت أقدارهم عن السجود؟!.

﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنّة، وقيل: من السموات، وقيل: من الخلقة التي افتخرت بها فاسودّ وأظلم بعد أن كان أبيض نورانياً[١].

وقرئ: ﴿فَالْحَقُّ﴾ بالرفع والنصب، فالرفع على أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: فأنا الحقّ، أو مبتدأ محذوف الخبر أي: فالحقّ قسمي؛ والنصب على أنّه مقسم به والتقدير: الحقّ لأملأن، نحو: الله لأفعلن.

﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه، والمراد بالحقّ: إما اسمه جلّ وعزّ الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٢]، أو الحقّ الذي هو نقيض الباطل عظمه الله سبحانه بإقسامه به.

﴿مِنكَ﴾ أي: من جنسك وهم الشياطين.

﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من ذرية آدم، والمعنى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من المتبوعين والتابعين ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تعطونيه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذي يتصنعون وينتحلون بما ليسوا من أهله. وعن النبيّ ﷺ: ((للمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم))[٣].

وما ﴿هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ للخلق أجمعين.

---

(١) عن أبي العالية وغيره. معالم التنزيل ج٤: ١٤.

(٢) النور: ٢٥.

(٣) الخصال: ١١٧، الكشف والبيان ج٨: ٢١٨.

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ خبر صدقه وحقيقة حقّه ﴿بَعۡدَ﴾ الموت، أو بعد ظهور أمر الدين وفشو الإسلام.

سورة الزمر

مكية سوى آيات، وهي خمس وسبعون آية كوفي، اثنتان بصري. ﴿**فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ غير الكوفي، ﴿**مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ الثاني، و﴿**مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾، و﴿**مِنْ هَادٍ**﴾ الثاني، و﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ أربعتهن كوفي.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الزمر) لم يقطع الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين))[1]، وعن الصادقعليه السلام: ((من قرأ (سورة الزمر) أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة، وأعزّه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه، وحرّم جسده على النار.. تمام الخبر))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ

(١) الكشف والبيان ج٨: ٢٢٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾

﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ أخبر عنه بالظرف، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا تنزيل الكتاب، والجار صلة ﴿تَنزِيلُ﴾ كما تقول: نزّل من عند الله، أو غير صلة فيكون خبراً بعد خبر، أو حالاً من ﴿تَنزِيلُ﴾ عمل فيها معنى الإشارة.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السرّ.

﴿ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ ما لا يشوبه الرياء والسمعة، وعن قتادة: (هو شهادة أن لا إله إلا الله)[1]، وقيل: هو الاعتقاد الواجب من التوحيد والعدل والنبوّة، والعمل بموجب الشرائع، والبراءة من كل دين سواها.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ قائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي: ليشفعوا لنا إليه.

و﴿زُلْفَىٰٓ﴾ اسم أقيم مقام المصدر، وخبر (الذين) قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾.

والمراد بمنع الهداية: منع اللطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وأنّهم في علم الله من الهالكين، ولم يرد به الهداية إلى الإيمان كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ

(١) تفسير الطبري ج٢٣: ١٢٢.

﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[١].

وكذّبهم في قولهم: إنّ الملائكة بنات الله، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصحّ ولم يتأت ذلك لكونه محالاً، إلا أن يصطفي من خلقه بعضهم ويقرّبهم، كما يختص الرجل ولده ويقرّبهم، ثمّ نزّه نفسه عن اتخاذ الولد بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي: تنزيهاً له عن ذلك.

ثمّ دلّ بخلق السماوات والأرض، وتكوير كل واحد من الملوين[٢] على الآخر، وتسخير النيرين وجريهما ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وبث الناس على كثرتهم من نفس واحدة وخلق الأنعام؛ على أنّه واحد لا ثاني له في القدم، قهّار لا يغالب.

والتكوير: اللف واللي، يقال: كار العمامة على رأسه وكوّرها، والمعنى: يغشي الليل النهار، يذهب هذا ويغشي مكانه هذا، فكأنّه لفّه عليه كما يلفّ اللباس على اللابس، وقيل: معناه: إنّ كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه، فشبّه بشيء ظاهر لفّ عليه ما غيّبه عن الناظر[٣].

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ
خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ
لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ

(١) فصلت: ١٧.

(٢) الملوان: الليل والنهار. (الصحاح: مادة ملا)

(٣) الكشاف ج٤: ١١٣.

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ
إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ
أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ
وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى
ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

أي: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم، وخلق حواء زوجه من قصيراه[1]، وعطف بـ(ثم) للدلالة على مباينة هذه الآية ـ التي لم تجر العادة بمثلها ـ للآية الأولى التي هي إيجاد الخلق الكثير من نفس واحدة في الفضل والمزية، وقيل: أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، ثمّ خلق بعد ذلك حواء[2].

﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ أي: قضى لكم وقسم، لأنّ قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ كل كائن يكون، وقيل: لأنّ الحيوان لا يعيش إلا بالنبات، والنبات لا ينبت إلا بالماء، وقد أنزل الماء، فكأنّه أنزلها.

﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكراً وأنثى، من الإبل ومن البقر والضأن والمعز.

﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. والظلمات الثلاث: ظلمة البطن والرحم والمشيمة.

---

(١) القصيرى: الضلع التي تلي الشاكلة، وهي الواهنة في أسفل الأضلاع. (الصحاح: مادة قصر).

(٢) ينظر: تفسير الطبري ج٢٣: ١٢٤.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه أفعاله هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾.

﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡ﴾ وعن إيمانكم، وأنتم المحتاجون إليه ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ به؛ رحمة لهم لأنّه سبب هلاكهم ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ يرض الشكر لكم لأنّه سبب فوزكم وفلاحكم، وإنّما كره كفركم ورضي شكركم لأجل نفعكم وصلاحكم، لا لمنفعة راجعة إليه. والهاء في ﴿يَرۡضَهُ﴾ ضمير الشكر الذي دلّ عليه ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾.

﴿مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ راجعاً إليه وحده لا يرجو سواه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أي: أعطاه، وأصله: جعله خائل مال وخال مال، وهو أن يكون متعهداً له حسن القيام به، أو جعله يخول أي: يختال ويفتخر، ومنه المثل: (الغني طويل الذيل مياس)[1].

﴿نَسِيَ﴾ الضرّ الذي ﴿كَانَ يَدۡعُوٓاْ﴾ الله إلى كشفه، وقيل معناه: نسي ربّه الذي كان يتضرّع إليه[2]. و﴿مَا﴾ بمعنى (من)، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾[3].

وقرئ: ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها، يعني: إنّ نتيجة جعله لله أنداداً [ضلاله عن سبيل الله أو][4] إضلاله، والنتيجة قد يكون غرضاً في الفعل وقد يكون غير غرض.

---

(١) جمهرة الأمثال ج٢: ٨٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٤٦.

(٣) الليل: ٣.

(٤) ساقطة من ج.

﴿قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أمر في معنى الخبر، كقوله: ((إذا لم تستح فاصنع ما شئت))[١]، كأنّه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان، فمن حقّك أن لا تؤمر به بعد ذلك، وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه.

وقرئ: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ بالتخفيف والهمزة للاستفهام، وبالتشديد على إدخال أم على من والتقدير: أمن هو قانت كغيره، فـ(من) مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه، وهو جري ذكر الكافر قبله، وقوله بعده: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وقيل: معناه: أهذا أفضل أم من هو قانت؟ أو أمّن هو قانت أفضل أم من هو كافر[٢]؟.

و﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته.

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يسجد تارة للصلاة ويقوم أخرى، يريد صلاة الليل والقنوت في الوتر وهو دعاء المصلي قائماً، وفي الحديث: ((أفضل الصلاة طول القنوت))[٣].

وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الدين، كأنّه جعل من لا يعمل بعلمه غير عالم، أو يريد: لا يستوي القانتون وغيرهم كما لا يستوي العالمون والجاهلون. وعن الصادق عليه السلام: ((نحن الذين يعلمون، وعدوّنا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الألباب))[٤].

---

(١) الخصال: ٢١، مسند أحمد ج٤: ١٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٤٧.

(٣) الخصال: ٤٩٣، صحيح مسلم ج٢: ١٧٥.

(٤) المحاسن ج١: ١٦٩.

قوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتعلّق بـ﴿أَحْسَنُواْ﴾ [لا بـ﴿حَسَنَةٌ﴾][١]، والمعنى: الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة، وهي دخول الجنّة، أي: حسنة لا يحاط بكنهها، وقيل: يتعلّق بـ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: لهم على ذلك حسنة في الدنيا وهي الثناء الحسن والمدح والصحّة والعافية والرزق الواسع[٢].

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ معناه: لا عذر للمفرطين في الإحسان حتى إن اعتلوا بأنّهم لا يتمكّنون منه في أوطانهم قيل لهم: فإنّ أرض الله واسعة، وبلاده كثيرة، فتحولوا إلى بلاد أخرى، واقتدوا بالأنبياء وخيار المؤمنين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾ ثوابهم على طاعتهم وصبرهم على الشدائد ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لكثرته لا يمكن عدّه وحسابه. وعن ابن عباس: (لا يهتدي إليه حساب الحسّاب)[٣]. وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان وتلا هذه الآية))[٤].

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ
ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج٢٣: ١٣٠.

(٣) الكشاف ج٤: ١١٨.

(٤) كتاب التمحيص: ٧، الكشف والبيان ج٨: ٢٢٦ باختلاف يسير.

ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ
يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى
ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

أي: ﴿أُمِرْتُ﴾ بإخلاص الدين لله ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بذلك ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: سابقهم ومقدمهم في الدنيا والآخرة، والمعنى: إنّ الإخلاص له السبقة في الدين، فمن أخلص كان سابقاً.

وكرر في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ لأنّ الأوّل للإخبار بأنّه مأمور بالعبادة والإخلاص، والثاني: للإخبار بأنّه يخصّ الله بعبادته مخلصاً له دينه، ولذلك قدّم المعبود على فعل العبادة وأخّره في الأوّل، فالكلام أوّلاً في الفعل نفسه، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ﴾ الكاملين في الخسران هم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأن قذفوها في الجحيم وخسروا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ الذين أعدّوا لهم في جنّة النعيم، ثمّ ذكر أنّ خسرانهم بلغ الغاية في قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ بأن صدّر الجملة بحرف التنبيه، ووسّط الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرّف الخسران ووصفه بالمبين.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ جمع ظلة وهي السترة العالية أي: أطباق ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ﴾ أطباق وهي ﴿ظُلَلٌ﴾ للآخرين، لأنّ النار أدراك.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وصف من العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ ليتقوا عذابه بامتثال أوامره ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ فقد ألزمتكم الحجّة.

و﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ تطلق على الشيطان والشياطين لكونها مصدراً، والمراد بها هنا الجمع.

﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ بدل من ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وهو بدل الاشتمال، وأراد بعباده: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا لا غيرهم، فوضع الظاهر موضع المضمر، أراد: أنّهم نقاد في الدين، يميزون بين الحسن والأحسن، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها وأقواها.

التقدير: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ﴾ تنقذه تخلصه من ﴿ٱلنَّارِ﴾ فوضع الظاهر موضع المضمر[1]، وقيل: إنّ الوقف على كلمة ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾، [أي: أفهو كمن وجبت له الجنّة، ثمّ ابتدأ: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾. والمراد بكلمة العذاب قوله:][2] ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ... الآية﴾[3]، ومعناه: إنّك لا تقدر على إدخال الإسلام في قلوبهم قسراً.

﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ أي: علالي، بعضها فوق بعض.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، لأنّ قوله: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ في معنى: وعدهم الله ذلك.

ﵟأَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ

---

(١) في ب: الضمير.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) السجدة: ١٣.

حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ
صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن
ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ
كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ
ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن
يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا
كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ
حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ أي: فأدخل ذلك الماء ﴿يَنَٰبِيعَ﴾ ينبع منها الماء ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مثل العيون والأنهار والقنى.

﴿زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ أي: صنوفه من البر والشعير والأرز ونحوها، وقيل: ألوانه من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر[1].

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يجف ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ أي: رفاتاً متفتتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ لتذكيراً ﴿لِأُوْلِي﴾ العقول السليمة في معرفة الصانع المحدث للعالم.

﴿أَفَمَن﴾ عرف الله أنّه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام وقبله كمن لا لطف له، فهو حرج الصدر قاسي القلب، ونور الله لطفه، وهو نظير ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ في حذف الخبر من ذكر الله، أي: من أجل ذكراه، أي: إذا ذكر الله وآياته عندهم اشمأزوا وازدادت قلوبهم قسوة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٥٠.

﴿كِتَٰبًا﴾ بدل من ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أو حال منه.

﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ هو مطلق في مشابهة بعضه بعضاً، فيتناول تشابه معانيه في الصحّة والإحكام ومنفعة الأنام، وتشابه ألفاظه في التناسب والتناصف في التخير والإصابة وتجاوب النظم والتأليف في الإعجاز.

﴿مَّثَانِيَ﴾ جمع مثنى، بمعنى المردد والمكرر لما ثني من قصصه وأحكامه ومواعظه، وقيل: لأنّه يثنى في التلاوة فلا يمل[1]، كما جاء في وصفه: لا يتفه ولا يتشان[2] ولا يخلق على كثرة الرد[3]. وإنّما وصف الواحد بالجمع لأنّ الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير. ويجوز أن يكون المثاني منصوباً على التمييز من ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شمائل، والمعنى: متشابهة مثانيه، والفائدة في التكرير والتثنية أنّ النفوس تنفر عن النصيحة والمواعظ، فما لم يكرر عليها عوداً بعد بدء لم يرسخ فيها.

﴿تَقۡشَعِرُّ﴾ أي: تنقبض ﴿مِنۡهُ﴾ جلودهم تقبضاً شديداً، يقال: اقشعر جلده من الخوف: وقف شعره، ومعناه: أنّهم إذا سمعوا القرآن وآيات الوعيد فيه أصابتهم خشية شديدة، ثمّ إذا ذكروا الله ورحمته وسعة مغفرته لانت جلودهم. وضمّن لان معنى فعل متعد بـ(إلى)، فكأنّه قال: سكنت أو اطمأنت إلى ذكر الله، لينة غير منقبضة، راجية غير خائفة، واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة، لأنّ رحمته سبقت غضبه، فأصل أمره الرحمة والرأفة، فكأنّه قال: إذا ذكروا الله ـ ومبنى أمره على الرحمة والرأفة ـ استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٢٣٠.

(٢) عن ابن مسعود. غريب الحديث ج٤: ٥٧.

(٣) نهج البلاغة: ٢٧٥ بالمعنى.

جلودهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الكتاب وهو ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ يوفق ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء، أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي: أثر هداه وهو لطفه، فسمّاه: هدى لأنّه حاصل بالهدى، يهدي بهذا الأثر من يشاء من عباده، يعني: من صحب أولئك ورآهم خائفين وراجين اقتدى بسيرتهم.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ أي: من لم يؤثر فيه لطف الله لقسوة قلبه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ أي: مؤثر فيه.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ كمن أمن العذاب، فحذف الخبر، يقال: اتقاه بترسه: استقبله فوقى بها نفسه إيّاه. والمعنى: إنّ الإنسان إذا لقي مخوفاً استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنّه أعزّ أعضائه عليه، والذي يلقى في النار مغلولاً يداه إلى عنقه لا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له، وقيل: المراد بالوجه الجملة.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم أنّ الشرّ يأتيهم منها.

فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ
مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

﴿يَعۡلَمُونَ ٢٩ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة كما يقال: جاءني زيد رجلاً صالحاً، أو ينتصب على المدح.

﴿غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ أي: مستقيماً بريئاً من التناقض والاختلاف، والعوج مخصوص بالمعاني دون الأعيان.

[﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾][1] أي: رجلاً مملوكاً قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد منهم يدعي أنّه عبده فيتعاورونه في خدمتهم ﴿وَرَجُلٗا﴾ آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له، فهو معتمد عليه فيما يصلحه، فهمّه واحد، أيّ هذين العبدين أحسن حالاً وأصلح أمراً؟.

والمراد بذلك تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا، ويبقى هو متحيّراً ضائعاً لا يدري أيّهم يعبد وعلى أيّهم يعتمد، وحال من لم يثبت إلا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وأسخطه.

و﴿فِيهِ﴾ تعلّق بـ﴿شُرَكَآءُ﴾، كأنّه قال: اشتركوا فيه، والتشاكس والتشاخس: الاختلاف، يقال: تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه.

والسالم: الخالص، وقرئ: ﴿سَلَمٗا﴾ وسلما وهما مصدران، يقال: سلم سلماً وسلماً وسلامة، والمعنى: ذا سلامة لرجل، أي: ذا خلوص له من الشركة من قولهم: سلمت له الضيعة.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ أي: صفة منصوب على التمييز، والمعنى: هل تستويان صفتاهما وحالاهما.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ أي: يجب أن يكون الحمد موجّهاً إلى الله الذي لا شريك له وحده دون كل معبود سواه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيشركون به غيره.

[﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾][1] أي: إنّك وإيّاهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى، لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ﴾ أي: إنّك وإيّاهم، فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغائب.

﴿تَخۡتَصِمُونَ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنّك قد بلّغت فكذّبوا. وعن عبد الله بن عمر: (لقد عشنا برهة من الدهر ونحن نرى أنّ هذه الآية فينا وفي أهل الكتاب، وقلنا: كيف نختصم ونبيّنا واحد وكتابنا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنّها فينا نزلت)[2].

فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ
وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ
عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ
أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ
مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهۡدِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٤: ٥٧٢.

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم
مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بزعمه أنّ له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن والتوحيد، ثمّ هدّد من هذه صفته بأنّ في جهنم مثواه، والاستفهام للتقرير.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هو رسول الله ﷺ جاء بالحقّ وآمن به وأراد به إيّاه ومن تبعه، كما أراد بموسى إيّاه ومن تبعه في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١)، ولذلك قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، إلا أنّ هذا في الصفة وذلك في الاسم، ويجوز أن يريد الفريق الذي جاء بالصدق وصدّق به، وهم الرسول والذين صدّقوا به من المؤمنين.

و﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ هو الشرك والمعاصي التي عملوها قبل إيمانهم، و ﴿أَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ هو المفروض والمندوب إليه من أعمالهم، فإنّ المباح يوصف بالحسن أيضاً.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ وهو رسول الله ﷺ. وقرئ: عباده وهم الأنبياء.

وقرئ: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ بالتنوين على الأصل، وبالإضافة على التخفيف، وأنثهن بعد التذكير في قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ

(١) المؤمنون: ٤٩.

﴿مِن دُونِهِۦ﴾ ليضعفهن ويعجزهن زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضرّ وإمساك الرحمة، لأنّ الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كما أنّ الذكورة من باب الشدّة والصلابة، فكأنّه قال: الإناث اللاتي هن اللات والعزّى ومناة أضعف مما تدعونه لهن وأعجز.

﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ على حالتكم التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكّنتم منها، والمكانة بمعنى المكان، فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار (هنا) و(حيث) للزمان وهما للمكان، وحقّ الكلام: فإنّي عامل على مكانتي، فحذف للاختصار.

و﴿يُخۡزِيهِ﴾ صفة لـ﴿عَذَابٌ﴾ أي: عذاب مخز له، وهو يوم بدر ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ دائم يوم القيامة.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾
ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ
فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ
ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ
مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾

﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ لجميع الناس ولأجل حاجتهم إليه.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ بأن يسلبها ما هي به حية حساسة دراكة من صحّة أجزائها وسلامتها، ويتوفى الأنفس ﴿ٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ أي: يتوفاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يميّزون ولا يتصرّفون، كما أنّ الموتى كذلك ﴿فَيُمْسِكُ ﴾ الأنفس ﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الحقيقي، أي: لا يردّها في وقتها حية ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ النائمة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى وقت ضربه وسمّاه لموتها.

﴿ أَمِ﴾ منقطعة، أي: بل اتخذ قريش، والهمزة للإنكار.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من دون إذنه حيث قالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[1] ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

﴿أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ معناه: أيشفعون ولو كانوا ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ ولا عقل لهم؟!.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ فلا يملكها أحد إلا بتمليكه.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ يدور المعنى على وحده، والمعنى: إذا أفرد الله عزّ اسمه بالذكر ووحّد اشمأزوا، أي: نفروا وتقبضوا، وإذا ذكر معه آلهتهم استبشروا، فقابل الاشمئزاز وهو أن يمتلئ القلب غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في الوجه بالاستبشار وهو أن يمتلئ القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه. والعامل في ﴿إِذَا ذُكِرَ﴾ المفاجأة، وتقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ

---

(١) يونس: ١٨.

لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن
سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ
﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً
مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ
هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾

أمر الله سبحانه نبيّه ﷺ أن يحاكمهم إليه ليفعل بهم ما يستحقّونه، فقال له: ادع بهذا الدعاء، أي: أنت تقدر على الحكم بيني وبينهم، وفيه بشارة له بالنصر والظفر، لأنّه إنّما أمره به للإجابة لا محالة. وعن سعيد بن المسيب: (إنّي لأعرف موضع آية لم يقرأها أحد قط فسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقرأ الآية)[١].

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ وعيد لا يحاط بكنهه، ونظيره في الوعد قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢]. وعن محمّد بن المنكدر[٣]: أنّه جزع عند موته، فقيل له في ذلك فقال: (أخشى آية من كتاب الله وتلاها، ثمّ قال: أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسب)[٤]. وعن سفيان الثوري

---

(١) تفسير الماوردي ج٥: ١٣٠.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) أبو عبد الله محمّد بن المنكدر بن بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي، يعد من كبار التابعين، توفي سنة ١٣٠هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ ج١: ١٢٧، معجم رجال الحديث ج١٧: ٣١٢.

(٤) الكشف والبيان ج٨: ٢٤٠.

أنّه قرأها فقال: (وويل لأهل الرياء)[1]، ويل لأهل الرياء)[2].

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾ أعمالهم التي كسبوها، أو سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله: ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾[3]، أو جزاء سيئاتهم من أنواع العذاب سمّاها سيئات كما قال: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[4].

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أحاط بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم.

يقال: خوّله شيئاً إذا أعطاه على غير جزاء.

قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: على علم مني بأنّي أُعطاه لما فيّ من الفضل والاستحقاق، أو على علم من الله باستحقاقي فلذلك آتاني ما آتاني، أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون: ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[5].

وذكّر الضمير العائد إلى ﴿نِعۡمَةً﴾ في ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ لأنّه أراد شيئاً من النعمة أو قسماً منها، ويمكن أن يكون (ما) في ﴿إِنَّمَآ﴾ موصولة لا كافة، فيرجع الضمير إليه.

﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ﴾ إنكار لذلك القول، أي: ليس كما يقول بل هي فتنة أي: ابتلاء واختبار له أيشكر أم يكفر، ذكّر الضمير أوّلاً على المعنى، وأنّث هنا على اللفظ، أو لأنّ الخبر مؤنث.

والضمير في ﴿قَالَهَا﴾ راجع إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ لأنّها كلمة

---

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٢٤٠.

(٣) المجادلة: ٦.

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) القصص: ٧٨.

أو جملة من القول.

و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ هم قارون وقومه حيث قال: أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنّهم قالوها، ويجوز أن يكون فيمن مضى من الأمم قوم قائلون مثلها فصارت وبالاً عليهم وأصابهم جزاء سيئاتهم.

أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ
لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ
ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم
مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا
تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ
ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي
لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ
أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ
ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ للتائب، فإن مات الموحّد من غير توبة فهو في مشيئة الله، إن شاء عذّبه بعدله، وإن شاء غفر له بفضله، كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[١].

(١) النساء: ٤٨.

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ ارجعوا إليه من الشرك والمعاصي.

﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: انقادوا له بالطاعة، وقيل: اجعلوا أنفسكم خالصة له.

﴿أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ هو أن يأتي المأمور به ويترك المنهي عنه.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ﴾ أي: كراهة أن تقول نفس، وإنّما نكّرت لأنّ المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر أو نفس متميّزة من الأنفس. وقرئ: يا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه، والجنب: الجانب، قالوا: فرّط في جنبه وفي جانبه أي: في حقّه، قال:

أَمَـا تَتَّقِـينَ اللهَ فِي جَنْـبِ وَامِـقٍ لَـهُ كَبِـدٌ حَـرَّى عَلَيْـكِ تَقَطَّـعُ[1]

وهذا من باب الكناية، لأنّك إذا أثبتّ الأمر في مكان الرجل فقد أثبتّه فيه، قالوا: لمكانك فعلت كذا، أو من جهتك فعلت، أي: لأجلك، فالتقدير: فرّطت في ذات الله، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، سواء قيل: في جنب الله أو في الله، فإنّ المعنى: فرطت في طاعة الله وعبادة الله ونحوهما، و(ما) في ﴿مَا فَرَّطتُ﴾ مصدرية.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ (إن) مخففة من الثقيلة، قال قتادة: (لم يكفه أن ضيع في طاعة الله حتى سخر من أهلها)[2]. والجملة في موضع الحال، فكأنّه قال: فرّطت وأنا ساخر، أي: فرّطت في حال سخريتي.

﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ إنّما يقول هذا تحيّراً في أمره وتعللاً بما لا يجدي عليه، كما حكى الله تعالى عنهم تعللهم بإغواء الرؤساء والشياطين[3]. وقوله:

---

(١) ديوان جميل بثينة: ٧٣، وفيه: في قتل عاشق.

(٢) تفسير الطبري ج٢٤: ١٤.

(٣) ينظر: الصافات: ٣٢.

﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي ﴾ ردّ عليه من الله عزّ اسمه، والمعنى: بلى قد هديت بالقرآن فكذّبت به واستكبرت عن قبوله وكفرت به، وإنّما صحّ وقوع (بلى) جواباً عن غير المنفي لأنّ معنى قوله: ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي ﴾ ما هديت.

﴿كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وصفوه بما لا يجوز عليه، فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[١] و﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾[٢]، ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[٣]، ولا يبعد عنهم من ينسب فعل القبائح إلى الله ويثبت معه قدماء. وعن الباقر عليه السلام: ((كل إمام انتحل إمامة ليست له من الله فهو من أهل هذه الآية، قيل: وإن كان علوياً فاطمياً؟ قال: وإن كان))[٤]. وعن الصادق عليه السلام: ((من حدّث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً، فإن صدق علينا فإنّما يصدق على الله وعلى رسوله، [وإن كذب علينا فإنّما يكذب على الله وعلى رسوله][٥]، لأنّا إذا حدّثنا لا نقول: قال فلان وقال فلان، وإنّما نقول: قال الله وقال رسوله ثمّ تلا هذه الآية))[٦].

[﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ ﴾ في موضع الحال إن كان ﴿تَرَى ﴾ من رؤية البصر، ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب][٧].

---

(١) يونس: ١٨.

(٢) الزخرف: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢٨.

(٤) الغيبة: ١١٣ باختلاف يسير.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) مجمع البيان ج٧-٨: ٥٠٥ عن العياشي.

(٧) ساقطة من ب.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾

وقرئ: بمفازاتهم على الجمع، والمفازة والفوز واحد، ومن جمع فلأن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها. وقرئ: ينجي و﴿وَيُنَجِّي﴾، وتفسير المفازة قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، أو أراد بسبب منجاتهم وهو العمل الصالح، فقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ على التفسير الأوّل لا محلّ له لأنّه كلام مستأنف، وعلى الثاني محلّه نصب على الحال.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية، لأنّ حافظ الخزائن هو الذي يملك مقاليدها، والمقاليد: المفاتيح لا واحد لها من لفظها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، واعترض بينهما بأنّه خالق الأشياء والمهيمن عليها، فلا يخفى عليه ما يستحقّ على الأعمال من الجزاء، والذين جحدوا أن يكون الأمر كذلك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ منصوب بـ﴿أَعۡبُدُ﴾، و﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ اعتراض، فالمعنى: أفغير

الله أعبد بأمركم؟ وذلك حين قال له المشركون: استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك، أو منصوب بما يدلّ عليه جملة قوله: ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ﴾ لأنّه في معنى تعبدونني وتقولون لي: اعبد فكذلك: أفغير الله تأمرونني أن أعبد، وقرئ: ﴿تَأۡمُرُوٓنِّيٓ﴾ بالتشديد للإدغام، وجاز الإدغام لأنّ قبل النون المدغمة حرف لين وهو الواو، وتأمرونني بنونين على الأصل، وتأمروني بحذف النون الثانية لأنّ الأولى علامة الرفع، وفتح الياء وإسكانها معاً سائغ.

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾ لئن أشركت ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ مثله، أو أوحي إليك وإلى كل واحد منهم ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ كقوله: فكسانا حلّة، أي: كل واحد منا، واللام الأولى لتوطئة القسم، والثانية لام الجواب، وهذا الكلام إنّما أتى [إذ عبدوا غيره وأمروا نبيّه بعبادة غيره ثمّ نبّههم على عظمته][1] على سبيل الفرض، والتقدير: فإنّ رسل الله منزّهون عن الشرك، والمحال يصحّ فرضه لغرض فكيف ما هو دونه؟.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ ردّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنّه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت قد تبيّنت فاعبد الله، فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه.

ولما كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حقّ معرفته وقدّره في نفسه حقّ تقديره، عظّمه حقّ تعظيمه، [قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ بمعنى: وما عظموه حقّ تعظيمه][2] اذ عبدوا غيره وأمروا نبيّه بعبادة غيره، ثمّ نبّههم على عظمته على طريق التخييل فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من د.

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو تصوير لجلالته وعظمة شأنه لا غير، من غير أن تصور قبضة ولا يمين لا حقيقة ولا مجازاً، وأكّد الأرض بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ قبل مجيء الخبر، ليعلم أنّ الخبر لا يقع عن أرض واحدة، والمعنى: والأرضون جميعاً ذوات قبضة يقبضهن قبضة واحدة، [أي: أنّها بأجمعها مع عظمها لا تبلغ إلا قبضة واحدة][1] من قبضاته، كأنّه يقبضها قبضة بكف واحدة.

وقوله: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾ من الطيّ الذي هو ضد النشر، كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2] والعادة أن يطوى السجل باليمين. وقيل: قبضته: ملكه بلا منازع، وبيمينه: بقدرته[3]، وقيل: مطويات بيمينه: مفنيات بقسمه[4]، وهذا قول مرغوب عنه.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا
مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾
وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ
وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ

---

(١) ساقطة من د.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) معاني القرآن للأخفش: ٤٩٧.

(٤) عن علي بن مهدي الطبري. الكشف والبيان ج٨: ٢٥١.

حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ
طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ
فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ
ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿فَصَعِقَ﴾: مات بحال هائلة.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هم الملائكة الأربعة، وقيل: هم الشهداء[1].

﴿أُخۡرَىٰ﴾ أي: نفخة أخرى، ويحتمل النصب على قراءة من قرأ: نفخة واحدة، وحذفت نفخة لدلالة أخرى عليها، ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان.

﴿يَنظُرُونَ﴾ يقلّبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا عراه خطب، وقيل: ينتظرون ما يفعل بهم[2]. ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيّرهم.

قد استعار سبحانه النور للحقّ والقرآن والبرهان في مواضع من كتابه[3]،

---

(١) عن سعيد بن جبير، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٥: ٣٣٦.

(٢) تفسير الماوردي ج٥: ١٣٦.

(٣) الأعراف: ١٥٧، الصف: ٨.

وهذا من ذاك. والمعنى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بما يقيمه فيها من الحقّ والعدل.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: صحائف الأعمال، وهو اسم الجنس.

﴿زُمَرًا﴾ أفواجاً متفرّقة بعضها في إثر بعض.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أتانا الرسل وتلوا علينا الآيات والحجج، ولكن وجبت علينا ﴿كَلِمَةُ﴾ ربّنا: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّم﴾[(١)] بسوء أعمالنا.

﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فاعل ﴿بِئْسَ﴾ واللام للجنس، والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي التي تحكي بعدها الجمل، والجملة المحكية بعدها هي الشرطية، إلا أنّ جزاءها محذوف، وإنّما حذف لأنّه في صفة ثواب أهل الجنّة، فدلّ بحذفه على أنّه شيء لا يحيط به الوصف، وموضعه بعد قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. وقيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [أي: مع فتح أبوابها][(٢)(٣)].

والمراد بسوق أهل النار طردهم إليها بعنف وإهانة، والمراد بسوق أهل الجنّة سوق مراكبهم وحثّها سراعاً بهم إلى منزل الكرامة والرضوان، وقيل: إنّ أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنّة فيقدّم فتحها بدليل قوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[(٤)]، فلذلك جيء بالواو، كأنّه قيل: وقد فتحت أبوابها[(٥)].

---

(١) الأعراف: ١٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٦٤.

(٤) ص: ٥٠.

(٥) إعراب القرآن ج٤: ٢٣.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ دعاء لهم بالسلامة والخلود.

﴿طِبۡتُمۡ﴾ بالعمل الصالح في الدنيا، وطابت أعمالكم وزكت ﴿فَٱدۡخُلُوهَا﴾ جعل دخولهم الجنّة مسبباً عن الطيب والزكاة، لأنّها دار الطيبين، طهّرها الله من كل دنس، فإنّما يدخلها من اتصف بصفتها، وما أبعد أحوالنا عن اكتساب هذه الصفة إلا أن يتغمدنا الله بفضله ورحمته ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود.

والأرض عبارة عن المكان الذي اتخذوه مقراً ومبوءاً، وأورثناها: ملكناها، وجعلنا ملوكها وأطلق لنا التصرّف فيها، تشبيهاً بحال الوارث وتصرّفه فيما يشاء مما يرثه.

﴿حَآفِّينَ﴾ أي: طائفين ﴿مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾ محدقين بها يذكرون الله بصفاته العلى.

﴿وَقُضِيَ﴾ بين الخلائق بالعدل، وقيل: بين الأنبياء والأمم[(١)]، وقيل: بين أهل الجنّة والنار[(٢)].

﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على قضائه بيننا بالحقّ، وقيل: إنّه من كلام الله عزّ اسمه[(٣)]، وقد قال في ابتداء الخلق: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[(٤)] تعليماً لخلقه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد.

---

(١) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج٥: ١٣٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٦٤.

(٣) عن قتادة. الكشف والبيان ج٨: ٢٦٠.

(٤) الانعام: ١.

سورة غافر

مكية إلا آيتين، خمس وثمانون آية كوفي، اثنتان بصري، عدّ الكوفي ﴿**حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ**﴾، ﴿**يُسَبِّحُونَ**﴾، ﴿**كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾، وعدّ البصري ﴿**كَاظِمِينَ**﴾.

وعن أنس عن النبيّ ﷺ: ((الحواميم ديباج القرآن))[1]، وعن أُبيّ: ((من قرأ (حم المؤمن) لم يبق روح نبيّ ولا صدّيق ولا مؤمن إلا صلّوا عليه واستغفروا له))[2]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (حم المؤمن) في كل ليلة ثلاث مرات غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وألزمه كلمة التقوى، وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا))[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢: ٤٣٧.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٢٦٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٣ باختلاف يسير.

﴿بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

قرئ بإمالة الألف من (حا) وبالتفخيم.

و﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ والتوب والأوب أخوات في معنى الرجوع.

﴿ٱلطَّوۡلِ﴾ الإنعام الذي يطول لبثه على صاحبه، وطال عليه وتطول أي: تفضل.

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ معرفتان وإضافتهما حقيقية، لأنّه لم يرد بهما حدوث الفعلين في الحال أو الاستقبال، بل أريد ثبوت ذلك ودوامه فهما صفتان.

وأما ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ فتقديره: شديد عقابه، وقيل: إنّه بدل[1]، والوجه أن يكون صفة، وإنّما حذف الألف واللام من ﴿شَدِيدِ﴾ ليوافق ما قبله وما بعده لفظاً، وذكر بعد ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لئلا يعوّل المكلف على الغفران بل يكون مرجحاً بين الرجاء والخوف.

و﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ ذي النعم السابغة على عباده ديناً ودنيا.

و﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ أي: ما يخاصم في دفع حجج الله إلا الكفار ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ﴾ بالتجارات والمكاسب ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ فإنّ مصير ذلك إلى الزوال والنفاد، فلا يفوتون الله على حال.

ثمّ ضرب سبحانه لتكذيبهم بالرسل وجدالهم بالباطل مثلاً ما كان من نحو ذلك من الأمم الماضية فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ رسولهم ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ﴾ الذين تحزّبوا على أنبيائهم وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٦٦.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هذه الأمم ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكّنوا من قتله وإهلاكه أو تعذيبه، ويقال للأسير: أخيذ.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ هذا تقرير فيه معنى التعجب.

وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ
رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن
صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ
وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ
﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ
بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في محلّ الرفع بدل من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، أي: ومثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار، والمعنى: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب إهلاكهم في الآخرة بعذاب

النار، أو في محلّ النصب على حذف لام التعليل وإيصال الفعل.

و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ كفار مكة، أي: كما وجب إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء، لأنّ علة واحدة تجمعهم أنّهم من أصحاب النار، وقرئ: كلمات على الجمع.

ثمّ ذكر سبحانه بعد ذكر حال الكفار حال المؤمنين الأبرار وأنّ الملائكة المقرّبين يمدونهم بالاستغفار فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ على عواتقهم امتثالاً لأمر الله ﴿وَمَنۡ﴾ حول العرش من الملائكة المطيفين به وهم الكروبيون وسادة الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ وينزّهونه عما يصفه به هؤلاء المجادلون، أو يسبّحونه بالتسبيح المعهود، أي يقولون: ﴿رَبَّنَا﴾ وهذا المضمر[(١)] في محلّ الرفع بياناً لـ﴿يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أو نصب حالاً.

﴿وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى، والأصل: وسع كل شيء رحمتك وعلمك، فأسند الفعل إلى صاحبهما وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة، كأن ذاته سبحانه رحمة وعلم واسعان كل شيء.

﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ﴾ علمت منهم التوبة واتباع ﴿سَبِيلَكَ﴾ وسبيل الله: سبيل الحقّ الذي دعا عباده إليه. وفي هذا دلالة على أنّ قبول التوبة وإسقاط العقاب عندها تفضّل من الله تعالى، إذ لو كان واجباً لما احتيج فيه إلى الدعاء والسؤال.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [أي: العقوبات][(٢)]، سمّاها سيئات اتساعاً، أو جزاء السيئات فحذف المضاف.

---

(١) في ب: الضمير.

(٢) ساقطة من ج.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾ والتقدير: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم، فاستغنى بذكرها مرة. و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ منصوب بالمقت الأوّل، والمعنى: إنّه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون وتختارون عليه الكفر، أشدّ مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار، إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن، وقيل: معناه: لمقت الله إيّاكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض، و﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ تعليل[1]. والمقت: أشدّ البغض، فوضع في موضع أشدّ الإنكار.

﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: إماتتين وإحياءتين، أو موتتين وحياتين أراد بالإماتتين: خلقهم أمواتاً أوّلاً وإماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءتين: الإحياءة الأولى وإحياءة البعث، وقيل: الإماتتان هما: التي في الدنيا بعد الحياة والتي في القبر قبل البعث، والإحياءتان هما: التي في القبر للمساءلة والتي في البعث[2].

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ التي اقترفناها في الدنيا.

﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ أي: إلى نوع من الخروج ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ قط، أو اليأس حاصل دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه.

﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى الخروج بوجه من الوجوه بسبب أنّكم كفرتم [بالتوحيد][3] وآمنتم بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بعذاب الأبد.

---

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٥: ١٤٥.

(٢) عن السدي. تفسير الطبري ج٢٤: ٣٢.

(٣) ساقطة من ب.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا
يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ
يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ
﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ
لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ
لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ
ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى
ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: مصنوعاته الدالة على كمال قدرته وتوحيده ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وما يتفكر في حقيقتها ولا يتعظ بها ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ أي: يرجع إلى الله ويقبل إلى طاعته، فإنّ المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه. ثمّ قال لمن ينيب: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ﴾ ذلك أعداؤكم الكفار.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لقوله: ﴿هُوَ﴾ مترتبة على قوله: ﴿ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أو أخبار مبتدأ محذوف، وهي مختلفة تعريفاً وتنكيراً. و﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ مثل قوله: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾[1] وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش، وهي دليل على عزّته وملكوته. وعن سعيد بن جبير:

(١) المعارج: ٣.

(سماء فوق سماء والعرش فوقهن)[١]، وقيل: هي درجات ثوابه التي ينزلها أنبياءه وأولياءه في الجنّة[٢]، وقيل: هو عبارة عن رفعة شأنه وعلوّ سلطانه، كما أنّ ذا العرش عبارة عن ملكه[٣].

﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الذي هو سبب الحياة للقلب.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يريد الوحي الذي هو أمر بالخير، وقيل: إنّ الروح جبرائيل[٤].

﴿لِيُنذِرَ﴾ الله أو الملقي عليه وهو الرسول أو الروح، وقرئ: لتنذر بالتاء لأنّ الروح مؤنث، أو على خطاب النبيّ ﷺ.

﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم القيامة لأنّ الخلائق تلتقي فيه، أو يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والأولون والآخرون.

والمعنى: إنّهم كانوا يظنون إذا استتروا أنّ الله لا يراهم فهم اليوم صائرون من البروز إلى حال لا يتوهمون ذلك.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به، أي: ينادي مناد: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل الحشر: لله الواحد القهار، أو يكون المنادي هو المجيب. ولما قرر أنّ الملك لله وحده في ذلك اليوم عدّد نتائج ذلك، وهي أنّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ تجزى ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ وأن ﴿لَا ظُلْمَ﴾ من أحد على أحد، ولا ينقص من ثواب أحد، ولا يزاد في عقاب أحد، وأنّ الحساب لا يبطئ لأنّه سبحانه لا يشغله حساب عن حساب.

---

(١) تفسير الماوردي ج٥: ١٤٧.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٢٦٩.

(٣) الكشاف ج٤: ١٥٦.

(٤) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج٥: ١٤٨.

و﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: الدانية وهي القيامة، لأنّ كل ما هو آت قريب دان.

و﴿كَٰظِمِينَ﴾ نصب على الحال من أصحاب القلوب، لأنّ المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها، ويجوز أن يكون حالاً من القلوب، وأنّ القلوب كاظمة على كرب وغم فيها مع بلوغها الحناجر، ولمّا وصفها بالكظم الذي هو من أوصاف العقلاء جمع الكاظم جمع سلامة.

و﴿يُطَاعُ﴾ مجاز في الشفيع، لأنّ الطاعة لا تكون إلا لمن فوقك.

والخائنة: مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، أو صفة للنظرة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحلّ، وقوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ خبر من أخبار ﴿هُوَ﴾ في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ﴾ مثل: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ [ولكن قد علل سبحانه ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾][1] بقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ثمّ استطرد ذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ فبعد لذلك عن أخواته.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾ لاستغنائه عن الظلم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء يعني آلهتهم ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍ﴾ وهذا تهكّم بهم، لأنّ ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي.

أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن
قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت
تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ
ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ

---

(١) ساقطة من ج.

إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ
إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ
﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا
يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾

﴿هُمۡ﴾ في ﴿كَانُواْ هُمۡ﴾ فصل، والفصل لا يقع إلا بين معرفتين، فالوجه هنا أنّ ﴿أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾ ضارع المعرفة في أنّه لا يدخله الألف واللام فأجري مجراه، وقرئ: أشدّ منكم قوة. والمراد بالآثار: حصونهم وقلاعهم وعددهم مما يوصف بالشدّة.

﴿فَقَالُواْ﴾ هذا ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾ فسمّوا السلطان المبين سحراً وكذباً.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالدين الحقّ، أو بالنبوّة.

﴿قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ﴾ عن ابن عباس: (أي أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أوّلاً)[1]، يريد أنّ هذا قتل غير القتل الأوّل.

﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: ضياع وذهاب ولم يجد عليهم.

﴿وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فيه دلالة على خوف فرعون من موسى عليه السلام ومن دعوته ربّه، وأنّ قوله: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ تمويه منه على قومه، وإيهام أنّهم كانوا هم المشيرين عليه بأن لا يقتله، وما كان يكفه عن ذلك إلا ما في نفسه من الفزع، وقرئ: وأن

---

(١) الكشاف ج٤: ١٦٠.

يظهر بالواو وفتح الياء، الفساد بالرفع، والمعنى: إنّي أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن
يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ
ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم
مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ
لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ
مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لـ﴿رَجُلٌ﴾ أو صلة لـ﴿يَكْتُمُ﴾ أي: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ من آل فرعون، واسمه حبيب أو خربيل.

﴿أَن يَقُولَ﴾ لأن يقول، أي: أترتكبون قتل رجل بأن يقول الكلمة الصادقة التي نطق بها وهي قوله: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ مع أنّه أحضر لتصحيح قوله بيّنات عدّة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربّكم لا ربّه وحده؟! استدرجهم إلى الاعتراف به،

ثمّ احتج عليهم على طريقة التقسيم بأن قال: لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن ﴿يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: يعود عليه ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ وفي ذلك البعض هلاككم.

وهذا كلام من ينصف في مقاله ليسمع منه، لأنّه حين فرضه صادقاً فقد أثبت أنّه صادق في جميع ما يعد، ولكنّه أردفه ﴿يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ ليهضمه بعض حقّه في الظاهر، وليريهم أنّه ليس بكلام من يتعصب له.

﴿ظَـٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عالين في أرض مصر على بني إسرائيل.

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله، يعني: لا أستصوب إلا قتله، وهذا الذي تقولونه غير صواب ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ﴾ بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ والصواب عندي.

﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ أي: مثل أيّامهم، لأنّه لما أضافه إلى الأحزاب وفسّر الأحزاب بقوم نوح وعاد وثمود، ولم يلتبس أنّ كل حزب منهم كان له يوم دمار، اقتصر على الواحد من الجمع؛ لأنّ المضاف إليه أغنى عن ذلك، كقوله:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعُفُّوا[1]

ودأبهم: دؤوبهم في عملهم من [الكفر][2] والتكذيب والمعاصي، وكون ذلك دائباً دائماً منهم لا يفترون عنه، ولابد من حذف مضاف أي: مثل جزاء دأبهم، وإنّما انتصب ﴿مِّثۡلَ﴾ الثاني بأنّه عطف بيان لمثل الأوّل، لأنّ آخر ما تناولته الإضافة قوم نوح، ولو قلت: أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلا

(١) من أبيات الكتاب ج١: ٢١٠ التي لا يعرف قائلها، وبقيته: فإن زمانكم زمن خميص.

(٢) ساقطة من ب.

عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام، فسرى ذلك الحكم إلى أوّل ما تناولته الإضافة.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فتدميرهم كان عدلاً منه إذ استوجبوه بأعمالهم. والتنادي: ما حكاه الله في سورة الأعراف من قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾[١]، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[٢]. وقيل: ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور[٣]، وقيل: ينادى فيه كل أناس بإمامهم[٤].

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ أي: يوم تعرضون عن النار ﴿مُدْبِرِينَ﴾ فارين مقدّرين أنّ الفرار ينفعكم.

﴿يُوسُفُ﴾ هو يوسف بن يعقوب، قيل: إنّ فرعون موسى هو فرعون يوسف، عمّر إلى زمنه[٥]، وقيل: هو فرعون آخر[٦].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ على نفسه كافر ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاك في التوحيد ونبوّة الأنبياء.

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا
عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ
مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحٗا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ
ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي

---

(١) الأعراف: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٥٠.

(٣) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٥: ١٥٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٧٣.

(٥) عن وهب. الكشف والبيان ج٨: ٢٧٥.

(٦) ينظر: الكشف والبيان ج ٨: ٢٧٥.

لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ
ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ
﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ لأنّه في معنى: كل مسرف.

وفاعل ﴿كَبُرَ﴾ ضمير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ على اللفظ، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ مبتدأ [و﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ خبراً][1]، أو يكون قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ على حدّ قولك: نعم رجلاً زيد. والمخصوص بالذم محذوف وهو جدالهم، وتكون الجملة خبر المبتدأ، ولا يكون جدالهم فاعلاً لـ﴿كَبُرَ﴾ فيمتنع حذفه على ما ذكره جار الله[2].

وقرئ: (قلب) بالتنوين، وجاز وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنّه موضعهما [ومنبعهما][3]، كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[4]، والإثم هو الجملة، أو يكون على حذف المضاف أي: على كل ذي قلب ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾، ومن قرأ على

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) الكشاف ج٤: ١٦٧.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) البقرة: ٢٨٣.

الإضافة فالمعنى: يطبع الله على القلوب إذا كانت قلباً من كل متكبر، وحذف (كل) لتقدّم ذكره كما جاء في المثل: (ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة)[١] فحذف (كل) لتقدّم ذكره.

والصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، من صرح الشيء إذا ظهر. وهامان: وزير فرعون وصاحب أمره.

و﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها، وكل ما أوصلك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه.

وفائدة التكرير أنّه لما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها ثمّ أوضحها.

﴿فَأَطَّلِعَ﴾ قرئ بالرفع والنصب، للعطف على ﴿أَبْلُغُ﴾، والنصب على جواب الترجي تشبيهاً للترجي بالتمني.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك التزيين وذلك الصد ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقرئ: صَدّ على البناء للفاعل بمعنى: أنّه صدّ نفسه أو صدّ غيره.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى عليه السلام ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ أي: خسار لا ينفعه.

ثمّ عاد إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون فأجمل لهم بأن قال: ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

ثمّ فسّر فافتتح بذم الدنيا وتحقير شأنها، لأنّ الركون إليها أصل لكل شرّ

---

(١) مجمع الأمثال ج٣: ٢٧٥.

وإثم، وجالب لسخط الله وعقابه، ثمّ ثنى بتعظيم الآخرة وإنّها ﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ والإقامة.

ثمّ ذكر الأعمال السيئة والحسنة وما يستحق على كل واحدة منهما. وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في مقابل ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾، معناه: أنّ جزاء السيئة له حساب وتقدير، فلا يزيد على المستحقّ، وأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل هو زائد على المستحقّ بما شئت من الزيادة والكثرة.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

يقال: دعاه إلى الشيء وللشيء، كما قيل: هداه إلى الطريق وللطريق.

﴿لَيْسَ لِى بِهِۦ﴾ أي: بربوبيته ﴿عِلْمٌ﴾ والمراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنّه قال: وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصحّ أن يعلم إلهاً؟!.

﴿لَا جَرَمَ﴾ سياقه على مذهب البصريين أن يجعل (لا) رداً لما دعاه إليه قومه، وجرم فعل بمعنى حقّ، و(أن) مع ما في حيّزه فاعله، أي: حقّ ووجب بطلان دعوته، أو بمعنى كسب أي: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته، على معنى:

إنّه ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، وقيل: لا جرم نظير لابد فعل من الجرم وهو القطع[١]، كما أنّ (بدا) فعل من التبديد وهو التفريق، فكما أنّ معنى لابد أنّك تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾[٢] بمعنى لا قطع لذلك أي: يستحقّون النار أبداً، لا انقطاع لاستحقاقهم، ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام، أي: لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقّاً، ومعناه: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط، ولا يدعي الإلهية، وقيل: ليس له استجابة دعوة تنفع في الدنيا ولا في الآخرة أو دعوة مستجابة[٣]. جعل الدعوة التي لا منفعة لها كلا دعوة، أو سمّيت الاستجابة باسم الدعوة كما سمّي الفعل المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم: ((كما تدين تدان))[٤].

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عند نزول العذاب بكم، أو يوم القيامة صحّة ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصح، وأسلم ﴿أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأتوكل عليه.

﴿ٱلنَّارُ﴾ بدل من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو النار، أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي: يعذّبون بها في هذين الوقتين، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم، فإما أن يعذّبوا بجنس آخر من العذاب، أو ينفس عنهم، فإذا قامت القيامة قيل لهم: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ عذاب جهنم.

وقرئ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ أي: يقال لخزنة جهنم: أدخلوهم. وفي هذه الآية دلالة على صحّة عذاب القبر.

---

(١) عن المفضل. تفسير الماوردي ج٥: ١٥٧.

(٢) النحل: ٦٢.

(٣) عن السدي. معالم التنزيل ج٤: ٢٩.

(٤) الخصال: ٣٠٣، مصنف عبد الرزاق ج١١: ١٧٩.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا
نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ
إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ
لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ
فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

واذكر وقت تحاجهم في النار.

﴿تَبَعًا﴾ أي: أتباعاً، جمع تابع ومثله خدم جمع خادم، أو ذوي تبع أي: أتباع، أو هو وصف بالمصدر.

و﴿كُلٌّ﴾ معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، أي: كلنا فيها لخزنة جهنم، ولم يقل: لخزنتها لأنّ في ذكر جهنم تهويلاً، ويحتمل أن تكون جهنم هي أبعد النار قعراً، من قولهم: بئر جهنام: بعيدة القعر.

﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ إلزام للحجّة وتوبيخ.

﴿قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ أنتم فإنّا لا ندعو إلا بإذن الله ولم يؤذن لنا فيه.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا
كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا
ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ
ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

أي: نغلّب ﴿رُسُلَنَا﴾ في الدارين بالظفر على مخالفيهم وبالحجّة، ولو غلبوا في بعض الأحايين فالعاقبة لهم، واليوم الثاني بدل من الأوّل.

و﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: جمع شاهد وهم الملائكة والأنبياء والأولياء.

وقرئ: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بالتاء والياء.

والمراد بـ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: ما آتاه الله في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع.

﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ وتركنا على ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من بعده ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة.

﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ أي: إرشاداً وتذكرة، وهما مفعول لهما أو حالان.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في ضمان نصرة رسله، واستشهد بحال موسى ونصرته على فرعون وجنوده، وإبقاء آثار هداه في بني إسرائيل، فإنّ الله

ينصرك كما نصره.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ تعبّده سبحانه بالدعاء والاستغفار ليزيد في درجاته، ويصير سنة لأمته.

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبّر، وهو إرادة التقدّم والرئاسة، وأن لا يكون فوقهم، ولذلك عادوك ودفعوا معجزاتك، وذلك أنّ النبوّة تحتها كل ملك ورئاسة، أو إرادة أن تكون لهم النبوّة دونك.

﴿مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ﴾ أي: ببالغي موجب الكبر ومقتضيه، وهو متعلّق إرادتهم من الرئاسة أو النبوّة.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم، وفيه تهديد.

ولما كان جدالهم وحجاجهم في آيات الله مشتملاً على إنكار البعث، حجّوا بخلق السماوات والأرض، لأنّهم كانوا يقرّون بأنّه سبحانه خالقهما، وخلق الناس بالقياس إليهما أهون. ثمّ ضرب ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مثلاً للمحسن والمسيء. وقرئ: ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لابد من مجيئها، وليس بمرتاب فيها لأنّه لا بد من الجزاء.

﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، وقيل: معناه: اعبدوني أثبكم[1]. وفي الحديث: ((الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية))[2]. وعن الباقر عليه السلام: ((هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء))[3].

---

(١) معالم التنزيل ج٤: ٣١.

(٢) الأدب المفرد: ٢٤٩، وينظر: الكافي ج٢: ٤٦٧.

(٣) الكافي ج٢: ٤٦٦.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى
وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن
تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ
أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ
وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

﴿مُبْصِرًا﴾ من الإسناد المجازي، ومعناه: لتبصروا فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ لا يوازيه فضل.

وكرر ذكر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تخصيصاً لكفران النعم، وأنّهم هم الذين لا يشكرونه.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المعلوم المختص بهذه الأفعال هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهي أخبار مترادفة، أي: هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهية والربوبية وإنشاء الأشياء والوحدانية.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأصنام؟!. ثمّ ذكر أنّ كل من جحد ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أفك كما أفكوا.

ثمّ وصف نفسه بأفعال أخر خاصة به، وهي أنّه جعل ﴿الْأَرْضَ﴾ مستقراً ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي: قبة ـ ومضارب العرب: أبنيتهم ـ لأنّ السماء في منظر العين كالقبة المضروبة على الأرض.

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ الطاعة من الشرك في دعائه وعبادته، قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَنْ أُسْلِمَ﴾ أي: استسلم لأمر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ متعلّق بفعل محذوف، والتقدير: ثمّ يبقيكم لتبلغوا، وكذلك ﴿لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾، ويفعل ذلك ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى﴾ وهو وقت الموت، أو يوم القيامة.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يريد: من قبل الشيخوخة، أو من قبل هذه الأحوال[1].

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه الأغراض المذكورة، وتتفكرون في العبر والحجج.

﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا﴾ يكونه من غير كلفة، جعل هذا نتيجة من قدرته على الإحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على أنّه لا يمتنع عليه شيء من المقدورات، فكأنّه قال: فلذلك الاقتدار إذا قضى أمراً تيسّر له ولم يمتنع عليه، وكان أهون شيء وأسرعه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ

---

(١) في ج: الأفعال.

﴿يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١
فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا
كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن
نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا
كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥
ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾

﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ﴾ أي: من أيّ جهة يقلبون عن الحق إلى الضلال.

﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ المعنى على ﴿إِذَا﴾ إلا أنّ أخباره سبحانه لما كانت متيقنة، عبّر عن الأمور المستقبلة منها بلفظ ما قد كان ووجد، و﴿يُسۡحَبُونَ﴾ حال.

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ في الماء الذي انتهت حرارته ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ يقذفون فيها وتوقد بهم.

﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: تبيّن لنا أنّهم لم يكونوا شيئاً، وما كنا نعبد بعبادتهم شيئاً.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوها أو طلبتهم لم يتصادفوا.

﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والمرح ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الشرك وعبادة الأوثان.

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [مثواكم أي: جهنم][1].

---

(١) ساقطة من ب.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ
نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ
مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ
ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ
وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

الأصل: فإن نرينك، و(ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل، لا يقال: إن تكرمني أكرمك، ولكن: إما تكرمني أكرمك.

وقوله: ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يتعلّق بـ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، وجزاء ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف وتقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك وهو القتل يوم بدر فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن يحلّ بهم ذلك.

﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقّونه ولا يفوتوننا.

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ ذكرهم وأخبارهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ذكرهم.

﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ إلى الحج والغزو والهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم، وهذه أغراض دينية تتعلّق بها إرادة الحكيم، فأما الأكل فمن جنس المنافع المباحة التي لا تتعلّق بها إرادته، وعلى الأنعام ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ في البر والبحر

﴿تُحۡمَلُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي حججه وبيّناته.

﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ توبيخ لهم على الجحد.

أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ
وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ
إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥

آثارهم: أبنيتهم العظيمة التي بنوها، وقصورهم ومصانعهم، وقيل: مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم[(١)].

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾: (ما) نافية أو استفهامية في محلّ نصب، و(ما) الثانية مصدرية أو موصولة في محلّ رفع معناه: أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم.

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قيل فيه وجوه:

أحدها: أنّه ورد على طريق التهكّم، كما في قوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[(٢)] وعلمهم في الآخرة أنّهم كانوا يقولون: لا نبعث، وكانوا يفرحون

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٤: ٥٧.

(٢) النمل: ٦٦.

بذلك ويدفعون به علم الأنبياء[١].

والآخر: إنّ المراد علم الفلاسفة كانوا يصغّرون علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنّه قيل: ائت موسى عليه السلام وكان في زمانه، فقال: (نحن قوم مهديون، فلا حاجة بنا إلى من يهدينا)[٢].

وقيل: إنّ الفرح للرسل[٣]. والمعنى: إنّ الرسل لما رأوا استهزاءهم بالحقّ وجهلهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه.

﴿وَحَاقَ﴾ بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

وقيل: إنّ المراد علمهم بأمور الدنيا[٤] كما قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٥] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات لم يلتفتوا إليها، إذ كانت باعثة على رفض الشهوات وترك الدنيا، واعتقدوا أن لا علم أنفع من علمهم ففرحوا به.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ أي: لم يصحّ ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم ﴿لَمَّا رَأَوْا﴾ بأس الله.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة وعد الله ونحو ذلك من المصادر المؤكدة.

و﴿هُنَالِكَ﴾ مكان مستعار للزمان، أي: وخسروا وقت رؤية البأس، وكذلك قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ بعد قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ أي: خسروا وقت مجيء أمر الله، أو وقت القضاء بالحقّ.

---

(١) عن مجاهد. معالم التنزيل ج٤: ٣٢.

(٢) الكشاف ج٤: ١٨٢، وفيه: قوم مهذبون... من يهذبنا.

(٣) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٥: ١٦٥.

(٤) عن السدي. الكشاف ج٤: ١٨٢.

(٥) الروم: ٧.

سورة فصلت

مكية آياتها أربع وخمسون آية كوفي، اثنتان بصري، عدّ الكوفي ﴿حم﴾ آية، ﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾ آية.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (حم السجدة) أُعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (حم السجدة) كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً، وعاش في هذه الدنيا مغبوطاً محموداً))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ

(١) الكشاف ج٤: ٢٠٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٣.

﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨﴾

﴿تَنزِيلٌ﴾ مبتدأ و﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره، أو ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿كِتَٰبٌ﴾ بدل من ﴿تَنزِيلٌ﴾، أو خبر بعد خبر.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح، أي: أعني بالكتاب المفصّل قرآناً بهذه الصفة، وقيل: نصب على الحال[1] أي: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ في حال كونه قرآناً عربياً ﴿لِّقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ما نزّل عليهم من الآيات المفصّلة المبيّنة بلسانهم العربي، لا يلتبس عليهم شيء منه، وتعلّق اللام بـ﴿فُصِّلَتْ﴾ أو بـ﴿تَنزِيلٌ﴾، أي: فصّلت آياته لهم، أو تنزيل من الرحمن لأجلهم، وأجود منهما أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده، أي: قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب لئلا يفرق بين الصفات والصلات.

﴿بَشِيرًا﴾ يبشّر المؤمن بما تضمّنه من الوعد ﴿وَنَذِيرًا﴾ ينذر الكافر بما فيه من الوعيد ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لا يقبلون ولا يطيعون.

﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ أي: في أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا﴾ ثقل وصمم على استماع القرآن.

﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ساتر وحاجز منيع، وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن قبول الحقّ.

﴿فَٱعْمَلْ﴾ على دينك إنّا ﴿عَٰمِلُونَ﴾ [على ديننا، أو فاعمل في ابطال أمرنا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٧٩.

إنّا عاملون][١] في إبطال أمرك.

والفائدة في زيادة ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا﴾ أنّه لو قال: وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى: أنّ حجاباً حاصل وسط الجهتين، ومعنى ﴿مِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾: إنّ الحجاب ابتداء منا وابتداء منك، والفراغ لجهتك، وجهتنا مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ جواب لقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾، لأنّ المعنى: إنّي لست بملك وإنّما أنا بشر مثلكم وقد أوحي ﴿إِلَيَّ﴾ دونكم، وإذا صحّت بالوحي نبوّتي وجب عليكم اتباعي.

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ﴾ فاستووا ﴿إِلَيۡهِ﴾ بالتوحيد وإخلاص العبادة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ من الشرك.

وخصّ من أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة، لأنّ أحبّ الأشياء إلى الإنسان ماله، فإذا بذله لله دلّ ذلك على ثباته في الدين وصدق نيته، وفيه حثّ شديد على أداء الزكاة، وتخويف من منعها، حيث جعله مقروناً بالكفر.

﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ أي: غير مقطوع بل هو متصل دائم، أو هو خالص من المنة.

﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ
أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ
فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ

---

(١) ساقطة من ب.

إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا
طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ
أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ
وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ
كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟
مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ
وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب، أي: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى﴾ مقدار ﴿يَوْمَيْنِ﴾.

﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أمثالاً وأشباهاً تعبدونهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قدر على الخلق ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ومالك التصرّف فيهم.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض جبالاً ﴿رَوَٰسِىَ﴾ أي: ثوابت.

﴿مِن فَوْقِهَا﴾ جعلها فوق الأرض لتكون منافعها حاصلة لمن طلبها.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثر خيرها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومنافعهم ومعائشهم ﴿فِىٓ﴾ تتمة ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [من حين ابتداء الخلق][1]، كأنّه قال: كل ذلك في أربعة أيّام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان.

---

(١) ساقطة من ب.

وقرئ: ﴿سَوَآءَ﴾ بالحركات الثلاث، فالجر على الوصف لـ﴿أَيَّامٍ﴾، والنصب على استوت سواء أي: استواء، والرفع على هي سواء.

وتعلّق قوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ بمحذوف فكأنّه قال: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض وما فيها، أو يقدر، أي: قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ من قولك: استوى إلى مكان كذا: إذا توجه إليه توجهاً لا يلوي على شيء، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونحوه قولهم: استقام إليه وامتد إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾[1]. والمعنى: ثمّ دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك.

ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان، وقولها: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ أنّه أراد تكوينهما وإنشاءهما فلم تمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما، وليس هناك أمر على الحقيقة ولا جواب، وهو من المجاز الذي يسمّى التمثيل، بمعنى: إنّهما كانتا كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع، وخلق سبحانه جرم الأرض غير مدحوّة، ثمّ دحاها بعد خلق السماء، كما قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] فالمعنى: ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف: ائتي يا أرض مدحوّة قراراً لسكانك، وائتي يا سماء سقفاً مبنياً عليهم، ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع، كما يقال: أتى عمل فلان مقبولاً.

وقوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مثل للزوم تأثير قدرته فيهما، وانتصابهما على الحال،

---

(١) فصلت: ٦.

(٢) النازعات: ٣٠.

أي: طائعتين أو مكرهتين، ولما خوطبن جعلن مجيبات ووصفن بالطوع والكره، وقيل: طائعين في موضع طائعات[١] نحو قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢]، ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٣].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ على المعنى، ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسّراً بـ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾، والفرق بينهما أنّ سبع سماوات على الوجه الأوّل نصب على الحال، وفي الثاني نصب على التمييز.

﴿وَأَوْحَىٰ﴾ أي: خلق أو أمر ﴿فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ ما أمر به فيها ودبّره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك، أو شأنها وما يصلحها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ يهتدى بها.

﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع بالثواقب، ويجوز أن يكون مفعولاً له أي: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة فحذّرهم أن تصيبهم ﴿صَٰعِقَةً﴾ أي: عذاب شديد الوقع كأنّه صاعقة.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يريد: أتوهم من كل جانب فلم يروا منهم إلا العتو، وقيل: معناه: أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم، ومن عذاب الآخرة[٤]، لأنّهم إذا حذّروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمان الماضي، وما جرى فيه على أمثالهم، ومن جهة المستقبل وما سيجري

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٨١.

(٢) الأنبياء: ٣٣.

(٣) يوسف: ٤.

(٤) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٥: ١٧٤.

عليه.

(أن) في ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ بمعنى: أي، أو مخففة من الثقيلة، وأصله بأن لا تعبدوا أي: بأنّ الشأن والحديث قولنا لكم: لا تعبدوا، ومفعول ﴿شَآءَ﴾ محذوف، أي: لو شاء ربّنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة.

وحقيقة القوة زيادة القدرة، وهي في الإنسان صحّة البنية والاعتدال والشدّة والصلابة.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ كانوا يعرفون أنّها حقّ ولكنّهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة، وهو معطوف على ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾.

فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ
ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ
صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ
فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ
وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ
لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ
خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن
يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ
أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي
ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ عاصفة تصرصر، أي: تصوّت، والصرّة: الصيحة، وقيل:

باردة تحرق ببردها[١]، من الصرّ وهو البرد الذي يصرّ، أي: يجمع ويقبض.

﴿نَّحِسَاتٍ﴾ قرئ بكسر الحاء وسكونها، يقال: نحس نحساً فهو نحس، فالنحس يجوز أن يكون مخفف نحس، وأن يكون وصفاً بالمصدر، نحو: رجل عدل.

و﴿عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ [أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والهوان، على أنّه وصف للعذاب، كأنّه قال: عذاب خزي][٢] كما تقول: فعل السوء تريد: الفعل السيئ، والدليل عليه قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو أبلغ في الوصف، فإنّ قولك: هو شاعر، وله شعر شاعر، بينهما بون بعيد.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ أي: دللناهم على طريقي الضلالة والرشد، وبيّنا لهم سبيلي الخير والشرّ، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٣].

﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فاختاروا الكفر على الإيمان، والضلال على الرشد.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: قارعة العذاب وداهية العذاب، و﴿ٱلْهُونِ﴾: الهوان، وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه، وفي هذا حجّة بالغة على المجبرة.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ قرئ بالياء على البناء للمفعول، و﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع، ويحشر على البناء للفاعل، وأعداء بالنصب.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أوّلهم على آخرهم، أي: تستوقف سوابقهم حتى يدركهم لواحقهم.

---

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٤: ٦٦.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) البلد: ١٠.

و﴿مَا﴾ في قوله: ﴿إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ مزيدة للتأكيد، أي: لابد أن يكون وقت مجيئهم النار وقت الشهادة عليهم.

وأما كيفية نطق الجوارح فإنّ الله ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاماً، وقيل: إنّ الجلود كناية عن الفروج[١]، وأراد بـ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ كل شيء من الحيوان، ومعناه: إن نطقنا ليس بعجيب من قدرة الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ﴾ حيوان، ﴿وَهُوَ﴾ أنشأكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهو القادر على إعادتكم ورجعكم إلى جزائه.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ بالحجب عند ارتكاب المعاصي مخافة ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ جوارحكم لأنّكم لم تعلموا أنّها تشهد عليكم، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ من أعمالكم، وعن ابن عباس: قالوا: (إنّ الله لا يعلم ما في نفوسنا، إنّما يعلم ما يظهر)[٢].

و﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ رفع بالابتداء و﴿ظَنُّكُمُ﴾ و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبران، ويجوز أن يكون ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدلاً من ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ و﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ الخبر. وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ الله عند ظنّ عبده: إن خيراً فخيراً، وإن شرّاً فشرّاً))[٣].

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ
ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟
لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) عن عبيد الله بن أبي جعفر. تفسير الطبري ج٢٤: ٦٨.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٠.

(٣) الكافي ج٨: ٣٠٢.

عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ
غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

أي: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار.

﴿وَإِن﴾ يسألوا العتبى ويطلبوا الرضا لم يعتبوا ولم يجابوا إلى العتبى، ولم يعطوا الرضا.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾ أي: وقدّرنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أخداناً من الشياطين، جمع قرين وهو كقوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(١). والمعنى: إنّه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين.

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ ما تقدّم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، أو ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر العاقبة، وأن لا بعث ولا حساب.

---

(١) الزخرف: ٣٦.

﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: كلمة العذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في جملة أمم، ومثله قول الشاعر:

إِنْ تَـكُ عَـنْ أَحْسَـنِ المُرُوءَةِ مَـأْ ... فُـوكاً فَفِـي آخَرِيـنَ قَـدْ أُفِكُـوا[1]

يريد: فأنت في جملة آخرين، أو في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد، و﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في محلّ النصب على الحال من الضمير في ﴿عَلَيۡهِمُ﴾. ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير في ﴿لَهُم﴾ للأمم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ الذي يقرأه محمّد ولا تصغوا إليه.

﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يقال: لغي يلغى، واللغو: الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته، أي: واشتغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات وبالزجر والهذيان حتى تشوشوا عليه قراءته لتغلبوه بذلك، ولا يتمكّن أصحابه من الاستماع.

﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ معناه: إنّ النار في نفسها دار الخلد، كقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] [ومعناه: إنّ رسول الله أسوة حسنة][3]، وتقول: لك في هذا الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ﴾ يلغون فيها، فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو.

وقرئ: ﴿أَرۡنَا﴾ بسكون الراء لثقل الكسرة، كما قيل: فخذ في فخذ، أي

(١) شعر عروة بن أذينة: ٣٤٣.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) ساقطة من ب.

الشيطانين اللذين ﴿أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ لأنّ الشيطان ضربان: جني وإنسي ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار، والمراد به: ندوسهما ونطؤهما بأقدامنا ليكونا أشدّ عذاباً منا.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ ثمّ استمروا عليه وثبتوا على مقتضياته من أنواع الطاعة. وسأل محمّد بن الفضيل[1] علي بن موسى الرضاعليه السلام عن الاستقامة فقال: ((هي والله ما أنتم عليه))[2].

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت بالبشرى.

﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ بمعنى أي، أو مخففة من الثقيلة، وأصله: بأنّه لا تخافوا، والهاء ضمير الشأن، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه من فوت نفع أو حصول ضرر. والمعنى: إنّ الله كتب لكم الأمان من كل خوف وغم، وكما أنّ الشياطين قرناء من تقدّم، فالملائكة أولياء هؤلاء وأحبّاؤهم في الدارين.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: تتمنّون من النعيم، وفي بشراهم بولاية الملائكة إيّاهم في دنياهم وأخراهم، وإنالتهم في الجنّة مشتهياتهم وغاية متمنّاهم، دلالة على شرف هذه الطاعة التي هي الاستقامة، وأنّها أجلّ الديانات والدرجة القصوى فيها.

والنزل: رزق النزيل وهو الضيف، وانتصب على الحال من الموصول، أو من الضمير المنصوب المحذوف، لأنّ التقدير: ما تدعونه.

---

(١) محمّد بن الفضيل بن كثير الأزدي الكوفي الصيرفي، يرمى بالغلو، أدرك الامام الصادق والامام الكاظم والامام الرضاعليهم السلام، له كتاب. ينظر: معجم رجال الحديث ج١٧: ١٦١.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٢.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾
وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا
تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ
عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

من ﴿دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ والأئمّة الدعاة إلى الحقّ القائمون مقامه، وقيل: هم المؤذنون[1]. والآية عامة في كل من جمع بين الأوصاف الثلاثة: أن يكون موحداً معتقداً للحقّ عاملاً بالخير. والمعنى: إنّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فلا تستوي الأعمال الحسنة والأعمال السيئة، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فـ﴿ٱدْفَعْ﴾ بها السيئة الواردة عليك من بعض أعدائك، ومثال ذلك: إنّ الحسنة أن تعفو عنه و﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أن تحسن إليه في مقابلة إساءته، مثل أن يذمّك فتمدحه، فإنّك إذا فعلت ذلك صار الذي هو عدوك المناوئ مثل الولي الحميم المناسب المصافي.

وما يلقى هذه الخصلة الحميدة والسجية المرضية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكاره، و﴿إِلَّا ذُو﴾ نصيب و﴿حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الثواب والخير.

(١) عن عكرمة وغيره. الدر المنثور ج٥: ٣٦٤.

والنزغ والنسغ بمعنى، وهو شبه النخس، وكأن الشيطان ينخس الإنسان: إذا بعثه على بعض المعاصي، وأسند الفعل إلى النزغ كما قالوا: جدّ جدّه، أو وصف الشيطان وتسويله بالمصدر، والمعنى: وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرّه ولا تطعه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ أي: حججه وأدلّته على وحدانيته ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ وتقديرهما على حد مستقر ونظام مستمر ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ وما ظهر فيهما من التدبير والتسيير في فلك التدوير.

والضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ لجميعها، لأنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث، تقول: الدور رأيتها ورأيتهن، أو لأنّها في معنى الآيات فلذلك قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾. وموضع السجدة عند الشافعيّ ﴿تَعْبُدُونَ﴾[1] وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام[2]، وعند أبي حنيفة ﴿يَسْـَٔمُونَ﴾[3].

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ عبارة عن قرب المنزلة والكرامة والزلفى.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ
خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ
(٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

(١) المجموع ج٤: ٦٠.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٥.

(٣) البحر الرائق ج٢: ٢١٢.

حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو
مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا
فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى
وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

الخشوع في وصف الأرض مستعار لكونها يابسة غير ممطورة، لا نبات فيها، وهو خلاف وصفها بالاهتزاز، والربو وهو الانتفاخ: إذا أخصبت وتزيّنت بالنبات تشبيهاً لها بالمختال في زيّه، وشبّهت قبل بالذليل الخاضع في الأطمار الرثة، وقرئ: وربأت.

ولحد الحافر وألحد: إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحّة والاستقامة، وقرئ ﴿يُلْحِدُون﴾ ويَلْحَدُون على اللغتين.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ وعيد لهم على التحريف.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، والذكر: القرآن لأنّهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ منيع محمي بحماية الله.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ مثل، أي: لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات،

ونحوه: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، وعن السيّدين الباقر والصادق عليهما السلام: ((ليس في إخباره عما مضى، ولا في إخباره عما يكون في المستقبل باطل، بل أخباره كلها موافقة لمخبراتها))[٢].

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا﴾ مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن آمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن كذّبك، أو يكون المعنى: ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والمقول: إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم.

﴿وَلَوْ﴾ جعلنا القرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ بغير لغة العرب، وسمّوا من لم يبيّن كلامه من أي صنف كان من الناس أعجم، قال عنترة:

حِـزَقٌ يَمَانِيَـةٌ لِأَعْجَـمَ طِمْطِـمِ[٣]

﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: بيّنت بلسان نفقهه.

﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ والهمزة للإنكار، أي: قرآن أعجمي ورسول عربي، [أو مرسل إليه عربي][٤]، لأنّ مبنى الإنكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أنّ المكتوب إليه واحد أو جماعة.

﴿قُلْ هُوَ﴾ الضمير للقرآن ﴿هُدًى﴾ وإرشاد إلى الحقّ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في الصدور من الشك والظن، أو شفاء من الأدواء.

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٥.

(٣) شرح ديوان عنترة: ١٦٢، وصدره: يأوي الى قلص النعام كما أوت.

(٤) ساقطة من ب.

و﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إن عطفته على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كان في موضع جر على معنى قولك: وهو للذين لا يؤمنون ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، إلا أنّ فيه عطفاً على عاملين وقد أجازه الأخفش[1]، وإن جعلته مبتدأ فالخبر: هو ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ على حذف هو، أو في آذانهم منه وقر.

و﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ يعني: إنّهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصوّت به من مكان بعيد، لا يسمع من مثله الصوت فلا يسمع النداء.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أي: آمن به قوم وكذّب به آخرون، وهو تسلية لنبيّنا (صلوات الله عليه وآله).

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن قومك لفرغ من عذابهم واستئصالهم، وهي كقوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾[2].

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ

---

(١) المقتضب ج٤: ١٩٥.

(٢) القمر: ٤٦.

لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ
غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا
مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ
﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ
إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفع صلاحه.

﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إساءته دون غيرها.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: إذا سئل عنها قيل: الله يعلم، أو لا يعلمها إلا الله.

الأكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة. وقرئ: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ على الجمع.

﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ أضافهم إليه على زعمهم، وفيه تقريع على طريق التهكّم.

﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: ما منا أحد اليوم يشهد بأنّهم شركاؤك، وما منا أحد يشاهدهم، وذلك أنّهم ضلوا عنهم.

ومعنى ﴿ءَاذَنَّٰكَ﴾: أنّك تعلم من نفوسنا ذلك، أو هو كما تقول: أعلم الملك أنّه كان كيت وكيت، وعلّق ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ معنى الإعلام، لأنّ النفي له حكم الاستفهام في أنّ له صدر الكلام.

وكذا قوله: ﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ والمعنى: علموا أن لا مخلص لهم من

عذاب الله، عبّر بالظن عن العلم.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ من طلب السعة في المال والصحّة ﴿وَإِن مَّسَّهُ﴾ البلاء والشدّة ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ شديد اليأس مقطوع الرجاء من فضل الله وروحه، وهذه صفة الكافر بدلالة قوله: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١].

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: هذا حقّي وصل إليّ، لأنّي استوجبته بما عندي من فضل، أو هذا لي دائماً أبداً.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ كائنة ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ على ما يقوله المسلمون ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ﴾ الحالة الحسنى وهي الجنّة، أي: سيعطيني في الآخرة مثل ما أعطاني في الدنيا.

[﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾][٢] استعار العرض لكثرة الدعاء ودوامه كما استعار الغلظ لشدّة العذاب. وقرئ: وناْى بإمالة الألف وكسر النون، وناْء على القلب كما قيل: راء في رأى، ويريد ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ نفسه وذاته، فكأنّه قال: ونأى بنفسه، أو يريد ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ عطفه، ومعناه: انحرف وازور، كما قيل: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[٣]، و﴿تَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾[٤].

﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وقد ﴿كَفَرۡتُم بِهِۦ﴾، وكان الكسائي يحذف همزة رأى إذا كان مع همزة الاستفهام، نحو: أريتم وأريتكم في جميع القرآن استثقالاً للهمزتين، ولا يحذف في غيرها، نحو: رأى القمر

---

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) الحج: ٩.

(٤) الذاريات: ٣٩.

ورأى الشمس.

﴿مَنۡ أَضَلُّ﴾ منكم وأنتم بلغتم الغاية في المشاقة والمناصبة؟.

فوضع ﴿مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ موضع (منكم) بياناً لصفتهم.

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في نصرة رسولنا محمّد ﷺ ﴿فِي﴾ آفاق الدنيا من الفتوح، ومن الإظهار على الأكاسرة والملوك، وتغليب العدد القليل على الكثير، والأمور الخارجة عن المعهود ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يوم بدر، أو يوم فتح مكة.

﴿بِرَبِّكَ﴾ مرفوع الموضع بأنّه فاعل كفى، و﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ بدل منه، وتقديره: أولم يكفهم أنّ ربّك على كل شيء شهيد. والمعنى: إنّ الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبيّنون عند ذلك أنّ القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطّلع مهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنّه حقّ وأنّه من عنده.

سورة الشورى

مكية غير آيات منها، وهي ثلاث وخمسون آية كوفي، خمسون في الباقي، عدّ الكوفي ﴿حم﴾ و﴿عسق﴾ و﴿كَالْأَعْلَامِ﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ سورة (حم عسق) كان ممن تصلي عليه الملائكة، ويستغفرون له))[1]، عن الصادق عليه السلام: ((من قرأها بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر... الخبر بطوله))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣٠١.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٣ باختلاف.

حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الوحي يوحي إليك وإلى الأنبياء ﴿مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ يعني: إنّ ما تضمّنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه إلى من قبلك، على معنى: إنّ الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية، لما فيها من المنافع الدينية لعباده. وقرئ: يوحى إليك، وعلى هذا فإنّما يرتفع اسم الله بما دلّ عليه ﴿يُوحِيٓ﴾، فكأنّ قائلاً قال: من الموحي؟ فقيل: الله.

﴿تَكَادُ﴾ قرئ بالتاء والياء، وقرأ [ابن كثير][1]: ينفطرن و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ ومعناه: يتشققن من علو شأن الله وعظمته، بدلالة مجيئه بعد قوله: ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقيل: من دعائهم له ولداً[2].

﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: يكاد يبتدأ الانفطار من جهتهن الفوقانية التي هي أعظم آيات الجلال والعظمة، وهي العرش والكرسي، وقيل: من فوق الأرضين، وعن الصادق عليه السلام: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ يحفظ عليهم أعمالهم ولم توكّل لحفظها، فلا يضيقن صدرك

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٨: ٣٠٣.

تكذيبهم إيّاك.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها من أنّ الله هو الحفيظ عليهم وما أنت بحفيظ عليهم ولكن نذير لهم، لأنّه قد تكرر ذكره في مواضع من التنزيل، فالكاف مفعول به لـ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾، و﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ حال من المفعول به، أي: أوحيناه إليك وهو قرآن عربي.

ويجوز أن يكون (ذلك) إشارة إلى مصدر ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾ أي: ومثل ذلك الإيحاء البيّن أوحينا إليك قرآناً عربياً بلسانك ﴿لِّتُنذِرَ﴾ أهل ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ وهي مكة ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من سائر الناس، وتنذرهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين، يقال: أنذرته كذا وأنذرته بكذا، فقد عدّي الأوّل إلى المفعول الأوّل والثاني إلى المفعول الثاني وهو يوم الجمع، وقيل: يجمع فيه بين الأرواح والأجساد، وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله.

و﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محلّ له.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئة قدرة لأجبرهم جميعاً على الإيمان، ولكنّه شاء مشيئة حكمة أن يكلّفهم، وبنى أمرهم على الاختيار ليدخل المؤمنين ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾.

﴿أَمِ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار.

﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ هو الذي يجب أن يتولى وحده، ويعتقد أنّه الحقيق بالولاية دون غيره، والفاء جواب شرط مقدّر كأنّه قال بعد إنكار كل ولي سواه: إن أرادوا ولياً بحقّ فالله هو الولي الحقّ، ومن شأن هذا الولي أنّه ﴿يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فهو الحري بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ حكاية قول الرسول ﷺ للمؤمنين، ومعناه:

ما تختلفون فيه من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يثيب المحقّ ويعاقب المبطل.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الحاكم ﴿ٱللَّهُ﴾ هو ﴿رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في رد كيد الأعداء ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ في جميع الأمور.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿فَاطِرُ﴾ خبر بعد خبر لـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: خلق لكم من جنسكم ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ وخلق الأنعام أيضاً من أجناسها ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾.

﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يكثركم ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل بين الذكور

والإناث من الناس والأنعام التوالد والتناسل، والضمير في ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يرجع إلى المخاطبين والأنعام.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ وهو كقولهم: مثلك لا يبخل، والمراد: نفي البخل عن ذاته، وهو من باب الكناية، لأنّهم إذا نفوا الشيء عمن يسدّ مسدّه فقد نفوه عنه، فالمعنى: نفي المماثلة عن ذاته سبحانه، فلا فرق بين أن يقال: ليس كالله شيء، وأن يقال: ليس كمثله شيء، إلا فائدة الكناية، وقيل: كررت كلمة التشبيه للتأكيد[1] كما كررت في قول الشاعر:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْثَفَيْنْ[2]

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ دين نوح ومحمّد ومن بينهما من الأنبياء، ثمّ فسّر المشروع الذي اشترك هؤلاء الرسل فيه بقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ والمراد: إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وحججه وباليوم الآخر. ومحلّ ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ﴾ نصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾ والمعطوفين عليه.

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: عظم عليهم وشق.

﴿يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ﴾ والضمير لـ﴿ٱلدِّينِ﴾ أي: يجتلب إليه بالتوفيق ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من يجدي عليهم لطفه.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني: أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ﴾ أن علموا أنّ الفرقة ضلال وفساد.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٣٩٥.

(٢) الرجز لخطام المجاشعي. خزانة الأدب ج٢: ٣١٣.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي عدّة التأخير ﴿إِلَىٰٓ﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حين افترقوا لعظم ما اقترفوا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﴿لَفِى شَكٍّ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حقّ الإيمان. وقيل: وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله[(١)]، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ العرب، والكتاب: القرآن.

﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ أي: فلأجل ذلك التفرّق ﴿فَٱدْعُ﴾ إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفة ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ المختلفة الباطلة ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتب على الأنبياء قبلي ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الدعاء إلى الحقّ ولا أحابي أحداً، أو أعدل بينكم في جميع الأشياء.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [أي: لا خصومة لأنّ الحقّ قد ظهر، والحجّة قد لزمتكم فلا حاجة إلى المحاجة، والمعنى: لا إيراد حجّة بيننا وبينكم][(٢)].

﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾
يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ
مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ

---

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٨: ٣٠٦.

(٢) ساقطة من ب.

لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي﴾ دين ﴿ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: استجابوا للنبيّ ﷺ إلى ما دعاهم إليه ودخلوا في الإسلام لظهور حجّته بالمعجزات والآيات التي أظهرها الله سبحانه فيه.

﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة، سمّى شبهتهم حجّة على حسب اعتقادهم.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ﴾ جنس ﴿ٱلۡكِتَٰبَ ...وَٱلۡمِيزَانَ﴾ أي: وأنزل العدل والتسوية في كتبه المنزلة، وقيل: الميزان الذي يوزن به أنزله من السماء[1].

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ملتبساً بالحقّ مقترناً به، أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة، أو بالواجب من التحريم والتحليل وغير ذلك.

﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في تأويل البعث، فلذلك قال: ﴿قَرِيبٌ﴾، أو لعل مجيء الساعة قريب.

﴿يُمَارُونَ﴾ يلاجون ويخاصمون في مجيء الساعة.

﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ من الحقّ، لأنّ قيام الساعة غير مستبعد من قدرة القادر بالذات، ولدلالة الكتاب المعجز على أنّها آتية لا ريب فيها، ولقيام دليل العقل على أنّه لابد من دار جزاء.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ أي: برّ بهم، بليغ البر، قد وصل برّه إلى جميعهم، وإلى

---

(١) تفسير الماوردي ج٥: ٢٠٠.

حيث لا يبلغه وهم أحد منهم.

سمّي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة حرثاً على المجاز، وفرّق بين عمل العاملين بأنّ من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن عمل للدنيا أُعطي شيئاً منها لا ما يبتغيه، وما له نصيب قط في الآخرة، ولم يذكر في معنى عامل الآخرة: وله في الدنيا نصيب مع أنّ رزقه المقسوم له لابد أن يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من الفوز والسعادة في المآب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ
ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ
وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى
رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

[﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾][١] الهمزة في ﴿أَمْ﴾ للتقريع والتقرير، وشركاؤهم: شياطينهم الذين زيّنوا لهم الشرك، والعمل للدنيا، وإنكار الحشر والجزاء وما لم يأمر الله به ولا أذن فيه.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ في تأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرغ من عذابهم في الدنيا.

﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين خوفاً شديداً، أرق قلوبهم ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ وجزاؤه ووباله واقع بهم، واصل إليهم، أشفقوا أو لم يشفقوا، والضمير لكسبهم الذي دلّ عليه ما كسبوا.

والروضة: الأرض الخضرة بحسن النبات، وكأنّ ﴿رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أطيب البقاع فيها وأنزهها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ ويشتهون. وانتصب ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بالظرف لا بـ﴿يَشَآءُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ العظيم، والنعيم المقيم الذي يستأهل أن يسمّى كبيراً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ به ﴿عِبَادَهُ﴾ فحذف الجار كما في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[٢]، ثمّ حذف الضمير العائد إلى الموصول، أو ذلك التبشير الذي يبشّر الله عباده المؤمنين الصالحين ليستبشروا بذلك في الدنيا. وقرئ: ﴿يُبَشِّرُ﴾ من: بشره، ويبشر من: أبشره. وروي: أنّ المشركين قالوا فيما بينهم: أترون محمّداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية[٣].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) أسباب النزول: ٢٦٥.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلا هذا، وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، ومعنى ﴿فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أنّه جعلهم مكاناً في المودة ومقراً لها، كما تقول: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم حبّ شديد، تريد: أحبّهم، وهم مكان حبّي ومودّتي. وليست ﴿فِي﴾ بصلة لـ﴿ٱلۡمَوَدَّةَ﴾ كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى، وإنّما هي متعلّقة بمحذوف كما يتعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره: إلا المودّة ثابتة في القربى. وعن ابن عباس: إنّها لما نزلت قالوا: مَن قرابتك هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: ((عليّ وفاطمة وولدهما))[1]. وروى زاذان[2] عن عليّ عليه السلام قال: ((فينا في آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ هذه الآية))[3]. وإلى ذلك أشار الكميت في قوله:

وَجَدْنَـا لَكُـمْ فِي آلِ حـم آيَـةً   تَأَوَّلَهَـا مِنَّـا تَقِـيٌّ وَمُعْـرِبُ[4]

﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾ عن السدي: (أنّ الحسنة: المودّة في آل رسول الله)[5]، وزيادة حسنها من جهة الله عزّ اسمه: مضاعفتها، كقوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا

---

(١) معجم الطبراني الكبير ج١١: ٣٥١.

(٢) زاذان أبو عمرو الكندي مولاهم الكوفي الفارسي، من أصحاب علي عليه السلام روى عنه وعن عدد من الصحابة. ينظر: ميزان الاعتدال ج٢: ٦٣، معجم رجال الحديث ج ٧: ٢١٣.

(٣) شواهد التنزيل ج٢: ١٤٢.

(٤) شرح الهاشميات: ٤٠.

(٥) الكشف والبيان ج٨: ٣١٤.

﴿كَثِيرَةً﴾[١].

والشكور في صفة الله تعالى مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها، والتفضل على المثاب.

﴿أَمۡ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة فيها: التوبيخ، كأنّه قال: أينسبون مثله إلى الافتراء، ثمّ إلى الافتراء على الله الذي هو أفحش الفرى وأعظمها.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب، فإنّه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله، لأنّه في البعد مثل الشرك بالله، والدخول في جملة المختوم على قلوبهم.

ثمّ أخبر سبحانه أنّه يبطل ما يقولونه بقوله: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ أي: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ﴿وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ﴾ ويثبّته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ بوحيه أو بقضائه، كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾[٢]، فهو يمحق الباطل الذي هم عليه من تكذيبك والبهت عليك، ويثبّت الحقّ الذي أنت عليه وينصرك عليهم. يقال: قبلت الشيء منه وقبلته عنه، فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي، ومعنى قبلته عنه: عّلته عنه وأبنته عنه.

والتوبة: أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب، بأن يندم عليها ويعزم على أن لا يعاود في المستقبل، لأنّ المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب، وإن كان فيه لعبد حقّ لم يكن بد من التقصّي على طريقه. وقرئ ﴿مَا تَفۡعَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله:

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) الأنبياء: ١٨.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾[(١)]، أي: يقبل طاعاتهم وعباداتهم ﴿وَيَزِيدُهُم﴾ على ما يستحقّونه من الثواب تفضّلاً، وإذا دعوه استجاب لهم دعاءهم وزادهم على مطلوبهم. وعن عبد الله عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: ((أنّه الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسن إليهم في الدنيا))[(٢)].

[﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾][(٣)] أي: لو وسّع الله الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه ﴿لَبَغَوْا﴾ وظلموا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يظلم هذا ذاك، وذاك هذا، لأنّ الغنى مأشرة مبطرة وكفى بحال قارون عبرة، ولكنّه ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ أي: بتقدير. وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف على أمّتي زهرة الدنيا وكثرتها))[(٤)]. ويجوز أن يكون من البغي الذي هو البذخ والتكبر، أي: لتكبروا في الأرض وفعلوا ما يدعو إليه الكبر من الفساد فيها، ولا شبهة أنّ كلا الأمرين مع الفقر أقل ومع البسط أكثر.

﴿إِنَّهُۥ.. خَبِيرٌۢ﴾ بأحوال عباده ﴿بَصِيرٌ﴾ بمصالحهم ومفاسدهم.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ

---

(١) المطففين: ٣.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج١٠: ٢٠١.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) تفسير الطبري ج٢٥: ١٩.

﴿ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ
﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

يريد بـ﴿رَحْمَتَهُۥ﴾: بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب بإخراج النبات والثمار، ويجوز أن يريد: رحمته في كل شيء، أي: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وينشر غيرها من رحمته الواسعة.

﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مجروراً ومرفوعاً عطفاً على المضاف إليه أو المضاف، وقال: ﴿فِيهِمَا﴾ والدواب في الأرض لأنّ الشيء يجوز أن ينسب إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾(١) وإنّما يخرج من الملح، ويجوز أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الإنسان، ولا يبعد أن يكون في السماوات من يمشي فيها كما يمشي الأناسي في الأرض.

وقرئ: بما كسبت بغير فاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة، على أن يكون بما كسبت خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَا أَصَٰبَكُم﴾ من غير تضمين معنى الشرط، والآية مخصوصة بالمجرمين، ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم في الدنيا ويعفو عن بعض، فأما من لا جرم له من المعصومين أو غير المكلفين من الأطفال والمجانين، فإذا أصابهم شيء من الآلام من مرض وغيره فللعوض الموفى عليه والغرض الذي هو المصلحة. وعن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ((خير آية في كتاب الله هذه الآية، يا عليّ ما من خدش عود ولا نكبة قدم إلا بذنب، وما عفا الله

(١) الرحمن: ٢٢.

عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثنّي على عبده))[١].

والأعلام: الجبال، واحدها علم، قالت الخنساء:

وَإِنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ   كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ[٢]

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ وقرئ بحذف الياء وإثباتها، والقياس الإثبات، وحذف هذه الياءات قد كثر في كلامهم فصار مثل القياس، وهي السفن الجارية.

﴿إِن يَشَأْ﴾ الله ﴿يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ فتبقى السفن راكدة واقفة ﴿عَلَىٰ﴾ ظهر الماء، فجعل سبحانه بكمال قدرته هبوب الريح في الجهة التي تسير إليها السفينة.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلاء الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن المخلص.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يهلكهن بأن يرسل الريح عاصفة فيغرقهن بسبب ﴿مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها. وعطف ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾ على ﴿يُسْكِنِ﴾ لأنّ المعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها.

وقرئ: ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنصب والرفع فأما النصب فللعطف على تعليل محذوف، وتقديره: لننتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه كثير في التنزيل، منه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[٣]، ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٤]. وأما الرفع فعلى الاستئناف.

---

(١) ينظر: الكافي ج٢: ٤٤٥، وشعب الإيمان ج٧: ١٥٣.

(٢) ديوان الخنساء: ٤٩.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

(٤) الجاثية: ٢٢.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ
لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ
ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ
سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ
مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ
مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ
مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ
ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ
إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ
يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

وقرئ: كبير الإثم على التوحيد، وجاز أن يراد به الجمع كما في قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1]. وفي الحديث: ((منعت العراق درهمها وقفيزها))[2].

(١) النحل: ١٨.

(٢) صحيح مسلم ج٨: ١٧٥.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وكذلك ما بعده.

﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول أحلام غيرهم من الناس، فهذه فائدة ﴿هُمْ﴾ وإيقاعه مبتدأ، ومثله ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾.

والشورى: مصدر بمعنى التشاور، أي: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وقيل: إنّ المعني بالآية الأنصار تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ لما ورد النقباء عليهم من عنده، فاجتمعوا في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له[١].

والمنتصرون [هم المؤمنون][٢] الذين أخرجوا من مكة وبغى عليهم الكفار، ثمّ مكّنهم الله فانتصروا منهم.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سمّى سبحانه كلتا الفعلتين: الأولى وجزاءها سيئة، لأنّها تسوء من تنزل به. ومعناه: إنّه إذا قوبلت الإساءة وجب أن يقابل بمثلها من غير زيادة.

﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عما له المؤاخذة به ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره فيما بينه وبين ربّه، أو بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ عدة مبهمة لا يحاط بكنهها في العظم.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه دلالة على أنّ الانتصار لا يؤمن فيه تجاوز النصفة والسوية والاعتداء، لا سيما في حال الغضب، فربّما كان المنتصر ظالماً من حيث لا يشعر. وفي الحديث: ((إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنّة، فيقال: من ذا الذي أجره على الله؟ فيقال: العافون عن الناس،

---

(١) عن الضحاك تفسير الماوردي ج٥: ٢٠٦.

(٢) ساقطة من ب.

يدخلون الجنّة بغير حساب))[1].

﴿بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ أضاف المصدر إلى المفعول، أي: بعد أن ظُلم وتعدّي عليه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى معنى (من) دون لفظه ﴿مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ للمعاقب ولا للعائب ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ أي: العقاب والذم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ابتداء.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والمغفرة منه ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ وحذف الراجع، للعلم به كما حذف من قولهم: السمن منوان بدرهم. و عزم الأمور: هو الأخذ بأعلاها في باب نيل الثواب والأجر.

﴿خَٰشِعِينَ﴾ متواضعين متضائلين مما يلحقهم ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: يبتدئ نظرهم من تحريك ضعيف لأجفانهم، خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف لا يملأ أجفانه منه كما يفعله الناظر إلى ما يحبّه.

وقوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إن تعلّق بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾ كان قول المؤمنين واقعاً في الدنيا، وإن تعلّق بـ﴿قَالَ﴾ فالمعنى: يقولون يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ في الحقيقة هم الذين فوتوا ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ الانتفاع بنعيم الجنّة وخسروا ﴿أَهۡلِيهِمۡ﴾ وأولادهم وأزواجهم إذ حيل بينهم وبينهم، أو أهليهم من الحور العين.

ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ

---

(١) شعب الإيمان ج٦: ٣١٥.

أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ
ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ
إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ
مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ
تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ
مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: من صلة ﴿لَّا مَرَدَّ﴾ أي: لا يردّه الله بعدما حكم به، أو من صلة ﴿يَأْتِىَ﴾ أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، والنكير: الإنكار والتغيير.

والمراد بالإنسان هنا الجمع لا الواحد لقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ والمعني بهم المجرمون، لأنّ إصابة السيئة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ لا يستقيم إلا فيهم.

والمراد بالرحمة: النعمة من الصحّة والعافية والغنى والأمن، وبالسيئة: البلاء من القحط والمرض والفقر والمخاوف، والكفور: البليغ في الكفران، ولم يقل: فإنّه كفور ليسجل على أنّ هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[٢] أي: يذكر البلاء وينسى النعم.

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) العاديات: ٦.

ولما ذكر سبحانه إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها عقّب ذلك بأنّ له ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأنّه يقسم كيف شاء النعمة والبلاء، و﴿يَهَبُ﴾ كيف أراد لعباده الأولاد فيخصّ بعضهم بالإناث، وبعضهم بالذكور، وبعضهم بالصنفين جميعاً، ويعقم منهم من يشاء فلا يهب له ولداً.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [وما صحّ لأحد من البشر](١) ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ إلا على أحد ثلاثة أوجه: إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام، كما أوحى إلى أم موسى، وإلى إبراهيم في ذبح ولده، وأوحى إلى داود الزبور في صدره؛ وإما أن يسمعه كلامه الذي يحدثه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلّمه، لأنّه في ذاته غير مرئي.

وقوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [مثل أي: كما يكلّم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء حجاب](٢) فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كلّم [سبحانه موسى ويكلّم الملائكة؛ وإما على أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحي الملك إليه، كما كلّم](٣) غير موسى من الأنبياء. وقيل: ﴿وَحْيًا﴾ كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملك.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ نبيّاً كما كلّم أمم الأنبياء على ألسنتهم.

و﴿وَحْيًا﴾ و(أن يرسل) مصدران وقعا موقع الحال، كما يقال: جئت ركضاً، وأتيت مشياً، لأنّ (أن يرسل) في معنى إرسالاً، و﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ ظرف وقع

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ب .

موقع الحال أيضاً كقوله: ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾[١]، وتقديره: وما صحّ أن يكلّم الله واحداً إلا موحياً، أو مسمعاً من وراء حجاب، أو مرسلاً رسولاً.

ويجوز أن يكون ﴿وَحْيًا﴾ موضوعاً موضع كلاماً لأنّ الوحي كلام خفي في سرعة، كما يقول: لا أكلّمه إلا جهراً، لأنّ الجهر ضرب من الكلام، وكذلك إرسالاً جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة، تقول: قلت لفلان كذا، وإنّما قاله وكيلك أو رسولك، وقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [معناه: أو إسماعاً من وراء حجاب][٢]. ومن جعل ﴿وَحْيًا﴾ في معنى أن يوحى وعطف ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ عليه على معنى: وما كان لرسول أن يكلّمه الله إلا بأن يوحي أو بأن يرسل، فلا بد أن يقدر قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ تقديراً يطابقهما عليه، نحو أو أن يسمع من وراء حجاب. وقرئ: أو يرسل فيوحي بالرفع على أو هو يرسل، أو هو بمعنى مرسلاً عطفاً على ﴿وَحْيًا﴾ في معنى موحياً.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على الحكمة، فيكلّم تارة بواسطة، وأخرى بغير واسطة: إما إلهاماً أو خطاباً.

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعني: القرآن، لأنّ الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح، وقيل: هو روح القدس، وقيل: هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يعني: معالم الإيمان من الشرائع.

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن الصادق عليه السلام. بصائر الدرجات: ٤٨١.

سورة الزخرف

مكية، وقيل: إلا آيات، وروي: أنّ قوله: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا**﴾ نزلت ببيت المقدس، وقيل: إنّ قوله: ﴿**فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ... الآيات**﴾ نزلت في حجّة الوداع. تسع وثمانون آية ﴿**حم**﴾ كوفي، ﴿**هُوَ مَهِينٌ**﴾ بصري.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الزخرف) كان ممن يقال له يوم القيامة: (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من أدمن قراءة (حم الزخرف) آمنه الله في قبره من هوام الأرض، ومن ضمة القبر))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾
أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ
﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣٢٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٣.

﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠﴾

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ القرآن، وهو البيّن للذين أنزل عليهم لأنّه بلغتهم، وقيل: الذي أبان طريق الهدى وما تحتاج إليه الأمة من الحرام والحلال وشرائع الإسلام[1].

و﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ جواب القسم، وهو بمعنى صيّرناه فتعدّى إلى مفعولين، أو تعدّى إلى مفعول واحد على معنى خلقناه. و﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ حال، ولعل مستعار بمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي، أي: خلقناه عربياً غير عجمي إرادة أن يعقله العرب، ولئلا يقولوا: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[2].

وقرئ: إم الكتاب بكسر الهمزة وهي اللوح، كقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[3]، سمّي بأم الكتاب لأنّه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب، منه تنقل وتستنسخ.

﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي: عال رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها.

﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أي: منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه، وهو مثبت في أم الكتاب هكذا.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز، من قولهم: (ضرب الغرائب عن الحوض)[4]. و(الفاء) للعطف على

(١) عن مقاتل. تفسير الماوردي ج٥: ٢١٤.

(٢) فصلت: ٤٤.

(٣) البروج: ٢١، ٢٢.

(٤) مجمع الأمثال ج٢: ٢٦٠ باختلاف.

محذوف تقديره: أنهملكم فنضرب عنكم الذكر.

﴿صَفۡحًا﴾ على وجهين: إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض، انتصب على أنّه مفعول له على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن إعراضاً عنكم، وإما بمعنى الجانب فانتصب على الظرف كما تقول: فلان يمشي جانباً.

﴿أَن كُنتُمۡ﴾ لأن كنتم. وقرئ إن كنتم، وإنّما استفهام معنى الشرط وقد كانوا ﴿مُّسۡرِفِينَ﴾ على القطع، لأنّه من الشرط الذي يصدر عن المدل بصحّة الأمر المتحقّق لثبوته، كما يقول الأجير: إن كنت عملت لك فوفّني حقّي، وهو عالم بذلك ولكنّه يخيل في كلامه أنّ تفريطك في الخروج عن الحقّ فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالاً له.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية مستمرة، وهي تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه.

الضمير في ﴿أَشَدَّ مِنۡهُم﴾ للمسرفين، لأنّه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ يخبره عنهم.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي: سلف في القرآن في مواضع منه ذكر قصّتهم التي سارت مسير المثل، وهذا وعد لرسول الله ﷺ ووعيد لهم.

﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ لينسبنّ خلقها إلى الله العزيز، وليسندنّه إليه.

وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ
تُخۡرَجُونَ ١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ
وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ

رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا
وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟
لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ
مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم
بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟
خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ
مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

﴿بِقَدَرٍ﴾ بمقدار الحاجة ولم يكن طوفاناً يضرّ البلاد والعباد.

و﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف.

و﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: تركبونه في البر والبحر، يقال: ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك، فغلب المتعدّي بغير واسطة لقوته على المتعدّي بواسطة وإن كان الجنسان مذكورين.

﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي: على ظهور ما تركبونه، و﴿تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ عليكم، وهو أن تعترفوا بها في قلوبكم مستعظمين لها، ثمّ تحمدوه عليها بألسنتكم. وهو ما روي أنّ النبيّ ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبّر ثلاثاً وقال: ((سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البرّ والتقوى والعمل بما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال، اللهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال، وإذا

رجع قال: آيبون تائبون لربّنا حامدون))(١). وعن الصادق عليه السلام قال: ((ذكر النعمة أن تقول: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلّمنا القرآن، ومنّ علينا بمحمّد صلى الله عليه وآله، وتقول بعده: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ... إلى آخره﴾))(٢).

﴿مُقۡرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، وحقيقة أقرنه: وجده قرينته وما يقرن به، لأنّ الصعب لا يقرن بالضعيف، ولما كان الركوب مباشرة أمر ذو خطر، فمن حقّ الراكب أن لا ينسى انقلابه إلى الله، ولا يدع ذكر ذلك حتى يكون مستعداً للقاء الله.

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًا﴾ متصل بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ أي: إن سألتهم عن الخالق اعترفوا به، وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءاً بأن قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه، كما يكون الولد بضعة من والده، فوصفوه بصفة المخلوقين.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ جحود النعمة ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر جحوده، لأنّ نسبة الولد إليه كفر، والكفر أصل الكفران كله.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾ بل اتخذ، الهمزة للإنكار تجهيلاً لهم وتعجيباً من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءاً، حتى جعلوا ذلك الجزء أدون الجزأين، وهو الإناث دون الذكور، على أنّهم أمقت خلق الله للإناث حتى أنّهم كانوا يئدونهن.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ بالجنس الذي جعله لله ﴿مَثَلٗا﴾ أي: شبهاً، لأنّه إذا جعل الملائكة جزءاً له وبعضاً منه فقد جعله من جنسه ومماثلاً له، لأنّ الولد إنّما يكون من جنس الوالد.

---

(١) مسند أحمد ج٢: ١٥٠، الكافي ج٤: ٢٨٤ باختصار.

(٢) الكافي ج٤: ٢٨٥.

﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ غيظاً وأسفاً ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الكرب.

ثمّ قال: أو يجعل للرحمن من الولد من هذه صفته وهو أنّه ﴿يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ أي: يتربّى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومخاصمة الرجال كان ﴿غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان يحج به من خاصمه، وذلك لضعف عقول النساء.

وقرئ: ينشأ و﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ وقرئ: عند الرحمن وهو مثل لاختصاصهم وزلفاهم و﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ومعنى ﴿جَعَلُواْ﴾ سمّوا وقالوا: إنّهم إناث، وقرئ: أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة، وآأشهدوا بألف بين الهمزتين، وهذا تهكّم بهم. يعني: إنّهم كانوا يقولون ذلك بغير علم ودليل، فلم يبق إلا أن يشاهدوا ﴿خَلۡقَهُمۡ﴾ فأخبروا عن المشاهدة.

﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ وهذا وعيد.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۖ﴾ هما نوعان من الكفر: عبادتهم الملائكة، وزعمهم أنّ عبادتهم بمشيئة الله كما قال إخوانهم المجبرة، ثمّ كذّبهم سبحانه بقوله: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ أي: يكذبون.

أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ
قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ
﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ
﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ

إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ
إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ
مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

أي: أهذا شيء يخرصونه ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا﴾ قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر إلينا فهم ﴿مُسۡتَمۡسِكُونَ﴾ به، بل لا حجّة لهم يستمسكون بها إلا قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ أي: دين وملة وطريقة.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ خبران لـ(إنّ) أو الظرف صلة لـ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾، [والجملة الابتدائية خبر][1].

و﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾: الذين أترفتهم النعمة، أي: أبطرتهم فآثروا الترفه على طلب الحجّة، وعافوا مشاق التكليف، وكل فريق يقلد أسلافه.

وقرئ: قل، و﴿قَٰلَ﴾ أي: قال لهم النذير، وقل حكاية لما أوحي إلى النذير، أي: قل لهم ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم﴾. وقرئ: جئناكم، أي: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؟.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا﴾ ثابتون على دين آبائنا وإن جئتنا بما هو أهدى.

﴿بَرَآءٞ﴾ يستوي فيه الواحد والاثنان والجماعة، والمذكر والمؤنث لأنه مصدر، يقال: نحن البراء منك والخلاء منك.

---

(١) ساقطة من ب، ج.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يجوز أن يكون منصوباً على أنّه استثناء منقطع، كأنّه قال: لكن الذي فطرني وأنشأني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾، وأن يكون مجروراً بدلاً من المجرور بمن كأنّه قال: إنّي براء مما تعبدون إلا من الذي فطرني. وعن قتادة: (كانوا يقولون: الله ربّنا مع عبادتهم الأصنام)[١]. ويجوز أن يكون (ما) موصولة في (ما تعبدون)، و﴿إِلَّا﴾ صفة بمعنى غير، ويكون التقدير: إنّني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلّم بها ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعو إلى توحيده، وقيل: جعلها الله[٢]. وعن الصادق عليه السلام: ((الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم القيامة))[٣]. وعن السدي: (هم آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم)[٤].

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحّد منهم.

﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة وهم من عقب إبراهيم بالمدّ في العمر والنعمة، فاغترّوا بالمهلة، وشغلوا باتباع الشهوات عن كلمة التوحيد.

﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ الرسالة واضحها بما معه من المعجزات، فكذبوه وسمّوه ساحراً وما جاء به سحراً.

وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ

---

(١) تفسير الطبري ج٢٥: ٣٨.

(٢) إعراب القرآن ج٤: ١٠٦.

(٣) معاني الأخبار: ١٣٠.

(٤) تفسير الطبري ج٢٥: ٣٩.

وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ
وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ
أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن
فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا
يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ
وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي
وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ
إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ
أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾

القريتان: مكة والطائف، ﴿مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ من إحدى القريتين، وقيل: من رجلي القريتين وهما: الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمرو الثقفي من الطائف عن ابن عباس[١]، والوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي عن قتادة[٢]، وأراد بعظم الرجل رئاسته في الدنيا.

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ الهمزة للإنكار والتعجّب من اعتراضهم وتحكّمهم، أي: أهم المدبّرون لأمر النبوّة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولون لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بحكمته، ثمّ ضرب لهم مثلاً فأعلم أنّهم عاجزون عن تدبير مصالحهم في دنياهم، وأنّه سبحانه قسم بينهم

(١) تفسير الطبري ج٢٥: ٤٠.

(٢) تفسير الطبري ج٢٥: ٤٠.

معيشتهم وقدرها، وفضّل بعضهم على بعض فيها فجعل منهم أغنياء ومحاويج، وأقوياء وضعفاء، ليستخدم ﴿بَعْضُهُم﴾ بعضاً ويسخروهم في أشغالهم حتى يصلوا إلى منافعهم، ولم يولهم ذلك التدبير ولم يفوضه إليهم مع قلة خطره، فكيف يكون اختيار النبوّة إليهم مع جلالة قدرها وعظم خطرها وكونها رحمة الله الكبرى؟!.

ثمّ قال: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ يريد: وهذه الرحمة التي هي دين الله وما يتبعه من الفوز والثواب ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ يجمع هؤلاء من حطام الدنيا.

ثمّ أخبر سبحانه عن هوان الدنيا وقلة خطرها عنده فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا﴾ للكفار سقوفاً ومصاعد، و﴿أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾ من فضة [وجعلنا لهم ﴿زُخْرُفًا﴾ أي: زينة من كل شيء، والزخرف: الذهب والزينة. ويجوز أن يكون الأصل: سقفاً من فضة][١] وزخرف، يعني: بعضها من فضة وبعضها من ذهب، فنصب ﴿زُخْرُفًا﴾ عطفاً على محلّ ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾. وقوله: ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾ وقرئ: سَقْفاً بفتح السين وسكون القاف، و﴿سُقُفًا﴾ بضمهما، جمع سقف كرهن ورهن.

﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع معرج، أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد إلى العلالي، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: على المعارج يظهرون السطوح: يعلونها كما في قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾[٢].

وقرئ ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف والتشديد، فالتخفيف على أنّ اللام هي الفارقة بين النفي والإثبات، و(إن) هي المخففة من الثقيلة وما مزيدة، والتشديد على أنّ (لَمَّا) بمعنى (إلا)، و(إن) هي النافية.

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) الكهف: ٩٧.

يقال: عشا يعشو: إذا نظره نظر العشيّ ولا آفة به، وعشى يعشي: إذا حصلت الآفة في بصره، أي: من يتعام ﴿عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ فيعرف أنّه حقّ ويتجاهل ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ [نخذله ونخل بينه وبين الشياطين، كقوله: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾[1]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾[2]. وقرئ: يقيّض][3] بالياء، وجمع ضمير (من) وضمير الشيطان في قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ﴾ لأنّ (من) مبهم في جنس العاشي وقد قيّض له شيطان مبهم في جنسه، فلما جاز أن يتناولا لإبهامهما غير واحد جاز أن يرجع الضمير إليهما مجموعاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي، وقرئ: جاءانا على أنّ الفعل له ولشيطانه. ﴿قَالَ﴾ لشيطانه: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ يريد: المشرق والمغرب، فغلّب، كما قيل: القمران للقمر والشمس، قال:

أَخَذْنَـا بِآفَـاقِ السَّـمَاءِ عَلَيْكُـمُ   لَنَـا قَمَرَاهَـا وَالنُّجُـومُ الطُّوَالِعُ[4]

وبعدهما: تباعدهما، والأصل: بعد المشرق من المغرب، والمغرب من المشرق.

﴿أَنَّكُمۡ﴾ في موضع رفع، أي: ﴿لَن يَنفَعَكُمُ﴾ كونكم مشتركين ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾.

﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ معناه: إذا صحّ ظلمكم وتبيّن.

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ﴾ إنكار تعجيب، والمراد: أنت لا تقدر على إكراههم على الإيمان.

---

(١) فصلت: ٢٥.

(٢) مريم: ٨٣.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) شرح ديوان الفرزدق ج٢: ٥١٩.

فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾

(ما) في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ﴾ بمنزلة لام القسم في أنّها إذا دخلت دخلت معها النون الثقيلة، والمعنى: إن قبضناك وتوفيناك فإنّا ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ منهم بعدك. وعن الحسن وقتادة: (إنّ الله أكرم نبيّه بأن لم يره تلك النقمة، وقد كان ذلك بعده)(١). وقد روي أنّه عليه السلام أُري ما تلقى أمّته بعده، فما زال منقبضاً ولم ينبسط ضاحكاً حتى قبض(٢). وروى جابر بن عبد الله قال: إنّي لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى حين قال: ((لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم، ثمّ التفت إلى خلفه فقال: أو عليّ أو عليّ ثلاث مرات، فرأينا أنّ جبرائيل عليه السلام غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعليّ بن أبي طالب عليه السلام))(٣).

وإن أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب فإنّهم تحت قدرتنا لا يفوتوننا، وقيل: إنّه عليه السلام رأى نقمة الله منهم يوم بدر بأن أسر منهم وقتل(٤).

﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ﴾ أي: تمسّك بما أوحينا ﴿إِلَيۡكَ﴾ وبالعمل به ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ

---

(١) تفسير الطبري ج٢٥: ٤٥.

(٢) تفسير الطبري ج٢٥: ٤٥.

(٣) شواهد التنزيل ج٢: ١٥٢. أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٣٧٣.

(٤) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ١٨.

﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ لا يحيد عنه إلا ضال.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنّ الذي أوحي إليك ﴿لَذِكۡرٞ لَّكَ﴾ لشرف لك ﴿وَلِقَوۡمِكَ﴾ لقريش أو للعرب، يختص بذلك الشرف الأقرب منهم فالأقرب.

ولـ﴿سَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ يوم القيامة عن قيامكم بحقّه، وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين.

والمراد بسؤال الرسل النظر في أديانهم والفحص عنها: هل جاءت عبادة الأوثان قط في شيء من مللهم؟ وهذا كما قيل: سل الأرض من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإنّها إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، وقيل: إنّ النبيّ ﷺ جمع له الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمّهم، وقيل له: سلهم، فلم يشكك ولم يسأل[(١)].

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ
﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم
بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا
هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ
لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾
أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ
عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٥: ٤٧.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿٥٣﴾

ما أجابوه به عند قوله: ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ محذوف دلّ عليه قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ وهو مطالبتهم إيّاه بالدلالة على دعواه، وأجيب (لما) بـ﴿إِذَا﴾ المفاجأة، لأنّ فعل المفاجأة [معها مقدّر، وهو عامل النصب في محلّها، كأنّه قال: فلما جاءهم بآياتنا فاجؤوا وقت][1] ضحكهم.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آياته المترادفة عليهم من الطوفان [والجراد][2] والقمل والضفادع والدم والطمس.

﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي قبلها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بعهده عندك من النبوّة، وأنّ دعوتك مستجابة، أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى.

وقولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعد قد نووا خلافه، فما كانت تسميتهم إيّاه بالساحر بمنافية لقولهم: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ جعلهم محلاً لندائه، والمعنى: إنّه أمر بالنداء في محافلهم من نادى فيها بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللص: إذا أمر بقطعه.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ من النيل وغيره.

﴿تَجْرِي مِن﴾ تحت أمري، مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ عطفاً على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾، و﴿تَجْرِي﴾ نصب على الحال منها.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ أم هذه متصلة، لأنّ المعنى: أفلا تبصرون [أم تبصرون][1]، إلا أنّه وضع قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ موضع ﴿تُبْصِرُونَ﴾ لأنّهم إذا قالوا له: أنت خير فهم عنده بصراء، ويجوز أن تكون منقطعة على معنى: بل أنا خير، والهمزة للتقرير والمعنى: أثبت عندكم واستقر أنّي أنا خير مع أنّي على هذه الحالة.

﴿مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ أي: ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما به من الرتة[2]. وعن الحسن: (كانت العقدة زالت عن لسانه [كما قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[3] وإنّما عيّره بما كان في لسانه][4] قبل النبوّة)[5].

وقرئ: أساورة وهي جمع أسوار على تعويض التاء من ياء أساوير، وأسورة جمع سوار ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ به، من قولك: قرنته به فاقترن به، أو من قولك: اقترنوا بمعنى تقارنوا.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ فاستفزّهم، وحقيقته: حملهم على أن يخفّوا له ولما أراده منهم، وكذلك استفزّه فإنّ الفزّ هو الخفيف.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، وغضبه سبحانه على العصاة هو إرادة

---

(١) ساقطة من د.

(٢) الرُتة ـ بالضم ـ: العجمة في الكلام. (الصحاح: مادة رتت).

(٣) طه: ٢٧-٢٨.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) التبيان ج٩: ٢٠٨.

عقابهم، وقيل: معناه: آسفوا رسلنا[١]، لأنّ في الأسف معنى الحزن.

وقرئ: ﴿سَلَفًا﴾ جمع سالف، وسلفا جمع سليف، أي: جعلناهم قدوة لمن أتى بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم لإتيانهم بمثل أفعالهم.

﴿وَمَثَلًا﴾ أي: حديثاً عجيب الشأن، سائراً مسير المثل، يشبه غيرهم بهم.

وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

قرئ: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد وكسرها، واختلف في معنى الآية على وجوه:

أحدها: أنّه لما نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٢] قالوا: ألست تزعم أنّ عيسى نبيّ؟ وقد علمت أنّ النصارى يعبدونه، وعزير يعبد، والملائكة يعبدون، فإنّ كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا في النار

(١) تفسير الماوردي ج٥: ٢٣٢.

(٢) الأنبياء: ٩٨.

معهم[١]. والمعنى: ولما ضربوا عيسى بن مريم مثلاً بعبادة النصارى إيّاه إذا قريش من هذا المثل (يصِدون) بالكسر، أي: يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً وضحكاً، وبالضم من الصدود أي: يصُدون عن الحقّ ويعرضون عنه من أجل هذا المثل، وقيل: من الصديد وهو الجلبة[٢]، وهما لغتان.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ أي: ليست آلهتنا عندك خيراً من عيسى، فإذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هيناً، ما ضربوا هذا المثل لك إلا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المعرفة ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ دأبهم الخصومة واللجاج. وذلك أنّ قوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾[٣] ما أريد به إلا الأصنام، ومحال أن يقصد به الأنبياء والملائكة.

وثانيها: إنّهم لما سمعوا أنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم، قالوا: نحن أهدى من النصارى، لأنّهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة، فنزلت[٤]. فعلى هذا يكون في قولهم: ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ﴾ تفضيل آلهتهم على عيسى وما قالوا هذا القول إلا للجدل. أو يكون ﴿جَدَلَۢا﴾ حالاً بمعنى: جدلين.

وثالثها: أنّ النبيّ ﷺ لما مدح المسيح وأمه قالوا: ما يريد محمّد بهذا إلا أن نعبده كما عبدت النصارى المسيح[٥].

ومعنى ﴿يَصِدُّونَ﴾: يضجرون ويصيحون. والضمير في ﴿أَمۡ هُوَ﴾

---

(١) أسباب النزول: ٢٦٧.

(٢) تهذيب اللغة ج١٢: ١٠٣.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

(٤) الكشاف ج٤: ٢٦٠.

(٥) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٥: ٥١.

لمحمّد ﷺ، وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء. والمروي عن أهل البيت عليهم السلام: ((إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: جئت إلى النبيّ ﷺ يوماً فوجدته في ملأ من قريش، فنظر إليّ ثمّ قال: يا عليّ، إنّما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم، أحبّه قوم وأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، عظم ذلك عليهم وضحكوا، فنزلت الآية))(١).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ أي: ما عيسى إلا عبد كسائر العبيد.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ حيث ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم، وشرّفناه بالنبوّة، وصيّرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ﴿لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ لقدرتنا على عجائب الأمور.

﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ أي: لولدنا منكم يا رجال ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [كما يخلفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل، أو لجعلنا بدلاً منكم يا بني آدم ملائكة يخلفونكم في الأرض](٢)، ويكون ﴿مِنكُم﴾ في الآية مثل ما في قول الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهَيَانِ(٣)

أو لجعلناكم أيها البشر ملائكة، فيكون ﴿مِنكُم﴾ من باب التجريد، ويكون فيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر إلى بنية الملائكة.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإنّ عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: شرط من أشراطها تعلم به،

---

(١) تفسير فرات: ٤٠٤، أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٣٥٤.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) البيت ليعلى الأحول الأزدي. خزانة الأدب ج٥: ٢٧٦.

فسمّي الشرط علماً لحصول العلم به، وقرأ ابن عباس: وإنّه لعَلَم، أي: علامة وأمارة.

﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشكّوا فيها ولا تكذّبوا بها. وفي الحديث: ((إنّ عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وعليه ممصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام عليه السلام يؤم بهم، فيتأخر الإمام فيقدّمه عيسى ويصلّي خلفه على شريعة محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ يقتل الخنازير[1]، ويكسر الصليب، ويخرب البيع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به. كذا وجدته في الكشاف[2]. وعن الحسن: (إنّ الضمير للقرآن وبه تعلم الساعة لأنّ فيه الإعلام بها)[3].

﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يقوله، أي: واتبعوا شرعي وهداي، أو معناه: واتبعوا رسولي.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الدالة على نبوّته.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو ما احتاجوا إليه من أمور الدين وما تعبدوا بمعرفته دون ما اختلفوا فيه من أمور الدنيا.

و﴿ٱلۡأَحۡزَابُ﴾: الفرق المتحزبة بعد عيسى.

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) في ب: الجبارين.

(٢) الكشاف ج٤: ٢٦١، الكشف والبيان ج٨: ٣٤١.

(٣) تفسير الطبري ج٢٥: ٥٤.

بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ
تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا
مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾
لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ
جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ
وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ
إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ
﴿٧٨﴾ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ
وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾

﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾ بدل من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، ﴿بَغۡتَةٗ﴾ أي: فجأة.

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ معناه: وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم.

﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ ينتصب بـ﴿عَدُوٌّ﴾ أي: ينقطع في ذلك اليوم كل خلة فتنقلب عداوة إلا خلة ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ المتخالين في الله، فإنها الخلة الباقية تزداد وتتأكّد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منصوب الموضع صفة لـ﴿عِبَادِ﴾ لأنّه منادى مضاف.

﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين، جاعلين نفوسهم سالمة لطاعتنا.

﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ اللاتي كن مؤمنات مثلكم.

﴿تُحۡبَرُونَ﴾ أي: تسرّون سروراً يظهر حباره أي: أثره على وجوهكم،

كقوله: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[(١)].

والصحاف: القصاع، والأكواب: الكيزان لا عرى لها، وقيل: هي الآنية المستديرة الرؤوس[(٢)]، ﴿وَفِيهَا﴾ الضمير لـ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾. وقرئ: ما تشتهي و﴿مَا تَشۡتَهِيهِ﴾ وهذا حصر لأنواع النعم، لأنّها إما مشتهاة في القلوب، وإما مستلذّة في العيون.

﴿وَتِلۡكَ﴾ إشارة إلى الجنّة المذكورة، وهي مبتدأ و﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾ خبر، و﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ صفة لـ﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾، أو ﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾ صفة لـ﴿تِلۡكَ﴾ و﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ خبر، أو ﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ صفة ﴿ٱلۡجَنَّةُ﴾ و﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ خبر المبتدأ والباء يتعلّق بمحذوف. وفي الوجه الأوّل يتعلّق بـ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾ وشبّهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة.

﴿مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾: (من) للتبعيض، أي: لا تأكلون إلا بعضها. وفي الحديث: ((لا ينزع رجل في الجنّة من ثمرها إلا نبت مكانها مثلها))[(٣)].

﴿مُبۡلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

وروي عن عليّ عليه السلام وابن مسعود: يا مال بحذف الكاف للترخيم، أي: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾ سل ربّك أن يقضي علينا، أي: يميتنا لنتخلص ونستريح مما بنا، فيقول مالك: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ لابثون دائمون.

﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ هو كلام مالك، وإنّما قال: جئناكم لأنّه من الملائكة،

---

(١) المطففين: ٢٤.

(٢) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج٥: ٢٣٨.

(٣) البحر الزخار ج١٠: ١٢٣ باختلاف يسير.

وقيل: إنّه كلام الله عزّ وجل[١]، وعلى هذا فيكون في ﴿قَالَ﴾ ضمير الله، لما سألوا مالكاً أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك.

﴿أَمْ﴾ منقطعة أي: بل ﴿أَبْرَمُوٓاْ﴾، أي: أأحكم الملأ من قريش ﴿أَمْرًا﴾ أي: كيداً في الخلاف عن أمرك ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم.

والسرّ: ما حدّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال، و النجوى: ما تكلّموا به فيما بينهم، وقيل: السرّ: ما يضمر الإنسان في نفسه، والنجوى: ما يحدّث به غيره في الخفية[٢].

﴿بَلَىٰ﴾ نسمعهما ونطلع عليهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة مع ذلك عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ما يكيدونه ويبيتونه. وقد روي عنهم عليهم السلام السبب في نزول الآيتين[٣].

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ
حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ
وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ
بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ
عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

---

(١) التبيان ج٩: ٢١٧.

(٢) (الصحاح: مادة سرر، نجا)

(٣) ينظر: الكافي ج٨: ١٨٠.

﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ إن صحّ ذلك وثبت ببرهان صحيح ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ من يعظّم ذلك الولد ويطيعه كما يعظّم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه، وهو وارد على سبيل الفرض والتقدير للمبالغة في نفي الولد، لأنّه تعليق للعبادة بكينونة الولد وهو محال، فالمعلّق به محال مثله، فهو في صورة الإثبات والمراد النفي على أبلغ الوجوه.

وقيل: معناه: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أوّل العابدين الموحدين لله المكذّبين قولكم[1].

وقيل: فأنا أوّل الآنفين من أن يكون له ولد أو من عبادته، لأنّ من كان له ولد لا يكون إلا محدثاً جسماً غير مستحقّ للعبادة، من: عبد يعبد: إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد[2].

وقيل: هي إن النافية، أي: ما كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين لله[3].

ثمّ نزّه نفسه عما يصفونه من اتخاذ الولد. التقدير: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، فـ﴿إِلَٰهٌ﴾ خبر المبتدأ العائد إلى الموصول، وهو اسم ضمّن معنى الوصف، فلذلك علّق به الظرف في قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ كما يقول: هو حاتم في طي وحاتم في تغلب، على تضمين معنى الجواد الذي هو مشهور به، ومثله قوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[4] فكأنّك قلت: هو المعبود أو المالك أو نحو ذلك، وحذف هو العائد لطول الكلام بالصلة كقولهم:

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٥: ٦٠.

(٢) عن الكسائي. تفسير الماوردي ج٥: ٢٤١.

(٣) عن زيد بن أسلم وغيره. تفسير الطبري ج٢٥: ٦١.

(٤) الأنعام: ٣.

ما أنا بالذي قائل لك شيئاً، وزاده طولاً هاهنا أنّ المعطوف داخل في حيز الصلة.

﴿وَلَا يَمۡلِكُ﴾ آلهتهم ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يدعونهم من دون الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ كما زعموا أنّهم شفعاؤهم عند الله لكن ﴿مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو توحيد الله، وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلاً لأنّ في جملة: الذين يدعون من دون الله الملائكة.

وقرئ: تدعون بالتاء.

﴿وَقِيلِهِۦ﴾ قرئ بالنصب والجر، وعن مجاهد: بالرفع. والنصب للعطف على موضع ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، والجر على اللفظ، أي: وعنده علم الساعة وقيلَه وقيلِه، كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرواً وعمرو. والمعنى: يعلم الساعة ومن يصدّق بها ويعلم قيله، لأنّ الساعة ليست بظرف وإنّما هي مفعول بها، والرفع للعطف أيضاً على تقدير حذف المضاف أي: وعلم قيله، أو على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير: وقيله يا ربّ مسموع ومتقبّل، أو وقيله قيل يا ربّ، وحمل الأخفش النصب على ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ﴾ وقيله[1]، وعنه أيضاً: أنّه على تأويل: وقال قيله[2]. وقال جار الله: الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، ولعمرك، ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ جواب القسم، فكأنّه قال: وأقسم بقيله يا ربّ، أو قيله يا ربّ قسمي ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

﴿فَٱصۡفَحۡ﴾ أي: أعرض عنهم بصفحة وجهك.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٤٢١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٤٢١.

(٣) الكشاف ج٤: ٢٦٨.

﴿وَقُلۡ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: تسلم منكم ومتاركة.

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيد، وقرئ بالتاء أيضاً.

سورة الدخان

مكية، وهي تسع وخمسون آية، سبع بصري، ﴿حم﴾ و﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ كوفي.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الدخان) في ليلة الجمعة غفر الله له))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأها في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وأظلّه تحت ظل عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأُعطي كتابه بيمينه))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ
إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾
رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ
هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ جواب القسم ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر وهو

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣٤٨ عن أبي هريرة.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

الصحيح، وقيل: ليلة النصف من شعبان[1]. ومعنى إنزال الله القرآن في ليلة القدر أنّه أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا فيها، وكان جبرئيل ينزله إلى رسول الله ﷺ نجوماً، وقيل: كان ينزل ما يحتاج إليه في كل سنة في هذه الليلة، ثمّ كان ينزل شيئاً فشيئاً وقت الحاجة.

وسمّيت مباركة لأنّ فيها يقسم الله نعمه على عباده فتدوم بركاتها، والبركة: نماء الخير، والمباركة: الكثيرة الخير، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن لكفى به بركة.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ أي: يفصل ويكتب.

﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ كل شأن ذي حكمة، أي: مفعول على ما تقتضيه الحكمة من أرزاق العباد وآجالهم وغير ذلك من أمور السنة إلى الليلة الأخرى القابلة، ووصف الأمر بالحكيم مجاز؛ لأنّ الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة. وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسّر بهما جواب القسم، كأنّه قيل: إنّا أنزلناه لأنّ من شأننا الإنذار، وأنزلناه في هذه الليلة خصوصاً لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني أمراً حاصلاً من عندنا على ما اقتضته [حكمتنا وتدبيرنا، ويجوز أن يراد به الأمر ضد النهي فوضع موضع مصدر ﴿يُفْرَقُ﴾ من حيث أنّ الأمر والفرقان واحد، لأنّ من حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه، أو جعل حالاً من أحد الضميرين في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: أنزلناه في حال كونه أمراً بما يجب أن يفعل، أو أنزلناه آمرين.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، و﴿رَحْمَةً مِّن

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج٢٥: ٦٥.

﴿رَّبِّكَ﴾ مفعول له. والمعنى: إنّا أنزلنا القرآن لأنّ من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، أو أن يكون تعليلاً لـ﴿يُفۡرَقُ﴾، أو لقوله: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ﴾، و﴿رَحۡمَةٗ﴾ مفعولاً به، أي: يفرق في هذه الليلة كل أمر وتصدر الأوامر من عندنا، لأنّ من عادتنا أن نرسل رحمتنا، وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عزّ وجل؛ لأنّ الغرض من تكليف العباد تعريضهم للمنافع، والأصل: إنّا كنا مرسلين رحمة منا، فوضع الظاهر موضع المضمر إيذاناً بأنّ الربوبية تقتضي][1] الرحمة على المربوبين.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ وما بعده تحقيق لربوبيته وأنّها لا تحقّ إلا لمن هذه أوصافه.

وقرئ: ربّ السماوات، وربّكم، وربّ آبائكم، بالجر بدلاً من ﴿رَّبِّكَ﴾.

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: إن كان إقراركم بأنّ للسماوات والأرض ربّاً وخالقاً عن معرفة وإيقان.

ثمّ ردّ كونهم موقنين بقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ﴾ أي: إقرارهم لا يصدر عن علم وحقيقة بل هو قول مخلوط بلعب وهزء.

فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ
﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ
وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ
﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ

---

(١) ساقطة من ج.

﴿فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ مفعول به ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ يقال: رقبته وارتقبته.

واختلف في الدخان، فقيل: إنّه دخان يأتي من السماء قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ(١)، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار ليس فيه خصاص(٢)، ويمتد ذلك أربعين يوماً، روي ذلك عن عليّ عليه السلام وابن عباس والحسن(٣). وقيل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا على قومه لما كذّبوه فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف))، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز(٤)، وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان يحدّث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان، فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه بالله والرحم، وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا، فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم، وروي ذلك عن ابن مسعود(٥).

---

(١) الحنيذ: الذي يقطر ماؤه وقد شوي. (لسان العرب: مادة حنذ)

(٢) الخصاص: شبه الكوة في قبة أو نحوها. (لسان العرب: مادة خصص)

(٣) الدر المنثور ج٦: ٢٩.

(٤) العِلْهِز ــ بالكسر ــ: طعامٌ كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة. (الصحاح: مادة علهز).

(٥) تفسير الطبري ج٢٥: ٦٧.

﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: يشملهم ويلبسهم، وهو في محلّ الجر صفة لـ﴿دُخَانٍ﴾ أي: يقولون: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾، ويقولون المحذوف نصب على الحال أي: قائلين ذلك.

و﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ موعدة بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كيف يذكرون ويتعظون ويفون بوعدهم ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ ما هو أعظم من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله ﷺ من الآيات البيّنات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات القاهرة، فلم يذكروا و﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ وبهتوه، بأنّ غلاماً أعجمياً اسمه عداس هو الذي علّمه، ونسبوه إلى الجنون.

ثمّ قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا﴾ عذاب الجوع والدخان ﴿قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ أي: ريثما يكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم، لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من الابتهال والتضرّع. ومن جعل الدخان قبل يوم القيامة قال في قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ﴾: إنّه إذا أتت السماء بالدخان تضرّع المعذّبون به وقالوا: ربّنا اكشف عنا العذاب إنّا منيبون مؤمنون، فيكشفه الله عنهم، وريثما يكشفه عنهم يرتدون.

ثمّ قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ﴾ يريد: يوم القيامة، كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[1].

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ننتقم منهم في ذلك اليوم، فانتصب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بما دلّ عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، لأنّ ما بعد (إنّ) لا يعمل فيما قبلها. وقرئ: ﴿نَبْطِشُ﴾ بضم الطاء وكسرها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معنى الفتنة: إنّه أمهلهم ووسّع عليهم

---

(١) النازعات: ٣٤.

الرزق، فكان ذلك سبباً لانهماكهم في المعاصي، أو ابتلاهم بإرسال موسى إليهم ليؤمنوا، فاختاروا الكفر على الإيمان.

﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ على الله، أو كريم الأخلاق والأفعال.

﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ﴾ هي (أن) المفسّرة، لأنّه لا يجيء الرسول قومه إلا مبشراً ونذيراً، فيتضمّن معنى القول، أو هي مخففة من الثقيلة أي: جاءهم بأنّ الشأن والحديث أدّوا إلي.

و﴿عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ مفعول به وهم بنو إسرائيل، أي: أدّوهم إليّ وأرسلوهم معي، أو أدوا إليّ يا عباد الله ما يجب عليكم من الإيمان بي وقبول دعوتي، وعلل ذلك بأنّه ﴿رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته.

﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ﴾: (أن) هذه مثل الأولى، أي: لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه.

وقرئ: عذت بالإدغام ومعناه: إنّه عائذ بربّه، معتصم به من كيدهم، فلا يكترث بتهددهم بالقتل والرجم.

﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ يريد: ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ بي فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة بيني وبينكم، أو فخلوني كفافاً لا عليّ ولا لي، ولا تتعرضوا لي بشرككم وأذاكم، فليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه صلاحكم وفلاحكم ذلك.

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ
مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا
فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ

﴿ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ
۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ
ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ فقال: إنّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون لا يؤمنون.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى﴾ فيه وجهان: إضمار القول [بعد الفاء فقال: أسر، وأن يكون جواب شرط محذوف نحو: إن كان الأمر كما تقول][(١)] فأسر بعبادي.

﴿رَهْوًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنّه الساكن[(٢)]، قال الأعشى:

يَمْشِينَ رَهْواً فَلَا الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ... وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[(٣)]

أي: مشياً ساكناً على هنية، أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فأمره سبحانه أن يتركه ساكناً قاراً على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبساً ليدخله القبط فيغرقوا، وقيل: الرهوة: الفجوة الواسعة[(٤)]، أي: أتركه مفتوحاً على حاله.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ومجلس خطير ومنزل بهي ونعمة وتنعم وسعة في العيش.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، أو في موضع الرفع، أي الأمر كذلك.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ٣٥٢.

(٣) ديوان الأعشى: ٢٥٣.

(٤) عن مجاهد. تفسير السمرقندي ج٣: ٢٥٧ بالمعنى.

﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين.

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فيه تهكّم بهم وبحالهم المنافية لحال من يجل رزؤه ويعظم فقده فيقال فيه: بكت عليه السماء.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ أي: ممهلين.

﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ كأنّه في نفسه كان عذاباً مهيناً لإفراطه في تعذيبهم، ويجوز أن يكون ﴿مِن فِرۡعَوۡنَ﴾ حالاً من ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: واقعاً من جهة فرعون.

﴿عَالِيًا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: كبيراً رفيع الطبقة من بينهم بليغاً في إسرافه، أو عالياً متكبراً، و﴿مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ خبر ثان كأنّه قال: كان متكبراً مسرفاً.

﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ في موضع الحال أي: عالمين بمكان الخيرة، وبأنّهم أحقاء بالاختيار.

﴿عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على عالمي زمانهم.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ﴾ الدلالات والمعجزات ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ
قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ
إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ
مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ

يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾
إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى
فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾
ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ
تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

ثمّ رجع سبحانه إلى ذكر من ذكرهم في أوّل السورة من كفار قريش، فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ﴾ أي: ما الموتة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ نموتها في الدنيا ثمّ لا بعث بعدها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين ولا معادين.

﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنّ الله يعيد الأموات، وقائله أبو جهل قال: إن كنت صادقاً فابعث جدك قصي بن كلاب، وهذا جهل من أبي جهل؛ لأنّ النشأة الثانية إنّما وجبت للجزاء لا للتكليف، وليست هذه الدار بدار جزاء بل دار تكليف، فكأنّه قال: إن كنت صادقاً في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف، فلذلك عدل عن مقابلته إلى الوعيد والوعظ بما هو أعود عليه فقيل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ أي: أهم أكثر عدداً وعدّة ونعمة وقوة كقوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾[1] بعد ذكر آل فرعون، وهو تبع الحميري، كان مؤمناً وقومه كافرين، وهو الذي سار بالجيوش حتى حيّر الحيرة، ثمّ أتى سمرقند فهدّمها ثمّ بناها، وكان إذا كتب كتب: باسم الله الذي ملك براً وبحراً وضحاً وريحاً، ذمّ الله قومه ولم يذمّه. وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ تبّع قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا

---

(١) القمر: ٤٣

حتى يخرج هذا النبيّ، أما أنا فلو أدركته لخدمته وخرجت معه))[١].

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يريد: وما بين الجنسين.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ ميقات حسابهم وجزائهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى﴾ أيّ مولى كان من قرابة وغيرها ﴿عَن﴾ أيّ ﴿مَّوْلَى﴾ كان ﴿شَيْـًٔا﴾ من إغناء، [أي قليلاً منه][٢].

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير للموالي؛ لأنّهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى.

﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في محلّ الرفع على البدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾، أي: لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله، إما بأن يسقط عقابهم ابتداء، أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له بشفاعته.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ويجوز أن يكون ﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ منصوباً على الاستثناء.

و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾: الآثم، وقيل: هو أبو جهل[٣]، وروي أنّه أتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال: هذا هو الزقوم الذي يخوّفنا محمّد به ونحن نتزقمه أي: نملأ أفواهنا به[٤].

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو المذاب من النحاس، وقيل: هو دردي الزيت[٥]، وقرئ:

---

(١) إكمال الدين: ١٦٨.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج٥: ٢٥٧.

(٤) التبيان ج٩: ٢٣٩.

(٥) عن ابن عباس. معاني القرآن للنحاس ج٦: ٤١٢.

﴿يَغۡلِي﴾ بالياء والتاء، فمن قرأ بالتاء فعلى الشجرة، ومن قرأ بالياء حمله على الطعام، لأنّ الطعام هو الشجرة في المعنى، ولا يحمل على المهل بل على المشبّه بالمهل، والكاف في محلّ الرفع خبر بعد خبر، وكذلك يغلي.

يقال للزبانية: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾ فقودوه بعنف، وهو أن يؤخذ بتلابيب الرجل فيجرّ إلى قتل أو حبس، ومنه: العتل، وقرئ بكسر التاء وضمها.

﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ إلى وسطها ومعظمها، وسمّي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به. ويجوز أن يكون الصب على طريق الاستعارة كقول الشاعر:

صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبِ[1]

وكقوله: ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾[2].

يقال: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ على سبيل الهزء والتهكّم لمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه. وروي أنّ أبا جهل قال لرسول الله ﷺ: ما بين جبليها أعزّ ولا أكرم مني[3]. وقرئ: أنّك بالفتح أي: لأنّك.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب، أو إنّ هذا الأمر هو ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ أي: تشكّون فيه، أو تتمارون وتتلاحون بسببه.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢
يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ كَذَٰلِكَ

---

(١) ديوان البحتري: ٣٠، وفيه: والمرء لوكانت الشعرى له وطناً حطت....

(٢) البقرة: ٢٥٠

(٣) الكشف والبيان ج٨: ٣٥٦.

﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

قرئ ﴿مَقَامٍ﴾ بالفتح وهو موضع القيام، وبالضم وهو موضع الإقامة، والأمين في وصف المكان مستعار، لأنّ المكان المخيف كأنّما يخوف صاحبه مما يلقى فيه من المكاره.

قالوا: السندس: ما رقّ من الديباج، والاستبرق: ما غلظ منه[(١)]، وهو معرب استبر، وإنّما ساغ وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن، لأنّ معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصرّف فيه وإجرائه على وجوه الإعراب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف مرفوعة، أي: الأمر كذلك، أو منصوبة أي: مثل ذلك آتيناهم.

﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ وعن الأخفش: (هو التزويج المعروف)[(٢)]، وعن غيره: لا يكون في الجنّة تزويج، والمعنى: وقرنّاهم ﴿بِحُورٍ﴾[(٣)].

﴿يَدْعُونَ﴾ أي: يستدعون فيها أي ثمرة شاؤوه واشتهوه ﴿آمِنِينَ﴾ من نفادها ومضـرّتها، غير خائفين فوتها.

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣٥٦.

(٢) معاني القرآن للأخفش ج٢: ٥١٦.

(٣) مجاز القرآن ج٢: ٢٠٩.

أي: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ألبتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك، لأنّ الموتة الماضية لا يمكن ذوقها في المستقبل، وهو من باب التعليق بالمحال، فكأنّه قال: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فأنّهم يذوقونها.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: تفضّلاً منه وعطاء وثواباً. يعني: كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنّة والنجاة من النار.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ معناه: ذكّرهم بالكتاب المبين فإنّما سهّلناه ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك، حيث أنزلناه عربياً ليسهل عليك وعلى قومك تفهّمه والتذكر به.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ فانتظر ما يحلّ بهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ ما يحلّ بك ومتربّصون بكم الدوائر، وقيل: انتظر نصرك عليهم فإنّهم ينتظرون خلافه بزعمهم[1].

---

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٥: ٨٣.

سورة الجاثية

مكية إلا آية نزلت بالمدينة: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا**﴾ سبع وثلاثون آية كوفي، ست في غيرهم، ﴿**حم**﴾ كوفي.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (حم الجاثية) ستر الله عورته وسكّن روعته عند الحساب))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، وهو مع محمّد صلى الله عليه وآله وسلم))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يجوز أن يكون على ظاهره، وأن يكون بمعنى إنّ في خلق

---

(١) الكشف والبيان ج٨: ٣٥٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

السماوات لقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾.

وقرئ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالرفع والنصب في الموضعين: فأما الأوّل فعلى قولك: إنّ في الدار لزيداً وفي البيت عمراً، أو في البيت عمرو. وأما الثاني وهو قوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فمن العطف على عاملين مختلفين سواء نصبت أو رفعت، فالعاملان إذا نصبت هما: (إنّ) و(في)، وإذا رفعت فالعاملان: الابتداء و(في)، عمل الابتداء الرفع في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ وعمل (في) الجر في ﴿ٱخْتِلَٰفِ﴾. والعطف على عاملين سديد سائغ على مذهب الأخفش[1]، فأما سيبويه فلا يجيزه، ومخرج الآية على مذهبه أن يقدّر (في) ويضمر، لأنّ ذكره قد تقدّم في الآيتين قبله كما قدّره سيبويه في قول الشاعر:

أَكُلَّ امْـرِئٍ تَحْسَـبِينَ امْـرأً وَنَـارٍ تَأَجَّـجُ بِاللَّيْـلِ نَـارَا[2]

وقال: إنّ (كل) في حكم الملفوظ واستغني عن إظهاره بتقدّم ذكره[3].

أو يحمل ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ﴾ على في المتقدّم ذكرها ويجعل ﴿ءَايَٰتٌ﴾ على التكرر لطول الكلام، كما قيل في (أن) الثانية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[4]، أو ينتصب على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفاً على ما قبله، أو يرتفع بإضمار (هي)، فهذه ثلاثة أوجه.

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدّمة، أي: تلك الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

و﴿نَتْلُوهَا﴾ في محلّ الحال أي: متلوّة عليك بالحقّ، والعامل في الحال معنى

---

(١) المقتضب ج٤: ١٩٥.

(٢) البيت لأبي دواد الايادي. الشعر والشعراء ج١: ٢٣٩.

(٣) الكتاب ج١: ٦٦.

(٤) التوبة: ٦٣.

الإشارة.

﴿بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: بعد آيات الله كما قالوا: أعجبني زيد وكرمه. والمراد: أعجبني كرم زيد. ويجوز أن يراد: فبأي حديث بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[1]، وآياته أي: أدلته الفاصلة بين الحقّ والباطل.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن
لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا
كَسَبُواْ شَيۡـٔٗا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠
هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ١١
ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا
مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾

الأفاك: الكثير الإفك، وهو الكذب.

﴿يُصِرُّ﴾ يقبل على كفره ويقيم عليه ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عن الإيمان بالآيات وعن الانقياد للحقّ.

﴿كَأَن﴾ مخففة من الثقيلة أي: كأنّه ﴿لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾ والضمير ضمير الشأن والحديث، والجملة في محلّ النصب على الحال، أي: يصرّ مثل غير السامع.

﴿وَإِذَا﴾ بلغه شيء ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ وعلم أنّه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ أي: اتخذ الآيات ﴿هُزُوًا﴾ ولم يقل: اتخذه، للإيذان بأنّه إذا أحس بشيء من الكلام أنّه من جملة

---

(١) الزمر: ٢٣.

الآيات التي أنزلها الله على رسوله استهزأ بجميع الآيات، ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى كل ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

والوراء: اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام، والمعنى: من قدّامهم جهنم.

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ وحصلوه من الأموال في متاجرهم ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام.

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن.

﴿هُدًى﴾ أي: دلالة موصلة إلى الحقّ كاملة في الهداية، كما تقول: زيد رجل، أي: كامل في الرجولية وأيّما رجل.

والرجز: أشدّ العذاب، وقرئ بجر ﴿أَلِيمٌ﴾ ورفعه.

ثمّ دلّ سبحانه على توحيده فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ أي: السفن ﴿فِيهِ﴾، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان، واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر.

وقوله: ﴿مِّنْهُ﴾ واقعة موقع الحال، والمعنى: سخّر لكم هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، والمعنى: إنّه مكوّنها وموجدها بقدرته ومسخرها لخلقه. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جميعاً منه، وأن يكون ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مبتدأ و﴿مِّنْهُ﴾ خبره.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ

﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ
وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا
ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾
ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ
ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا
بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

أي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ اغفروا ﴿يَغْفِرُوا۟﴾ فحذف المقول لدلالة جوابه عليه.

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، وهو من قولهم: أيّام العرب لوقائعهم، وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقّتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها.

﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ تعليل الأمر بالمغفرة، أي: إنّما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم في الآخرة، ونكّر ﴿قَوْمًۢا﴾ والمراد به الذين آمنوا للثناء عليهم، كأنّه قال: ليجزي قوماً أيّما قوم، أو قوماً مخصوصين لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم بما كانوا يكسبونه من الثواب العظيم باحتمال المكاره وكظم الغيظ. وقرئ: لنجزي بالنون، وقرئ: ليجزي قوماً على معنى: ليجزي الجزاء قوماً.

﴿وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ يريد ما أحلّه لهم وأطاب من الأرزاق.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في كثرة الأنبياء منهم.

﴿وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ﴾ آيات معجزات ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ من أمر الدين.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فيما وقع بينهم الخلاف في الدين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ﴾ ما يوجب رفع الخلاف وهو ﴿الْعِلْمُ﴾، وإنّما اختلفوا لبغي حدث بينهم، أي: لعداوة وحسد.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ أي: طريقة ومنهاج ﴿مِّنَ﴾ أمر الدين، وأصله: الشريعة التي هي الطريق إلى الماء.

﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ أي: فاتبع شريعتك الثابتة بالبراهين والمعجزات ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ﴾ الجهّال من قومك ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحقّ ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إن اتبعت أهواءهم.

﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ [جعل سبحانه ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب، كما جعله روحاً وحياة ﴿وَهُدًى﴾ وهو هدى للناس][(١)] ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من الله.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا

---

(١) ساقطة من ب.

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان، والاجتراح: الاكتساب.

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نصيّرهم، وهو من جعل الذي يتعدّى إلى مفعولين، فالأوّل الضمير والثاني الكاف.

والجملة التي هي ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدل من الكاف، لأنّ الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد. ومن قرأ ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب جعل سواء مثل مستوياً، ويكون ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ رفعاً على الفاعلية، والمعنى: إنكار أن يستوي المسيئون والمحسنون محياً وأن يستووا مماتاً، لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاشوا على الحالتين المختلفتين: هؤلاء على الطاعات وأولئك على المعاصي، وأمواتاً حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول إلى رضوان الله وثوابه، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى سخطه وعقابه.

وقيل: معناه: إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة، لأنّ المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحّة وإنّما يفترقون في الممات. وقيل: ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [كلام مستأنف على معنى: أنّ محيا المسيئين ومماتهم

سواء، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم][١]، كل يموت على ما عاش عليه[٢].

﴿وَلِتُجۡزَىٰ﴾ عطف على ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ لأنّ فيه معنى التعليل، أو على معلل محذوف تقديره: وخلق الله السماوات والأرض ليدلّ بهما على قدرته ولتجزى ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ﴾.

﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: اتخذ معبوده ما يهواه، فهو مطاوع له يتبع ما يدعوه إليه.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ أي: تركه عن الهداية واللطف وخذله ﴿عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ أي: عالماً بأنّ ذلك لا يجدي عليه وأنّه ممن لا لطف له، أو مع علمه بوجوه الهداية وإحاطته بأنواع الألطاف ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ﴾ إضلال ﴿ٱللَّهِ﴾.

﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ أي: نموت نحن ويحيا أولادنا، أو يموت بعض منا ويحيا بعض، أو يصيبنا الأمران: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة.

﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ أي: وما يميتنا إلا الأيّام والليالي، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر، ويجعلونه المؤثر في هلاك النفوس. ومنه قولهﷺ: ((لا تسبّوا الدهر، فإنّ الله هو الدهر))[٣]. أي: فإنّه الفاعل للحوادث لا الدهر.

وسمّى ما ليس بحجّة من مقالتهم الباطلة حجّة، لأنّهم أدلوا به كما يدلى بالحجّة وساقوها مساقها، فسمّي حجّة على سبيل التهكّم، أو لأنّه في أسلوب قولهم:

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) عن مجاهد. التبيان ج٩: ٢٥٨.

(٣) المجازات النبوية:٢٣٥، صحيح مسلم ج٧: ٤٥.

تَحِيَّـةُ بَيْنِهِـمْ ضَرْبٌ وَجِيـعُ[١]

كأنّه قيل: ما كان حجّتهم إلا ما ليس بحجّة، والمراد نفي الحجّة.

وإنّما وقع قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ﴾ جواباً لقولهم: ﴿ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ لأنّهم لما أنكروا البعث ألزموا ما هم به مقرّون من أنّ الله هو الذي يحييهم ثمّ يميتهم، وضم إلى ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وهو جمعهم ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ومن كان قادراً على ذلك قدر على الإتيان بآبائهم.

وعامل النصب في ﴿يَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: ﴿يَخۡسَرُ﴾، و﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ بدل من ﴿يَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾.

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ
فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ
ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ
ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا
وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا
وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

---

(١) شعر عمرو بن معد يكرب: ٣٧، وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل.

﴿وَتَرَىٰ﴾ يوم القيامة أهل كل ملة باركة على ركبها مستوفزة، وعن قتادة: (جاثية: جماعات)[١]، من الجثوة وهي الجماعة وجمعها: جثي. وفي الحديث: ((من جثيّ جهنم))[٢].

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ أي: إلى كتب أعمالها التي كانت تستنسخ لها، فاكتفى باسم الجنس كما في قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾[٣]، وقيل: إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عما عملوا به[٤]، والأوّل أصحّ.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ محمول على القول.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ إنّما أضيف إليهم وإلى الله عزّ وجل، لأنّ الإضافة تكون للملابسة، وقد لابسهم لأنّ أعمالهم مثبتة فيه، ولابسه سبحانه لأنّه الآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال العباد.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم﴾ يشهد عليكم بما عملتم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بلا زيادة ونقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ الملائكة، أي: نستكتبهم أعمالكم.

﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: في جنّته وثوابه. وقرأ الباقر عليه السلام: ينطق عليكم على البناء للمفعول.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ جوابه محذوف، والتقدير: فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمعنى: ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم؟ فحذف المعطوف عليه.

---

(١) الكشاف ج٤: ٢٩٢.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج١١: ٣٤١، نوادر الراوندي: ١٤٠.

(٣) الزمر: ٦٩.

(٤) عن الجاحظ. تفسير الماوردي ج٥: ٢٦٨.

﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ فتعظمتم عن قبولها ﴿وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ أي: كافرين، كما قال: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[١].

وقرئ: ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ بالرفع والنصب، فالرفع محمول على موضع (إنّ) وما عملت فيه، والنصب على لفظ (إنّ)، و﴿لَا رَيۡبَ فِيهَا﴾ في موضع رفع.

﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: وأي شيء الساعة.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ والأصل: نظن ظناً. ومعناه: إثبات الظن، فأدخل حرف النفي وحرف الاستثناء ليفيد إثبات الظن مع نفي ما سواه، وزاد نفي ما سوى الظن تأكيداً قوله: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمۡ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: قبائح أعمالهم، أو عقوبات سيئاتهم كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[٢].

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ﴾ أي: نترككم في العذاب كما تركتم عدة ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ وهي الطاعة، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي الذي لا يبالي به كما لم تبالوا بلقاء يومكم هذا، وإضافة اللقاء إلى اليوم كإضافة المكر في قوله: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[٣] أي: نسيتم لقاء الله ولقاء جزائه في يومكم هذا.

﴿ذَٰلِكُم﴾ المفعول بكم ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ﴾ بسبب استهزائكم بآيات الله واغتراركم بالدنيا ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي: يرضوه.

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ فاحمدوا الله الذي هو ربّكم وربّ كل شيء من السماوات

(١) القلم: ٣٥.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) سبأ: ٣٣.

والأرض والعالمين وكبروه، فقد ظهرت آثار كبريائه في الجميع، فإنّ مثل هذه الربوبية الشاملة العامة توجب الثناء والحمد والتكبير والتعظيم على المربوبين.

سورة الأحقاف

مكية غير آيات، وهي خمس وثلاثون آية كوفي، أربع في الباقين، ﴿حم﴾ كوفي.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الأحقاف) أُعطي من الأجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ورفع له عشر درجات))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها كل ليلة أو كل جمعة لم يصبه الله بروعة في الحياة الدنيا، وآمنه من فزع يوم القيامة))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا
أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن
يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن

(١) الكشف والبيان ج٩: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ
كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا
تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا
بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: إلا خلقاً ملتبساً بالحقّ والحكمة والغرض الصحيح، ولم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وبتقدير أجل مسمّى ينتهي إليه وهو يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ من يوم القيامة والجزاء ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون به ولا يستعدون له، ولابد من انتهائهم وانتهاء كل خلق إليه. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي: عن الإنذار.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُم﴾ ما تعبدونهم من الأصنام وتدعونهم مع الله آلهة ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ حتى استحقّوا به العبادة وتوجيه القرب إليهم، بل ﴿لَهُمْ شِرْكٌ فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فإنّهم لا يقدرون على ادعاء ذلك.

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾ أنزله الله يدلّ على صحّة قولكم في عبادتكم غيره.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقية من علم تؤثر من كتب الأوّلين، وفي الشواذ عن عليّ عليه السلام: أو أثرة بسكون الثاء، وعن ابن عباس: أثرة بفتحتين، فالأثرة: المرّة من مصدر أثر الحديث إذا رواه، والأثرة بمعنى الأثارة أيضاً، أي: خاصة من علم أوثرتم به وخصصتم لا إحاطة به لغيركم.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ

ضلالاً من عبدة الأصنام حيث يدعون جماداً ﴿لَّا يَسْتَجِيبُ﴾ لهم ولا يقدر على استجابة أحد ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم الساعة، ويتركون دعاء القادر على كل شيء السميع المجيب.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ﴾ عليهم ضداً و﴿لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرّة منهم.

﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ جمع بيّنة، وهي الحجّة والشاهد، أو واضحات مبيّنات، واللام في ﴿لِلْحَقِّ﴾ مثلها في قوله: [﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾(١) أي: لأجل الحقّ ولأجل الذين آمنوا. والمراد بالحقّ: الآيات](٢)، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحقّ.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي: بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأوّل ما سمعوه من غير فكر ونظر وسمّوه سحراً مبيناً ظاهراً لظلمهم وعنادهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إعراض وإضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى قولهم: إنّ محمّداً افتراه، كأنّه قيل: دع هذا واسمع قولهم المنكر العجيب، وذلك أنّ محمّداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله، ولو اختص بالقدرة عليه من بين سائر العرب الفصحاء لكانت قدرته عليه معجزة خارقة للعادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له، والحكيم لا يصدّق الكاذب فلا يكون مفترياً. والضمير في ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لـ(الحقّ) والمراد به الآيات.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ﴾ دفع شيء من عقابه عني، فكيف أتعرض لعقابه؟! يقال:

(١) الأحقاف: ١١.

(٢) ساقطة من ج.

فلان لا يملك إذا غضب، ومثله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾[1]، ثمّ قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود، ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بمجازاتهم.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وعد بالرحمة والمغفرة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا، وإشعار بحلم الله فيهم مع عظم ما ارتكبوه.

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ
إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ
وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟
بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ
ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ
شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ

---

(١) المائدة: ١٧.

﴿نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

البدع: البديع، وهو مثل الخف بمعنى الخفيف، أي: ﴿مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فآتيكم بكل ما تقترحونه من الآيات، وأخبركم بكل ما تسألونه عنه من المغيبات التي لم يوح بها إليّ، فإنّ الرسل ما كانوا يأتون من الآيات إلا بما آتاهم الله، ولا كانوا يخبرون من الغيوب إلا بما أوحاه إليهم.

﴿وَمَآ أَدۡرِي﴾ ما يفعله الله ﴿بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ فيما يستقبل من الزمان، وما يقدّره لي ولكم من أفعاله وقضاياه. وقيل: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، ومن الغالب منا والمغلوب[1]، ووجه الكلام: ما يفعل بي وبكم، لأنّه مثبت غير منفي، ولكن النفي في ما أدري لما كان مشتملاً عليه لتناوله (ما) وما في حيّزه صحّ ذلك وحسن. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُفۡعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولة منصوبة، وأن تكون استفهامية مرفوعة.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جواب الشرط محذوف، والتقدير: إن كان القرآن من عند الله ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾ ألستم ظالمين؟! ويدلّ على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه وتأمله، وسأله عن مسائل ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ، وتحقّق أنه النبيّ

(١) عن الحسن. تفسير الطبري ج٢٦: ٦.

المنتظر فقال: أشهد أنّك رسول الله حقّاً، ثمّ قال: يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبيّ ﷺ: ((أيّ رجل عبد الله فيكم؟))، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، فقالوا: شرّنا وابن شرّنا، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[1]. قال سعد ابن أبي وقاص: (ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنّه من أهل الجنّة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزل ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾)[2]. والضمير للقرآن، أي: على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[4].

ويجوز أن يكون المعنى: وشهد شاهد على نحو ذلك، يعني: على كونه من عند الله. ونظم هذا الكلام أنّ الواو الأولى عاطفة لـ﴿كَفَرۡتُم﴾ على فعل الشرط، وكذلك الواو الأخيرة عاطفة لـ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ على ﴿شَهِدَ﴾، فأما الواو في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقد عطفت جملة قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ على جملة قوله: ﴿كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾. والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضل الناس

(١) الكشف والبيان ج٩: ٩.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٩.

(٣) الشعراء: ١٩٦.

(٤) الأعلى: ١٨.

وأظلمهم؟ وجعل الإيمان في قوله: ﴿فَـَٔامَنَ﴾ مسبباً عن الشهادة على مثله، لأنّه لما علم أنّ مثله أنزل على موسى عليه السلام، وأنّه وحي وليس من كلام البشر فشهد عليه واعترف، كان إيمانه نتيجة ذلك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: لأجلهم قالوا: عامة أتباع محمّد سقاط، فلو ﴿كَانَ﴾ ما جاء به ﴿خَيۡرٗا﴾ لما سبقنا ﴿إِلَيۡهِ﴾ هؤلاء، وقيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار، قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان وأسد وأشجع: لو كان دين محمّد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم[1]. والعامل في ﴿إِذۡ﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه، والتقدير: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ وهو قولهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[2].

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ مبتدأ، ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ﴾ خبر مقدّم، و﴿إِمَامٗا﴾ حال من الظرف كقولك: في الدار زيد قائماً، أي: مؤتماً به قدوة في دين الله ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لمن آمن به ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾ لكتاب موسى، أو لما تقدّمه من الكتب.

و﴿لِّسَانًا عَرَبِيّٗا﴾ حال من ضمير الكتاب في ﴿مُّصَدِّقٞ﴾ فالعامل فيه ﴿مُّصَدِّقٞ﴾، أو حال من ﴿كِتَٰبٞ﴾ لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة. وقرئ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالتاء والياء، و﴿بُشۡرَىٰ﴾ في محلّ النصب عطفاً على محلّ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ لأنّه مفعول له.

وقرئ: حسناً و﴿إِحۡسَٰنًا﴾، و﴿كُرۡهٗا﴾ بضم الكاف وفتحها وهما لغتان، وانتصب على الحال أي: ذات كره، أو على أنّه صفة للمصدر أي: حملاً ذا كره.

---

(١) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٤: ٦٠.

(٢) الأنعام: ٢٥.

﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ أي: مدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً، وقرئ: وفصله، والفصل والفصال في معنى الفطم والفطام، والمراد: بيان مدة الرضاع لا الفطام. ولكنّه عبّر عنه بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال وينتهي به، وفيه فائدة وهي: الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته.

وبلوغ الأشدّ: أن يكتهل ويستوفي السن التي يستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناهز الأربعين، وعن ابن عباس وقتادة: (ثلاث وثلاثون سنة)[١]، ووجهه أن يكون ذلك أوّل الأشدّ وغايته الأربعين، وذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء.

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أي: ألهمني، والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها: نعمة الدين.

﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ سأله سبحانه أن يجعل ذريته مظنة للصلاح، كأنّه قال: هب لي الصلاح في ذريتي، وأوقعه فيهم.

﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ المنقادين لأمرك.

وقرئ (يتقبل) و(يتجاوز) و(أحسن) بالرفع، و﴿نَتَقَبَّلُ﴾ ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بالنون و﴿أَحۡسَنَ﴾ بالنصب، و﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ من نحو قولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه، تريد: أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم، وهو في محلّ النصب على الحال على معنى: كائنين في أصحاب الجنّة، معدودين فيهم.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ مصدر مؤكد لأنّ قوله: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ وعد من الله لهم

---

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ١١.

بتقبل أعمالهم، وبالتجاوز عن سيئاتهم.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ
ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ
﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا
وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ٱلَّذِى قَالَ﴾ مبتدأ وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ والمراد بـ﴿ٱلَّذِى قَالَ﴾: الجنس القائل ذلك القول، ولذلك جاء الخبر بلفظ الجمع.

و﴿أُفٍّ﴾ كلمة تضجّر، واللام للبيان، معناه: هذا التأفيف ﴿لَّكُمَآ﴾ ولأجلكما خاصة دون غيركما.

﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أُبعث وأُخرج من الأرض.

﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك ﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور، والمراد به التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾.

﴿فَيَقُولُ﴾ في جوابها: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ القرآن أو الذي تدعونني إليه ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما سطروها وليس لها حقيقة.

﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ مثل قوله: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾(١).

﴿وَلِكُلّٖ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَٰتٞ﴾ على مراتبهم ومقادير أعمالهم [من الخير والشرّ، أو من أجل أعمالهم الحسنة والقبيحة، وإنّما قال: درجات - وقد جاء: الجنّة درجات والنار دركات - على وجه التغليب، لاشتمال كل على الفريقين.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ﴾ تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه، كأنّه قال: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم](٢)، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ انتصب بالقول المضمر قبل ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ﴾، وعرضهم على النار: تعذيبهم بها، كما يقال: عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به. ومنه قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾(٣)، أو يكون المعنى: عرضت النار عليهم، كما يقال: عرضت الناقة على الحوض، وإنّما يعرض الحوض عليها، وهو من القلب. ويدلّ عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم وبها فيكشف لهم عنها(٤).

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾ أي: ما كتب لكم حظ [من الطيبات](٥) إلا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. وقيل: معناه: أنفقتم طيبات ما رزقتم في شهواتكم وفي ملاذ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله عزّ اسمه. وروي: أنّ النبيّ ﷺ دخل على أهل الصفة وهم

---

(١) الأحقاف: ١٦.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) غافر: ٤٦.

(٤) الكشاف ج٤: ٣٠٥.

(٥) ساقطة من ب.

يرقّعون ثيابهم بالأدم وما يجدون لها رقاعاً، فقال: ((أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلّة ويروح في أخرى، ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذ خير، قال: بل أنتم اليوم خير))[1]. وقرئ: أأذهبتم بهمزة الاستفهام، وآأذهبتم بألف بين همزتين.

وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ
وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ
وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ
أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا
مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن
مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ
سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا
مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا
نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ
وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿أَخَا عَادٍ﴾ هود عليه السلام.

الأحقاف: جمع حقف وهو الرمل المستطيل المرتفع فيه انحناء، من احقوقف

---

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ١٤.

الشيء إذا اعوج. وكانت عاد بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من بلاد اليمن، وقيل: بين عمان ومهرة[١].

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار.

﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ من قبل هود ومن بعده، أي: قال لهم: ﴿لَا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ العذاب، وقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ اعتراض.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَنۡ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ معناه: إنّي لا أعلم الوقت الذي فيه يكون تعذيبكم حكمة وصواباً، إنّما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في هذا الوقت؟!

﴿وَأُبَلِّغُكُم﴾ أي: وأنا أبلغكم ﴿مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ وأمرت بتبليغه إليكم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم ونجاتكم، وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ الضمير يعود إلى ﴿مَا تَعِدُنَآ﴾، أو هو ضمير مبهم قد وضح بقوله: ﴿عَارِضٗا﴾ إما تمييزاً وإما حالاً، والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق من آفاق السماء، ومثله: العنان من: عنّ إذا عرض، والحبي من: حبا، وإضافة ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ﴾ و(ممطر) غير حقيقية لكونهما نكرتين وإن أضيفا إلى المعرفتين، ألا ترى أنّ كليهما وصف للنكرة، وفي تقدير الانفصال كأنّه قال: عارضاً مستقبلاً أوديتهم وهذا عارض ممطر إيّانا.

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢٦: ١٥.

﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: قال هود: ليس هو كما توهمتم ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ هي ﴿رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ﴾ مؤلم.

﴿تُدَمِّرُ﴾ أي: تهلك ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ من نفوس عاد وأموالهم و دوابهم الكثيرة، فعبّر عن الكثرة بالكلية فأصبحوا لا ترى أيّها الرائي إلا مساكنهم، وقرئ: ﴿لَا يُرَىٰٓ﴾ على البناء للمفعول ﴿إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ بالرفع.

﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾: ﴿إِن﴾ نافية أي: فيما ما مكّناكم فيه من قوة الأجسام وطول العمر وكثرة المال، إلا أنّ ﴿إِن﴾ أحسن في اللفظ لما في تكرير (ما) من البشاعة، ألا ترى أنّهم قلبوا الألف من (ما) هاء في (مهما) وأصله (ماما) لبشاعة التكرير.

﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ من الإغناء، وهو القليل منه، وانتصب ﴿إِذۡ كَانُواْ﴾ بقوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ وجرى مجرى التعليل، ألا ترى أنّ قولك: ضربته لإساءته، وضربته إذ أساء يستويان في المعنى، لأنّك إذا ضربته في وقت إساءته فإنّما ضربت فيه لوجود إساءته فيه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما، والمراد: أهل القرى، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

﴿فَلَوۡلَا﴾ أي: فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم شفعاء متقرّباً بهم إلى الله حيث قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]. وأحد مفعولي (اتخذ) المحذوف الراجع إلى ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والثاني: ﴿ءَالِهَةَۢ﴾، و﴿قُرۡبَانًا﴾ حال، والمعنى: فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم.

---

(١) يونس: ١٨.

﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡ﴾ أي: غابوا عن نصرتهم و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم، أي: وذلك أثر ﴿إِفۡكُهُمۡ﴾ الذي هو اتخاذهم إيّاها آلهة، وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء.

وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ
يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ
دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ
أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ
ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ
بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا
تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن
نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أي: أملناهم إليك من بلادهم بالتوفيق والألطاف حتى أتوك، والنفر: دون العشرة، وجمعه: أنفار. وعن ابن عباس: (صرفناهم إليك عن استراق سمع السماء برجوم الشهب فقالوا: ما هذا الذي حدث في السماء إلا لأجل شيء حدث في الأرض، فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبيّ ﷺ ببطن نخلة عامداً إلى عكاظ وهو يصلّي الفجر، فاستمعوا القرآن

ونظروا كيف يصلي)(١).

والضمير في ﴿حَضَرُوهُ﴾ للقرآن أو لرسول الله.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْ﴾ أي: اسكتوا مستمعين.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أي: فرغ من التلاوة ﴿وَلَّوۡاْ﴾ انصرفوا ﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ يخوّفونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا.

قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ لأنّهم كانوا على اليهودية.

﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمّداً ﷺ، دعاهم إلى توحيده ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ الهاء لله، فجاءوا إلى رسول الله وآمنوا وعلّمهم شرائع الإسلام، وأنزل الله سبحانه سورة الجن، وكانوا يفدون إليه في كل وقت. وفيه دلالة على أنّه كان مبعوثاً إلى الجن والإنس.

﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لا ينجي منه مهرب ولا يسبقه سابق.

﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُ﴾ أي: أنصار يدفعون عنه عذاب الله إذا نزل بهم.

﴿بِقَٰدِرٍ﴾ محلّه الرفع لأنه خبر ﴿أَنَّ﴾، وإنّما دخلت الباء لاشتمال النفي في أوّل الآية على ﴿أَنَّ﴾ وما في حيّزها، كأنّه قال: أليس الله بقادر؟ ألا ترى أنّ ﴿بَلَىٰٓ﴾ مقررة لكونه سبحانه قادر على كل شيء لا لرؤيتهم؟ وقرئ: يقدر.

﴿وَلَمۡ يَعۡىَ بِخَلۡقِهِنَّ﴾ يقال: عيي فلان بأمره: إذا لم يهتد له ولم يعرف وجهه، ومنه: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾(٢).

﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ محكي بعد قول مضمر، وهذا المضمر هو الناصب

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ٢٠.

(٢) ق: ١٥.

للظرف، و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى العذاب بدلالة قوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ وهو توبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده.

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ أولو الجد والثبات والصبر، قيل: إنّ ﴿مِن﴾ للتبيين[١]، والمراد: جميع الرسل، والأظهر أنّ ﴿مِن﴾ للتبعيض. وأولو العزم من الرسل: من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّمه، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ العذاب، أي: لا تدع لهم بتعجيله فإنّه نازل بهم لا محالة وإن تأخر، وإنّهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

و﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا بلاغ، والمعنى: هذا القرآن بما فيه من البيان كفاية، أوهذا تبليغ من الرسول.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ﴾ الخارجون من أمر الله تعالى، المتمردون في الفسق والمعاصي؟ وعن الزجّاج: (ما جاء في رجاء رحمة الله شيء أبلغ من هذه الآية)[٢].

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٦: ٢٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٤٤٨.

سورة محمّد

مدنية وهي أربعون آية بصري، ثمان وثلاثون كوفي، عدّ البصري ﴿أَوْزَارَهَا﴾ و﴿لِلشَّارِبِينَ﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة محمّد) كان حقّاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنّة))[١]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها لم يدخله شك في دينه أبداً، ولم يزل محفوظاً من الشرك والكفر حتى يموت... تمام الخبر))[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ
﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ
ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٤.

﴿لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أحبط الله أعمالهم التي ظنوها خيراً وقربة، ويسمونها مكارم الأخلاق من صلة الأرحام وقرى الأضياف وحفظ الجوار ونحو ذلك، وأذهبها وأبطلها كأنّها لم تكن. وقيل: هم العشرة في وقعة بدر أطعم كل واحد منهم الجند يوماً(١)، وقيل: هو عام في كل من صدّ وأعرض عن الدخول في دين الإسلام أو صدّ غيره عنه(٢). وحقيقة أضلّها: جعلها ضالّة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها، كالضالّة من الإبل التي هي بمضيعة لا حافظ لها.

وقوله: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اختصاص للإيمان بما نزل على رسول الله ﷺ من بين ما يجب الإيمان به تعظيماً لشأنه، وإيذاناً بأنّ الإيمان لا يتم إلا به، وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. وقيل: معناه: إنّ دين محمّد ﷺ هو الحقّ إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم وشأنهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا، ويدخلهم الجنّة في العقبى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، أي: ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين، وتكفير سيئات الآخرين وإصلاح بالهم كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحقّ. ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك بهذا السبب، فيكون محلّ الجار والمجرور منصوباً على هذا الوجه، ومرفوعاً على الأوّل.

(١) عن الكلبي. تفسير السمرقندي ج٣: ٢٨١.

(٢) عن السدي. تفسير الماوردي ج٥: ٢٩٠.

و﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾ ما لا ينتفع به، وعن قتادة: (الباطل: الشيطان)[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الضرب ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ والضمير راجع إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أو إلى المذكورين قبل من الفريقين، أي: يضرب أمثالهم للناس لأجل الناس ليعتبروا بهم، وضرب المثل هو في أنّ جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكافرين، وإصلاح البال مثلاً لفوز المؤمنين، أو في أنّ جعل الحقّ كأنّه دعا المؤمن إلى نفسه فأجابه، والباطل كأنّه دعا الكافر إلى نفسه فأجابه.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ﴾ هو من اللقاء بمعنى الحرب.

﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدّم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنّك تذكر المصدر وتدلّ على الفعل بالنصبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأنّ الواجب أن يضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء في القتل، وإن جاز الضرب في سائر المواضع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من الشيء الثخين وهو الغليظ، أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض.

﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ أي: فأسروهم وأحكموا وثاقهم، والوثاق ـ بالفتح والكسر ـ: اسم ما يوثق به.

﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ هما منصوبان بفعليهما مضمرين أي: فإما تمنّون منّاً وإما تفدون فداء، والمعنى: التخيير بعد الأسر بين أن تمنّوا عليهم فتطلقوهم، وبين أن تفادوهم بأسارى المسلمين أو بالمال.

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٩.

والمروي عن أئمتنا عليهم السلام: أنّ الأسارى ضربان: ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة، فالإمام مخيّر فيهم [بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وضرب يؤخذون بعد انقضاء القتال، فالإمام مخيّر فيهم][1] بين المنّ والفداء إما بالمال أو بالنفس، وبين الاسترقاق، وبين ضرب الرقاب[2].

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع. وسمّيت أوزارها [لأنّه لم يكن لها بد من جرها فكأنّها تحملها، فإذا انقضت فكأنّها وضعتها، وقيل: أوزارها:][3] آثامها، يعني: حتى يترك أهل الحرب ـ وهم المشركون ـ شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان، ولا يعبدوا الأوثان[4]. وعن الفراء: (حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم)[5]. وعن الزجّاج: (يعني: اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا، فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً)[6].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، أو افعلوا ذلك.

﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ ببعض أسباب الهلاك [من خسف أو رجفة أو حاسب أو غرق أو موت خارق][7] ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بقتالهم ﴿لِّيَبۡلُوَاْ﴾ المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا ويبذلوا أنفسهم في إحياء الدين حتى يستوجبوا

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) تهذيب الأحكام ج٦: ١٤٣.

(٣) ساقطة من د.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٦: ٢٨.

(٥) معاني القرآن للفراء ج٣: ٥٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٦.

(٧) ساقطة من ب، ج.

الثواب العظيم، والذين قاتلوا في سبيل الله أي جاهدوا. وقرئ: ﴿قُتِلُوا﴾.

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بل يتقبلها ويثيبهم عليها جزيل الثواب.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى طريق الجنّة ﴿وَيُصْلِحُ﴾ حالهم.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [أعلمها لهم وبيّنها][١] بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنّة، وعن مجاهد: (يهتدي أهل الجنّة إلى مساكنهم منها لا يخطئون، كأنّهم كانوا سكانها منذ خلقوا)[٢]. وعن مقاتل: (إنّ الملك الذي وكّل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله)[٣]. وقيل: معناه: طيّبها لهم، من العرف وهو طيب الرائحة[٤].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا
﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) تفسير الطبري ج٢٦: ٢٩.

(٣) الدر المنثور ج٦: ٤٨.

(٤) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج٤: ٦٨.

﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ١٤﴾

﴿إِن تَنصُرُواْ﴾ دين الله ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ في مواطن الحروب، أو على محجّة الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ عطف على الفعل الذي هو الخبر، وانتصب به ﴿تَعۡسٗا﴾ أي: فقضى تعساً لهم، أو فقال: تعساً لهم أي: أتعسهم الله فتعسوا تعساً، ونقيض تعساً له: لعا له، قال الأعشى:

فَالْتَعْـسُ أَوْلَى لَهـا مِـنْ أَنْ يُقَـالَ لَعَـا[١]

والمراد: فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت، وعن ابن عباس: (يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار)[٢].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ﴾ القرآن و﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيه من الأحكام، لأنّهم قد ألفوا الإهمال فشقّ عليهم التكاليف. قال الباقر عليه السلام: ((كرهوا ما أنزل الله في عليّ عليه السلام))[٣].

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: أهلكهم، ومعناه: دمّر عليهم وأهلك ما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ الضمير للعاقبة المذكورة، أو للهلكة لأنّ التدمير يدلّ عليها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلناه بالفريقين بسبب أنّ ﴿ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وليهم

---

(١) ديوان الأعشى: ٨٣، وصدره: بذات لوث عفرناة إذا عثرت   فالتعس أدنى....

(٢) الكشاف ج٤: ٣١٨.

(٣) تفسير القمي ج٢: ٣٠٢.

وناصرهم والدافع عنهم، ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ينصرهم ويدفع عنهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أيّاماً قلائل ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مفكرين في العاقبة ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ في مسارحها ومعالفها غافلة عما هو بصددها من الذبح والنحر.

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: منزل لهم ومقام.

﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهل قرية، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾، فكأنّه قال: وكم من قوم هم أشدّ قوة من قومك الذين أخرجوك من مكة أهلكناهم، ومعنى أخرجوك: كانوا سبب خروجك.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ يجري مجرى الحال المحكية بمعنى: فهم لا ينصرون.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [أي: على حجّة من عند ربّه][1] وبرهان وهي القرآن المعجز وسائر المعجزات، يريد: رسول الله ﷺ.

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ يريد: أهل مكة الذين زيّن لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ولرسوله، وقال: ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ و﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ حملاً على لفظ (مَن) ومعناه.

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ
لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ
وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ
وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ
إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) ساقطة من د.

﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ
هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم
بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ
سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ
فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ... كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ﴾ كلام في صورة الإثبات، والمعنى: النفي والإنكار؛ لانطوائه تحت كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيّزه، وهو قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فكأنّه قال: أمثل الجنّة كمثل جزاء من هو خالد في النار، وفي تعريته من حرف الإنكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسّك بالبيّنة والمتبع لهواه، وأنّه بمنزلة من يسوّي بين الجنّة التي فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم، ونظيره قول القائل:

أَفْــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الكِــرَامَ وَأَنْ ... أُوْرِثَ ذَوْداً شَــصَائِصاً نَبَــلا[1]

فإنّه إنكار للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعرّي الكلام عن حرف الإنكار، لانطوائه تحت حكم قول من قال له: أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله؟! فكأنّه قال: أمثلي من يفرح بذلك؟! وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار.

و﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفة الجنّة العجيبة الشأن وهو مبتدأ، وخبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ﴾،

---

(١) ديوان الأعشى: ٢٥٢.

وقوله: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ﴾ داخل في حكم الصلة كالتكرير لها. ويجوز أن يكون في محلّ النصب على الحال، أي: مستقرة فيها أنهار. وفي قراءة عليّ عليه السلام: أمثال الجنّة، أي: ما صفاتها كصفات النار، وقرئ: أسن، يقال: أسن الماء وأجن: إذا تغير طعمه وريحه، فهو آسن وأسن.

﴿مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ كما يتغير ألبان الدنيا، فلا يصير قارصاً ولا حازراً[١].

﴿لَّذَّةٖ﴾ [تأنيث اللذ][٢] وهو اللذيذ، أو وصف بمصدر أي: يلتذون بها ولا يتأذون بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المرارة والخمار والصداع.

﴿مُّصَفّٗى﴾ أي: خالص من الشمع والقذى والأذى ﴿وَلَهُمۡ﴾ مع ذلك ﴿فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: ستر لذنوبهم وإنساء لسيئاتهم، حتى لا يتنغص عليهم النعيم.

﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا﴾ شديد الحر، روي: أنّه إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطّع أمعاءهم[٣].

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ وهم المنافقون، أي: يستمعون إلى كلامك فيسمعونه ولا يعونه، فإذا ﴿خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ﴾ آتاهم الله ﴿ٱلۡعِلۡمَ﴾ من المؤمنين ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي شيء قال الساعة؟! وإنّما قالوه استهزاء وقلة مبالاة به، يعنون: إنّا لم نشتغل بوعيه وفهمه، قال الزجّاج: (هو من استأنفت الشيء إذا

---

(١) الحازر: اللبن الحامض. (الصحاح: مادة حزر)

(٢) ساقطة من ب.

(٣) تفسير الطبري ج٢٦: ٣٢.

ابتدأته، والمعنى: ماذا قال في أوّل وقت يقرب منا؟!)[١]، وعن الأصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السلام قال: ((إنّا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي، فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً))[٢].

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى﴾ بالتوفيق ﴿وَآتَاهُمْ﴾ جزاء ﴿تَقْوَاهُمْ﴾، أو أعانهم عليها، وقيل: الضمير في ﴿زَادَهُمْ﴾ لقول الرسول صلى الله عليه وآله، أو لاستهزاء المنافقين أي: زادهم استهزاؤهم بصيرة وتصديقاً لنبيّهم[٣].

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿السَّاعَةَ﴾.

﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، وقيل: هي مبعث محمّد خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله ونزول آخر الكتب وانشقاق القمر والدخان[٤]، وقيل: قطع الأرحام وشهادة الزور وكثرة اللئام وقلة الكرام[٥].

﴿فَأَنَّى لَهُمْ﴾ أي: فمن أين لهم وكيف لهم الذكرى والاتعاظ والتوبة ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة؟ أي: لا تنفعهم الذكرى يومئذ.

ثمّ خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله والمراد أمّته قال: إذا علمت سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله عزّ اسمه وعلى التواضع وهضم النفس بالاستغفار ﴿لِذَنْبِكَ﴾ مع كمال عصمتك لتستن أمّتك بسنتك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أمره بالاستغفار لذنوبهم تكرمة لهم، إذ هو الشفيع

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٠.

(٢) تفسير العياشي ج١: ١٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١١.

(٤) تفسير السمرقندي ج٣: ٢٨٦.

(٥) الكشاف ج٤: ٣٢٣.

المجاب فيهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ ومستقركم في منازلكم، أو متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور، أو في الجنّة والنار، أو متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومقامكم في الأرض، ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى. وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: (ألم تسمع قوله حين بدأ به: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ فأمره بالعمل بعد العلم، وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[(١)] ثمّ قال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[(٣)] ثمّ قال: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾[(٤)])[(٥)].

﴿لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞ﴾ أي: هلا نزلت سورة، كانوا يدّعون الحرص على الجهاد ويقولون: هلا نزلت سورة في معنى الجهاد.

﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ مبيّنة غير متشابهة، وأوجب عليهم فيها القتال وأمروا به.

﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم﴾ شك ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي: يشخصون نحوك بأبصارهم ﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت جبناً وهلعاً.

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ وعيد بمعنى: فويل لهم، وهو أفعل من الولي وهو القرب،

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) الأنفال: ٢٨.

(٤) التغابن: ١٤.

(٥) الكشاف ج٤: ٣٢٤.

ومعناه: وليهم وقاربهم ما يكرهون.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ
أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ
ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ
ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ
أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ
مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

هذا استئناف كلام، أي: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ خير لهم، وقيل: هي حكاية قولهم[١] يعني: قالوا: طاعة [وقول معروف][٢]، أي: أمرنا طاعة وقول معروف، أي: حسن لا تنكره العقول.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جدّ، وإنّما العزم والجدّ لأصحاب الأمر، وأسند إلى

---

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج٥: ٣٠١.

(٢) ساقطة من ب.

الأمر مجازاً.

﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد، أو في إيمانهم بأن يواطئ فيه قلوبهم ألسنتهم ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ من نفاقهم.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ أي: هل يتوقع منكم يا معشر المنافقين ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أي: تسلّطتم وملكتم أمور الناس وتأمّرتم عليهم وجعلتم ولاة ﴿أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بسفك الدم الحرام وأخذ الرشا ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ تهالكاً على ملك الدنيا، فيقتل بعضكم بعضاً، ويقطع بعضكم رحم بعض.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين الذين لعنهم الله لإفسادهم في الأرض وقطعهم الأرحام، فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة، وعموا عن إبصار طريق الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ ويتصفحونه ويعتبرون به ويقضون ما عليهم من الحقوق.

﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ هي أم المنقطعة، ومعنى الهمزة فيه: التسجيل عليهم بأنّ قلوبهم مقفلة لا يوصل إليها ذكر، ومعنى تنكير القلوب: أنّها قلوب قاسية مبهم أمرها، أو بعض القلوب وهي قلوب المنافقين. وأما إضافة الأقفال إليها فلأنّ المراد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ بأن رجعوا عن الحقّ والإيمان ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ وظهر لهم طريق الحقّ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وقعت خبراً لـ(إنّ) ومعناه: الشيطان سوّل لهم ركوب العظائم من الذنوب، من السول وهو الاسترخاء.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ومدّ لهم في الآمال.

﴿ذَٰلِكَ﴾ بسبب ﴿أَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن، وعن الصادق عليه السلام: ((في ولاية عليّ عليه السلام))[١].

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في بعض ما تأمرون به وتريدونه والله يعلم أسرارهم.

وقرئ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة، أي: ما أسرّه بعضهم إلى بعض من القول، وما أسرّوه في أنفسهم من الاعتقاد.

﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون وما حيلتهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقبضت أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التوفّي الموصوف بتلك الصفة بسبب ﴿أَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من عظائم الأمور ﴿وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ التي كانوا يعملونها من صلاة وغيرها لأنّها في غير إيمان.

بل أحسب ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم على المؤمنين، وإخراجها: إبرازها لرسول الله وللمؤمنين المخلصين، وإظهارهم على نفاقهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾ يا محمّد حتى تعرفهم بأعيانهم، وهو قوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعلامتهم، وعن أنس: (ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين، وكان يعرفهم بسيماهم)[٢]. والفرق بين اللامين في:

---

(١) الكافي ج١: ٤٢١.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٣٧.

﴿فَلَعَرَفۡتَهُم﴾، ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾: أن الأولى هي الداخلة في جواب (لو) كالتي في ﴿لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ ثمّ كررت في المعطوف، واللام في ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ﴾ وقعت مع النون في جواب القسم المحذوف.

﴿فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: تعرفهم في فحوى كلامهم ومغزاه ومعناه، وعن أبي سعيد الخدري: (لحن القول: بغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام)[١]. وعن جابر مثله[٢]. وعن عبادة بن الصامت[٣]: (كنا نبوّر[٤] أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشدة)[٥]. وقيل: اللحن أن تلحن بكلامك أي: تميله إلى نحو من الأنحاء ليتفطن له صاحبك كالتعريض والتورية[٦]، قال:

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْما تَفْقَهُوا وَاللَحْنُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ[٧]

وإنّما قيل للمخطئ: لاحن، لأنّه يعدل بكلامه عن الصواب.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ بمشاق الأمور والتكاليف. وعن الفضيل أنّه كان إذا قرأها بكى وقال: (اللهم لا تبلنا فإنّك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذّبتنا)[٨].

﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ أي: ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم لنعلم حسنه

(١) شواهد التنزيل ج٢: ٢٤٩.

(٢) الاستيعاب ج٢: ٤٦.

(٣) عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخزرجي، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، مات بالرملة سنة ٣٤هـ، وقيل: إنه عاش الى سنة ٤٥هـ. ينظر: الإصابة ج٢:٢٦٨.

(٤) نبوّر: نختبر ونمتحن. (لسان العرب: مادة بور)

(٥) أسنى المطالب: ٥٨.

(٦) الصحاح: مادة لحن.

(٧) ديوان القتال الكلابي: ٣٦، وفيه: ووحيت وحياً ليس بالمرتاب.

(٨) الكشف والبيان ج٩: ٣٨.

من قبيحه، لأنّ الخبر على حسب المخبر عنه. وقرئ: وليبلونكم، ويعلم، ويبلو، بالياء، وهو قراءة الباقر عليه السلام، وقرئ: ونبلو بالنون وسكون الواو، على معنى: ونحن نبلو.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ
﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ
مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن
يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ
هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن
يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وظهر لهم الحقّ إنّما ضروا أنفسهم، و ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ بذلك ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ التي عملوها فلا يرون لها في الآخرة ثواباً.

﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ بمعصية الله والرسول، أو بالشك والنفاق. وعن ابن عباس: (لا تبطلوها بالرياء والسمعة)[1].

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: فلا تضعفوا ولا تتوانوا في قتال أعداء الله.

ولا ﴿تَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ قرئ بالفتح والكسر وهما المسالمة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾

(١) الكشاف ج ٤: ٣٢٩.

أي: الأغلبون الأقهرون، وقيل: إنّ (الواو) للحال، أي: لا تدعوهم إلى الصلح والحال أنّكم الغالبون القاهرون لهم[١]. و﴿تَدْعُوٓاْ﴾ مجزوم لدخوله في حكم النهي كما ذكرنا، ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار (أن).

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ هو من: وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو حربته[٢]، وحقيقته: أفردته من حميمه أو ماله، من الوتر وهو الفرد. ومنه قول النبيّ ﷺ: ((ومن فاتته صلاة العصر فكأنّما وتر أهله وماله))[٣]، أي: أفرد عنهما قتلاً ونهباً، فشبّه سبحانه إضاعة عمل العامل وإبطال ثوابه بوتر الواتر، وهو من فصيح الكلام.

﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: ثواب إيمانكم وتقواكم.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: ولا يسألكم جميعها في الصدقة، وإن أوجب عليكم الزكاة في بعضها، واقتصر منه على القليل وهو ربع العشر، وقيل: لا يسألكم الرسول على أداء الرسالة أموالكم أن تدفعوها إليه.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ أي: فيجهدكم بمسألة جميعها، والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال: أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئاً من الإلحاح، ومنه: إحفاء الشارب وهو استئصال شعره.

﴿تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أي: تضطغنون [على رسول الله وتضيق صدوركم لذلك، والضمير في (يُخرج) لله عزّ وجل، أي: يضغنكم][٤] بطلب

---

(١) عن مجاهد. التبيان ج٩: ٣٠٨.

(٢) حربته: أغضبته. (الصحاح: مادة حرب).

(٣) سنن النسائي ج١: ٢٣٨.

(٤) ساقطة من ج.

أموالكم، أو للبخل لأنّه سبب الاضغان.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول صلته ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾، أي: ها أنتم الذين تدعون، أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون، ثمّ استأنف وصفهم، كأنّهم قالوا: وما وصفنا؟ فقال: ﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كأنّه قيل: الدليل على أنّه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنّكم تدعون إلى أداء ربع العشر، فمنكم ناس يبخلون به، ثمّ قال: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ﴾ بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله، وإنّما ﴿يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ إذ يلزمها العذاب الأليم ويحرمها الثواب العظيم، يقال: بخلت عليه وعنه، وضننت عليه وعنه. وفي الآية إشارة إلى أنّ معطي المال أحوج إليه من الفقير الآخذ، فبخله به بخل على نفسه.

﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ إلى ما عند الله من الرحمة والثواب.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ معطوف على ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ على خلاف صفتكم، راغبين في الإيمان والتقوى، غير متولين عنهما ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ بل خيراً منكم وأطوع لله. روي: أنّهم قالوا لرسول الله ﷺ: من هؤلاء؟ فضرب ﷺ يده على فخذ سلمان فقال: ((هذا وقومه، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس))[١]. وعنهم عليهم السلام: ((إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعني: الموالي))[٢].

---

(١) صحيح ابن حبان ج١٦: ٦٣.

(٢) تفسير القمي ج٢: ٣٠٩.

سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الفتح) فكأنّما شهد مع محمّد فتح مكة))[1]، وفي رواية أخرى: ((فكأنّما كان مع من بايع محمّداً تحت الشجرة))[2]، وعن الصادق عليه السلام: ((حصّنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فإنّه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة: أنت من عبادي المخلصين، ألحقوه بالصالحين من عبادي، فأسكنوه جنات النعيم، واسقوه من الرحيق المختوم بمزاج الكافور))[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ
ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

(١) تفسير السمرقندي ج٣: ٣٠٥.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٠٨.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٥.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ
وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

اختلف في هذا الفتح، فقيل: هو فتح مكة وعده الله ذلك عند انكفائه من الحديبية[١]، وعن جابر: (ما كنا نعلم فتح مكة إلا يوم الحديبية)[٢]. وجاء به على لفظ الماضي على عادته عزّ اسمه في أخباره، لأنّها في تحقّقها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة. وقيل: هو فتح الحديبية[٣]، فروي: أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية قال رجل من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صدّونا عن البيت وصدّ هدينا، فقال عليه السلام: ((بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح، ويسألوكم القضية، ورغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا))[٤]. وعن الزهري: (لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أنّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير كثر بهم سواد الإسلام)[٥].

---

(١) عن أنس. معالم التنزيل ج٤: ٧٢.

(٢) تفسير الطبري ج٢٦: ٤٤.

(٣) عن الشعبي. تفسير الماوردي ج٥: ٣٠٩.

(٤) دلائل النبوّة ج٤: ١٦٠.

(٥) معالم التنزيل ج٤: ٧٣.

والحديبية: بئر نفد ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة، فأتاها النبيّ ﷺ فجلس على شفيرها ثمّ دعا بإناء من ماء ثمّ توضأ وتمضمض ومجّه فيها، فدرّت بالماء حتى أصدرت جميع من معه وركابهم[١]. وعن سالم بن أبي الجعد[٢] قال: (قلت لجابر: كم كنتم تحت الشجرة؟ قال: كنا ألفا وخمسمائة، وذكر عطشاً أصابهم ثمّ قال: فأُتي رسول الله ﷺ بماء في تور فجعل يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنّه العيون، قال: فشربنا وسقانا وكفانا، ولو كنا مائة ألف كفانا)[٣].

وقيل: المراد بالفتح هنا فتح خيبر، ذكره مجمع بن حارثة الأنصاري ـ وهو أحد القراء ـ في حديثه: (لما انصرفنا من الحديبية أوحي إلى رسول الله ﷺ فوجدناه واقفاً عند كراع الغميم وقرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا... السورة﴾، فقال عمر: أوَ فتح هو؟! قال: نعم والذي نفسي بيده إنّه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل فيها أحد إلا من شهدها)[٤].

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ لأصحابنا فيه وجهان من التأويل:

أحدهما: أنّ المراد: يغفر لك ما تقدّم من ذنب أمّتك وما تأخّر بشفاعتك. وحسنت إضافة ذنوب أمّته إليه للاتصال بينه وبينهم، ويعضده ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: ((والله ما كان له ذنب ولكن الله

---

(١) معالم التنزيل ج٤: ٧٣.

(٢) سالم بن أبي الجعد الأشجعي مولاهم الكوفي، يكنى أبا أسماء، من أصحاب علي عليه السلام ومن ثقات التابعين. ينظر: ميزان الاعتدال ج٢: ١٠٩، معجم رجال الحديث ج٨: ١٤.

(٣) مسند أحمد ج٣: ٣٦٥.

(٤) الكشف والبيان ج٩: ٤١.

سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة عليّ عليه السلام ما تقدّم وما تأخّر))[١].

والآخر: ذكره السيّد المرتضى (قدس الله روحه): أنّ الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول، والمراد هنا: ما تقدّم من ذنبهم إليك في إخراجهم إيّاك من مكة وما تأخر من صدّك عن المسجد الحرام، أي: ليغفر ما أذنبه قومك إليك من إخراجك من مكة وصدّك عنها، فالذنب مضاف إلى المفعول هنا، وتعدّى بنفسه حملاً على الإخراج والصدّ اللذين هو في معناهما، ولذلك جعل المغفرة علة للفتح وغرضاً فيه[٢]. والمراد بالمغفرة على هذا إزالة أحكام المشركين ونسخها عنه، وستر تلك الوصمة عليه بما يفتح له من مكة بأن يدخلها فيما بعد، ولو أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لكون المغفرة غرضاً في الفتح.

معنى ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ في الدنيا بإعلاء أمرك وإظهارك على الدين كله وبقاء شريعتك، وفي الآخرة برفع محلّك.

﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ ويرشدك طريقاً يؤدي سالكه إلى الجنّة ويثبتك عليها.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ تمتنع به من كل جبار عنيد، وصف النصر بالعزيز لأنّ فيه العزّة والمنعة، أو يعني عزيزاً صاحبه، أو وصفه بصفة المنصور إسناداً مجازياً.

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ السكون، أي: أنزل الله السكون ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ والطمأنينة بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الإسلام على وفق

---

(١) تفسير القمي ج٢: ٣١٤ برواية عمر بن يزيد بياع السابري.

(٢) تنزيه الأنبياء: ١٤٨.

ما وعدوا.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يسلّط بعضها على بعض على ما يقتضيه علمه وحكمته. ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية، ووعدهم أن يفتح لهم مكة ليعرف المؤمنون نعمة الله في ذلك ويشكروها فيثيبهم ويعذّب المنافقين والكافرين [لما غاضهم من ذلك وكرهوه][١].

ومعنى ﴿ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾: ظنهم أنّ الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم إلى مكة ظافرين فاتحين إيّاها، والسوء: عبارة عن رداءة الشيء وفساده، كما يقع الصدق عبارة عن جودة الشيء وصلاحه.

﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ أي: ما يظنونه ويتربّصونه بالمؤمنين فهو دائر عليهم حائق بهم، وهو الهلاك والدمار. وقرئ: دائرة السوء بفتح السين وضمها وهما لغتان من ساء كالكره والكره، والضعف والضعف، إلا أنّ المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمّه من كل شيء، والمضموم جار مجرى الشرّ الذي هو نقيض الخير، [يقال: أراد به السوء، وأراد به الخير][٢]، ولذلك أضيف الظن إلى المفتوح لكونه مذموماً، وكانت الدائرة محمودة فكان حقّها ألا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرناه.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ بأن أبعدهم من رحمته.

وكرر قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لأنّ الأوّل اتصل بذكر المؤمنين، [أي: فله الجنود التي يقدر على أن يعينهم بها][٣]، والثاني اتصل بذكر الكافرين،

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ب.

أي: فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في قهره وانتقامه من أعدائه ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله وقضائه.

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ
فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن
لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ
يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

قرئ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ وما بعده بالتاء والياء، فالتاء على الخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته، والياء على أنّ الضمير في الجميع للناس.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تقووه بالنصرة ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعظموه وتطيعوه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح أو من السبحة. والضمائر لله عزّ اسمه، والمراد بتعزير الله: تعزيز دينه ورسوله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يريد: بيعة الحديبية وهي بيعة الرضوان، أي: بايعوا

رسول الله ﷺ على الموت.

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ هو كقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[١] ثمّ أكّده تأكيداً بقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ كأنّ يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين يد الله، إذ هو جل جلاله منزّه عن صفات الأجسام.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ لا يعود ضرر نكثه إلا عليه. ويقال: وفيت بالعهد وأوفيت به. وقرئ: ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾ بالنون والياء.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ وهم الذين تخلّفوا عن صحبة رسول الله ﷺ عام الحديبية لما أراد المسير إلى مكة معتمراً، وذلك في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، فاستنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصدّ، وأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنّه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب فقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاؤوه فقتلوا كثيراً من أصحابه، فتخلّفوا عنه واعتلّوا بالشغل، وظنوا أنّه لا ينقلب إلى المدينة ويهلك.

و﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ هو تكذيب لهم في اعتذارهم، وإخبار عن ضمائرهم وأسرارهم، وأنّهم لا يبالون استغفر لهم الرسول أم لا.

﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ أي: فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ﴾ ما يضرّكم من قتل أو موت ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا﴾ من ظفر وغنم، وقرئ: ضُرّاً وهما لغتان، كالفقر والفقر، وقيل: إنّ الضَرّ خلاف النفع، والضُرّ: سوء الحال[٢].

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) عن القاسم بن سلام. إعراب القرآن ج٤: ١٩٩.

والأهلون: جمع أهل، وأما الأهالي فاسم للجميع كالليالي. والبور: جمع بائر كعائذ وعوذ، وقيل: إنّه مصدر بار كالهلك مصدر هلك، ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث(١). والمعنى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا﴾ فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم، وهالكين عند الله، لا خير فيكم، ومستوجبين لسخطه وعقابه.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أقيم مقام (لهم)، ليعلم أنّ من لم يجمع بين الإيمانين وهو الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر.

ونكّر ﴿سَعِيرًا﴾ إيذاناً بأنّها نار مخصوصة لهم، كما نكر قوله: ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾(٢).

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا
ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا
كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا
بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ
سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن
تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ
يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

---

(١) معاني القرآن للفراء ج٣: ٢٦٤.

(٢) الليل: ١٤.

﴿ سَيَقُولُ ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ ﴾ خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾. وقرئ: كلم الله، أي: موعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر عوضاً من مغانم مكة.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن ﴾ قبل مرجعنا إليكم أنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ونشارككم فيها ﴿بَلْ كَانُوا۟ ﴾ قوماً ﴿لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [أي: لا يفهمون ﴿إِلَّا ﴾ فهماً][1] ﴿قَلِيلًا ﴾ وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين. والفرق بين حرفي الإضراب: أنّ الأوّل إضراب عن أن يكون ذلك حكم الله وإثبات للحسد، والثاني إضراب عن وصفهم المؤمنين بالحسد وإثبات لجهلهم.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿سَتُدْعَوْنَ ﴾ فيما بعد ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ وهم هوازن وثقيف.

﴿أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ معطوف على ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ ﴾ أي: يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة أو الإسلام، لا ثالث لهما.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ ﴾ وتجيبوا إلى قتالهم يأجركم الله ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ ﴾ عن قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ ﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ ﴾ الله في الآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو. وقرئ ﴿يُدْخِلْهُ ﴾ و﴿يُعَذِّبْهُ ﴾ بالنون والياء.

إنّما سمّيت بيعة الرضوان بهذه الآية، بايعوا النبيّ ﷺ بالحديبية تحت الشجرة

---

(١) ساقطة من ج.

المعروفة وهي الشجرة السمرة[١].

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من صدق النية في القتال والصبر والوفاء، وكان عددهم ألفاً وخمسمائة أو ثلاثمائة.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ والضمير للمؤمنين، والسكينة: هي اللطف المقوّي لقلوبهم والطمأنينة.

﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني: فتح خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ وهي مغانم خيبر وكانت مشهورة بكثرة الأموال والعقار.

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ
أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ
ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ
مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

(١) السمُرة ـ بضم الميم ـ: من شجر الطلح. (الصحاح: مادة سمر)

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ هي جميع ما يفيء على المؤمنين إلى يوم القيامة.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ المغانم يعني: غنائم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعني: أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا، وقيل: يريد أيدي أهل مكة بصلح الحديبية[1].

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة والهدنة والغنيمة التي عجلت ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعبرة يعرفون بها أنّهم من الله بمكان، وأنّه ضامن نصرهم والفتح عليهم، وذلك أنّ الصلح وقع على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، وعلى أنّ من قدم مكة من المسلمين فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش فهو آمن على دمه وماله، ومن أحبّ أن يدخل في عقد محمّد وعهده [دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فقالت خزاعة: نحن في عقد محمّد وعهده][2]، وقالت كنانة: نحن في عقد قريش، فقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ: أنّه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لا نردّه عليك، فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! فقال عليه السلام: من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم ولو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً، فقال سهيل: وعلى أنّك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة، فإذا كان العام القابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ولا تدخلها بالسلاح إلا والسيوف في القراب، وعلى أنّ هذا الهدي حيث ما حبسناه محلّه لا تقدمه علينا، فقال عليه السلام: نحن نسوق وأنتم

---

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ٧٥.

(٢) ساقطة من ب.

تردّون؟! قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبيّ ﷺ فقلت: ألست نبيّ الله؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟ فقال: بلى، قلت: فلمَ تعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري، قلت: أوَ لست كنت تحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنّك تأتيه وتطوف به. فنحر رسول الله ﷺ بدنة ودعا بحالقه فحلق شعره[1]. وعن محمّد بن كعب: (كان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلما قال له: اكتب: هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو، جعل عليّ يتلكأ ويأبى أن يكتب إلا محمّد رسول الله، فقال عليه السلام: فإنّ لك مثلها، تعطيها وأنت مضطهد، فكتب)[2].

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثمّ خرج إلى خيبر فأعطى اللواء أبا بكر وبعثه إلى القوم، فانطلق فلقي القوم ثمّ انكشف هو وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، ثمّ بعث عمر بن الخطاب ونهض بمن نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف هو وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون بجملتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبح قال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فبرز مرحب وهو يقول:

---

(١) السيرة النبوية ج٣: ٤٣٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: السيرة الحلبية ج٣: ٢٣.

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَـبُ.... الأبيات

فقال عليّ عليه السلام:

أَنَـا الّـذِي سَـمَّتْنِي أُمِّـي حَيْـدَرَه   كَلَيْـثِ غَابَـاتٍ كَرِيـهِ المَنْظَـرَه

أُوفِيهُـمُ بِالصَّـاعِ كَيْـلَ السَّـنْدَرَه

فضرب مرحباً فقتله، وكان الفتح[1].

وقوله: ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض، أي: وليكون ذلك آية فعل ذلك.

ويجوز أن يكون المعنى: وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الأعداء لينفعكم بها، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا وعد الله بها صادقاً؛ لأنّ الإخبار بالمغيبات معجزة وآية.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويزيدكم بصيرة وثقة بفضل الله ويقيناً.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: وعدكم الله مغانم أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ بعد، وهي مغانم هوازن في غزوة حنين.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: قد قدر عليها واستولى، وأظهركم عليها وغنمكموها.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ هذا من العلم بالمعدوم، علم سبحانه ما لم يكن أن لو كان كيف يكون.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ في موضع المصدر المؤكد، أي: سنّ الله جل جلاله غلبة

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج٢: ٦٥٤.

أنبيائه سنّة، وهو كقوله: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[(١)].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني: أيدي أهل مكة ﴿عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ بالنهي ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ يوم الحديبية، وذلك أنّهم بعثوا أربعين رجلاً ليصيبوا من المسلمين فأُسروا، فخلى رسول الله ﷺ سبيلهم. وعن عبد الله بن المغفل[(٢)]: (كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة وبين يديه علي يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله أبصارهم، فقمنا فأخذناهم، فخلى ﷺ سبيلهم)[(٣)]. وقرئ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

[﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ معطوف][(٤)] على الضمير المنصوب في ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ أي: وصدّوا ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ محبوساً عن ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ وهو مكانه الذي يحلّ فيه نحره، أي: يجب، وبعض الحديبية من الحرم، وروي: أنّ مضارب رسول الله ﷺ كانت في الحلّ ومصلاه في الحرم[(٥)].

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ مستضعفون كانوا بمكة بين الكفار ﴿وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ كذلك.

﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة لرجال ونساء جميعاً، و﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بدل اشتمال منهم، أو من الضمير المنصوب في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾.

---

(١) المجادلة: ٢١.

(٢) عبد الله بن المغفل بن عبد غنم المزني، شهد بيعة الشجرة، سكن البصرة ومات بها سنة ٥٩هـ وقيل: سنة ٦٠هـ. ينظر: الإصابة ج٢: ٣٧٢.

(٣) الكشف والبيان ج٩: ٥٤.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) سيرة ابن هشام ج٤: ٤٤٣.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ﴾ هي مفعلة، من عرّه يعرّه: إذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلّق بـ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ يعني: أن تطؤوهم غير عالمين بهم، والوطء عبارة عن الإيقاع والإبادة، وقال:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْأَ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الهَرْمِ[1]

والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين مختلطين بهم، وأنتم غير عارفين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كفّ ﴿أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ فحذف جواب (لولا) لدلالة الكلام عليه، ويجوز أن يكون ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ كالتكرير لـ﴿لَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ لرجوعهما إلى معنى واحد، ويكون الجواب ﴿لَعَذَّبْنَا﴾، والمعرّة التي كانت تصيبهم إذا قتلوهم هي وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين: إنّهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا.

وقوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ تعليل لما دلّت عليه الآية، كأنّه قال: كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في توفيقه للخير والطاعة مؤمنيهم، أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تفرّقوا وتميّز بعضهم من بعض، من: زاله يزيله.

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة بأيديكم وبالسيف، ولكن الله يدفع عن الكفار بالمؤمنين وحرمة اختلاطهم بهم.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

---

(١) البيت للحارث بن وعلة الذهلي. شرح ديوان الحماسة ج١: ١١٠.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ
عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ
فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

﴿إِذْ﴾ يتعلّق بما قبله، أي: لعذّبناهم إذ صدوكم عن المسجد الحرام حين جعلوا ﴿فِى قُلُوبِهِمُ﴾ الأنفة التي تحمي الإنسان.

و﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ قولهم: قد قتل محمّد وأصحابه أبناءنا وإخواننا، ويدخلون علينا في منازلنا، لا يتحدث العرب بذلك، وقيل: هي أنفتهم من الإقرار لمحمّد بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حين قالوا: ما نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله[1].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فتوقروا وحلموا وصبروا على الدخول تحت ما أرادوه.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي قوله: لا إله إلا الله وقيل: هي بسم

---

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ٦٦. تفسير القمي ج٢: ٣١٣.

الله الرحمن الرحيم ومحمّد رسول الله قد اختارها الله لنبيّه وللمؤمنين[١]. ومعنى إضافتها إلى التقوى أنّها سبب التقوى وأساسها.

﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ﴾ بالسكينة ﴿وَأَهۡلَهَا﴾، أو أحقّ بتلك الكلمة من المشركين، أو أحقّ بمكة ودخولها.

﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا﴾ أي: صدقه في رؤياه تعالى وتقدّس عن الكذب وعن كل قبيح، فحذف الجار وأوصل الفعل.

وقوله: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ تعلّق بـ﴿صَدَقَ﴾ أي: صدقه فيما رأى وفي حصوله صدقاً ملتبساً بالحقّ، أي: بالحكمة والغرض الصحيح، وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المخلص والمنافق، ويجوز أن يتعلّق بـ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ أي: صدقه الرؤيا ملتبسة بالحقّ.

﴿لَتَدۡخُلُنَّ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ جواب قسم محذوف، رأى رسول الله ﷺ في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية: أنّ المسلمين يدخلون المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما انصرفوا من الحديبية ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: ما حلقنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام، فنزلت[٢].

أخبرهم بأنّ منامه حقّ وصدق، وأكّد الدخول بالقسم. وفي دخول ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وجوه: أن يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله ولم يمت منكم أحد، ويريد: تعليم عباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله، أو هو متعلّق بـ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ أي: يحلق بعضكم ويقصّر بعض وهو أن يؤخذ بعض الشعر.

---

(١) عن الزهري. تفسير الماوردي ج٥: ٣٢١.

(٢) تفسير الطبري ٢٦: ٦٨.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة والصلاح في الصلح المبارك لموقعه وتأخير فتح مكة.

[﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من دون فتح مكة][(١)] ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسّر الفتح الموعود.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: بالقرآن وبالدليل الواضح ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وهو الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ليعليه ﴿عَلَى﴾ جنس ﴿الدِّينِ كُلِّهِ﴾ يريد: كل الأديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب. وهذا توكيد لما وعده سبحانه من الفتح، وتوطين لنفوس المؤمنين على أنّ الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ما يستقلون إليه فتح مكة، وقيل: إنّ تمام ذلك عند خروج المهدي عجل الله فرجه فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام[(٢)].

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنّ ما وعده كائن لا محالة.

﴿مُحَمَّدٌ﴾ إما خبر مبتدأ أي: هو محمّد؛ لتقدّم قوله: (﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾)، وإما مبتدأ و ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع شديد ورحيم. وعن الحسن: (بلغ من تشدّدهم على الكفار أنّهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم [أن تلزق بثيابهم][(٣)] ومن أبدانهم أن تمسّ أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه)[(٤)]، ومثله قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) إكمال الدين: ٦٢٨.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) الكشاف ج٤: ٣٤٦.

﴿الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١).

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إخبار عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ أي: يلتمسون بذلك زيادة نعمة من الله ويطلبون مرضاته.

﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾ يريد: السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، يفسّرها قوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: من التأثير الذي يؤثره السجود، وكان يقال لعليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ذو الثفنات، لأنّه كان قد ظهر في مواضع سجوده أشباه ثفنات البعير. وعن سعيد بن جبير: هي ندى الطهور وتراب الأرض(٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: وصفهم العجيب الشأن ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وتم الكلام.

ثمّ ابتدأ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ وقيل: معناه: ذلك مثلهم في الكتابين جميعاً(٣)، ثمّ ابتدأ فقال: ﴿كَزَرْعٍ﴾ أي: هم كزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أي: فراخه، يقال: أشطأ الزرع إذا فرّخ. وقرئ: شطأه بفتح الطاء.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [من المؤازرة](٤) وهي المعاونة. وعن الأخفش: (أنّه أفعل)(٥)، أي: شدّه وأعانه وقوّاه، وقرئ: فأزره أي: شد أزره ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظة.

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) تفسير الماوردي ج٥: ٣٢٣.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٦: ٧٢.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) معاني القرآن للأخفش ج٢: ٥٢١.

﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق أي: فاستقام على قصبه، وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي وعلا أمره.

﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: يروع ذلك الزرع الأكرة الذين زرعوه.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ هذا تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وترقيهم في القوة والاستكمال وتظاهرهم، ويجوز أن يكون تعليلاً لقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، لأنّ الكفار إذا سمعوا ما أعدّ الله تعالى لهم في الآخرة من الأجر مع ما ينيلهم في الدنيا من العزّ غاظهم ذلك. أي: وعد الله من أقام منهم على الإيمان والعمل الصالح ﴿مَّغۡفِرَةً﴾ لذنوبهم وثواباً ﴿عَظِيمًا﴾ ونعيماً مقيماً.

سورة الحجرات

مدنية وهي ثمان عشرة آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الحجرات) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله ومن عصاه))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل يوم أو في كل ليلة كان من زوّار محمّد صلى الله عليه وآله وسلم))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ
عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٥

﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ يجوز أن يكون من: قدّم بمعنى تقدّم، مثل: وجّه وبيّن بمعنى: توجّه وتبيّن، ويعضده قراءة من قرأ: لا تقدّموا، أي: لا تتقدّموا فحذف أحد التاءين، ويجوز أن يكون متعدّياً، يقال: قدّمه وأقدمه، وحذف المفعول ليتناول كل ما تقدّم. والمعنى: لا تقطعوا أمراً دون أن يأذن الله ورسوله فيه، وعن ابن عباس: (لا تتكلّموا قبل أن يتكلّم رسول الله وإذا سئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب أوّلاً)[1]. وعن الحسن: (نزل في قوم ذبحوا الأضحية قبل صلاة العيد فأمرهم النبيّ ﷺ بالإعادة)[2].

وعلى الجملة فالمراد: كونوا تبعاً لرسول الله ﷺ وأخّروا أقوالكم وأفعالكم عن قوله وفعله، ولا تعملوا شيئاً من ذات أنفسكم حتى تستأمروه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنّكم إن اتقيتموه لم تسبقوا رسوله بقول ولا فعل حتى يأمركم به.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم.

ثمّ أعاد سبحانه النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ يعني: إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: لا تجهروا له جهراً مثل جهر بعضكم لبعض. وهذا يدلّ على أنّهم نهوا عن جهر موصوف بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو أن يكون خالياً من مراعاة حشمة النبوّة وجلالة مقدارها. وقيل: معناه: ولا تقولوا: يا محمّد يا أحمد، كما يخاطب بعضكم بعضاً، بل

---

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ٧٤.

(٢) تفسير الطبري ج٢٦: ٧٤

خاطبوه بالتعظيم وقولوا: يا رسول الله[١]. وعن ابن عباس: (إنّها نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس[٢] وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا تكلّم رفع صوته وربّما تأذى رسول الله ﷺ بصوته)[٣]، وعن أنس: (لما نزلت الآية فُقِد ثابت، فتفقده رسول الله ﷺ فأخبر بشأنه، فدعاه فسأله، فقال: يا رسول الله، لقد أنزلت هذه الآية وإنّي رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال رسول الله ﷺ: لست هناك، إنّك تعيش بخير وتموت بخير وإنّك من أهل الجنّة)[٤].

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ مفعول له، ومعناه: انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم، أي: لخشية حبوطها، فحذف المضاف ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ أنّ أعمالكم حبطت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ أي: يخفضونها ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إجلالاً له. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ أي: اختبرها فأخلصها ﴿لِلتَّقۡوَىٰ﴾ من قولهم: امتحن فلان لأمر كذا وجرّب فهو مضطلع به غير مقصّر فيه، أو وضع الامتحان موضع المعرفة، لأنّ الشيء إنّما يتحقّق بالاختبار، فكأنّه قال: عرف الله قلوبهم للتقوى، ويكون اللام متعلّقة بمحذوف كما في قولك: أنت لهذا الأمر، أي: كائن له ومختص به، قال:

أَعَـدَّاءُ مَـنْ لِلْيَعْمُـلَاتِ عَـلَى الوَجَـى[٥]

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٦: ٧٥.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الخزرجي، كان خطيب الانصار، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، قتل يوم اليمامة. ينظر: الاستيعاب ج١: ١٩٢.

(٣) الكشاف ج٤: ٣٥٢.

(٤) صحيح البخاري ج٣: ١٩١.

(٥) البيت لعتي بن مالك العدوي. ديوان الحماسة: ٢٤٧، وبقيته: وأضياف ليل بيتوا لنزول.

وهي مع معمولها في موضع الحال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ من خلفها أو قدّامها، و(من) لابتداء الغاية، وإنّ النداء إنشاء من ذلك المكان، والحجرة: البقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة. والمراد حجرات نساء رسول الله ﷺ. وروي: أنّ وفد بني تميم أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد فنادوه: يا محمّد، اخرج إلينا، فاستيقظ فخرج، ونزلت[1].

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ سجل عليهم بالسفه والجهل لما أقدموا عليه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ في محلّ رفع على الفاعلية، لأنّ المعنى: ولو ثبت صبرهم، والصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها، وقولهم: صبروا عن كذا حذف منه المفعول وهو النفس، وهو حبس فيه شدّة على المحبوس، ولذلك قيل للحبس على اليمين أو القتل: صبر.

والفائدة في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أنّه لو خرج ولم يكن خروجه لأجلهم، للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أنّ خروجه إليهم ولأجلهم.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في (كان) إما ضمير مصدر الفعل المضمر بعد (لو)، وإما ضمير مصدر ﴿صَبَرُوا۟﴾ كقولهم: من كذب كان شرّاً له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾

---

(١) أسباب النزول: ٢٧٥.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٞ ۝٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ
فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ
أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠﴾

الفاسق هو الوليد بن عقبة[١]؛ أخو عثمان لأمه، وهو الذي ولاه عثمان الكوفة، فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثمّ قال: أزيدكم [فإنّي نشيط؟!][٢]. بعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً[٣] إلى بني المصطلق، وكانت بينه وبينهم إحنة[٤] فاستقبلوه فظن أنّهم همّوا بقتله فرجع وقال: إنّهم قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة، فغضب النبيّ ﷺ وهمّ أن يغزوهم فنزلت[٥].

وفي تنكير الفاسق والنبأ معنى الشياع، والمراد: أي فاسق جاءكم بأي نبأ كان ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ صدقه من كذبه، وتطلّبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق. وقرئ: فتثبّتوا وروي ذلك عن الباقر عليه السلام. والتثبّت والتبيّن متقاربان وهما التوقف وطلب الثبات والبيان.

---

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، أسلم يوم الفتح ونشأ في كنف عثمان الذي ولّاه الكوفة، وقصة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة، وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضاً، أقام بالرقة ومات بها زمن معاوية. ينظر: الإصابة ج٣: ٦٣٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) المصدِّق: الذي يأخذ صدقات الغنم. (الصحاح: مادة صدق).

(٤) الإحنة: الحقد. (الصحاح: مادة إحن).

(٥) أسباب النزول: ٢٧٧.

﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ مفعول له أي: كراهة إصابتكم.

﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ حال بمعنى: جاهلين بحقيقة الأمر، كقوله: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾[١].

﴿فَتُصۡبِحُواْ﴾ أي: فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ﴾ من إصابتهم بالخطأ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ والندم ضرب من الغمّ، وهو أن تغتمّ على ما وقع منك تتمنّى أنّه لم يقع.

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ هذه الجملة المصدّرة بـ(لو) حال من أحد الضميرين في ﴿فِيكُمۡ﴾ المرفوع المستكن أو المجرور الظاهر. والمعنى: إنّ فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها، [أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها][٢]، وهي أنّكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث ما تستصوبونه فعل التابع لغيره المطاوع له، ولو فعل ذلك ﴿لَعَنِتُّمۡ﴾ أي: لوقعتم في الإثم والهلاك. وهذا يدلّ على أنّ بعض المؤمنين زيّنوا لرسول الله ﷺ تصديق قول الوليد والإيقاع ببني المصطلق، وأنّ نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم، وأنّ بعضهم يزعهم[٣] التقوى عن الجسارة على ذلك، وهم الذين استثناهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ أي: إلى بعضكم، وهم ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾. والمعنى في تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإمداد بالتوفيق، وكل عاقل يعلم أنّ الرجل لا يكون ممدوحاً بفعل غيره، وإذا حملت الآية على ظاهرها أدى ذلك إلى أنّ الله جل وعزّ أثنى عليهم بفعل نفسه.

و﴿ٱلۡكُفۡرَ﴾: تغطية نعم الله تعالى وعظمها بالجحود.

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) يزعهم: يكفّهم. (الصحاح: مادة وزع).

﴿وَٱلۡفُسُوقَ﴾ الخروج عن قصد الإيمان ومحجّته بركوب المعاصي، وقيل: هو الكذب[١] وهو المروي عن الباقرعليه السلام[٢].

﴿وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ المعصية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ المهتدون إلى محاسن الأمور، المستقيمون على الحقّ.

﴿فَضۡلٗا﴾ مفعول له، أو مصدر من غير فعله، والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام.

وعن ابن عباس قال: (وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مجلس بعض الأنصار وهو على حمار، فراث الحمار فأمسك عبد الله بن أُبيّ أنفه وقال: خلّ سبيل حمارك فقد آذانا نتنه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، [ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم][٣] وطال الخوض بينهما حتى استبّا وجاء قومهما وهم الأوس والخزرج فتجالدوا بالعصي فرجع إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأصلح بينهم، فنزلت، وقرأها عليهم فاصطلحوا)[٤].

والبغي: الاستطالة والظلم، والفيء: الرجوع، وقد يسمّى به الظل والغنيمة؛ لأنّ الظل يرجع، والغنيمة ما يرجع إلى المسلمين من أموال الكفار.

﴿فَإِن فَآءَتۡ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي: رجعت وأنابت إلى طاعة الله ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ بين الطائفتين بالعدل ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي:

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الماوردي ج٥: ٣٢٩.

(٢) تفسير العياشي ج١: ٩٦.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) صحيح البخاري ج٢: ١١١.

العادلين.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما، أي: كفّوا الظالم عن المظلوم وأعينوا المظلوم. وفي الحديث: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه))[١]. وقيل: المراد بالأخوين: الأوس والخزرج[٢]. وقرئ: بين إخوتكم على الجمع.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فإنكم إن فعلتم ذلك وحملكم التقوى على التواصل والائتلاف، فتصل عند ذلك رحمة الله إليكم، وتشتمل رأفته عليكم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا
تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا
وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ
أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

القوم: الرجال خاصة لأنّهم القوام بأمور النساء، وهو في الأصل جمع قائم،

---

(١) صحيح البخاري ج٢: ٦٦، الكافي ج٢: ١٦٧ باختلاف يسير.

(٢) عن سعيد بن جبير. تفسير الماوردي ج٥: ٣٣٠.

كصوم وزور في جمع صائم وزائر، قال زهير:

وَمَـا أَدْرِي وَسَـوْفَ أَخَـالُ أَدْرِي   أَقَـوْمٌ آلُ حِصْـنٍ أَمْ نِسَـاءُ[1]

والمعنى ﴿لَا يَسْخَرْ﴾ بعض الرجال من بعض، ولا بعض النساء من بعض.

وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ كلام مستأنف، وقد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه، والمعنى: إنّ المسخور منه ربّما كان عند الله خيراً من الساخر، فينبغي أن لا يستهزئ أحد بمن يراه رث الحال أو ذا عاهة، فلعله أتقى عند الله وأخلص ضميراً ممن هو على ضد صفته، فيكون قد حقّر من وقّره الله.

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، ومثله: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2] لأنّ المؤمنين كنفس واحدة، أي: خصّوا أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها، ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم. وفي الحديث: ((اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس))[3]. واللمز: الطعن والعيب في المشهد، [والهمز: في الغيب، وقيل: إنّ اللمز ما يكون باللسان وبالعين والإشارة][4]، والهمز لا يكون إلا باللسان.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: لا تداعوا بها، وهو تفاعل من النبز، وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون بمعنى، والتلقيب المنهي عنه هو ما يدخل على المدعو به كراهة لكونه ذماً له وشيناً، فأما ما يحبّه وما يزيّنه وينوّه به فلا بأس به. وفي الحديث: ((من

---

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٣٦.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ج١٠: ٢١٠ بالمعنى.

(٤) ساقطة من ج.

حقّ المؤمن على أخيه أن يسمّيه بأحبّ أسمائه إليه))[١]. وعن ابن عباس: (إنّ أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة - وهي ثوب أبيض - وسدلت طرفها خلفها فكانت تجرّه، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجرّ خلفها كأنّه لسان كلب، فهذه كانت سخريتهما)[٢]. وقيل: إنّها عيّرتها بالقصر وأشارت بيدها أنّها قصيرة[٣]. وقيل: إنّ صفية بنت حيي أتت رسول الله ﷺ تبكي وقالت: إنّ عائشة تعيّرني وتقول: يايهودية بنت يهوديين، فقال لها رسول الله ﷺ: ((هلا قلت إنّ أبي هارون، وإنّ عمي موسى، وإنّ زوجي محمّدفنزلت[٤].

﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ﴾ الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، أي: صيته وذكره، وحقيقته: ما سما من ذكره وارتفع بين الناس، كأنّه قال: بئس الاسم المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسوق.

وفي قوله: ﴿بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الإيمان والفسق، كما يقال: بئس الشأن بعد الكبر الصبوة.

والثاني: أن يكون المعنى: بئس الذكر أن يذكر الرجل بالفسق بعد إيمانه، وذلك أنّهم كانوا يقولون لمن أسلم من اليهود: يا يهودي يا فاسق، فنهوا عنه، وتكون الجملة على هذا التفسير متعلّقة بالنهي عن التنابز.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣: ٤٢٩.

(٢) أسباب النزول: ٢٧٩.

(٣) أسباب النزول: ٢٧٩.

(٤) أسباب النزول: ٢٧٩.

والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحوّل عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة.

﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ وهو أن يظن بأهل الخير سوءاً، يقال: جنّبه الشرّ إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فتعدّى إلى مفعولين، ومطاوعه اجتنب الشرّ، فتعدّى إلى مفعول واحد.

﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ﴾ أي: ذنب يستحقّ به العقاب.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ والتجسس ـ بالجيم والحاء ـ واحد، والجيم تفعّل من الجس، كما أنّ التلمّس بمعنى التطلّب من اللمس، والحاء بمعنى التعرّف من الحس، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواس، بالحاء والجيم. والمراد: النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعائبهم.

﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ يقال: غابه واغتابه كغاله واغتاله، والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال، وهي ذكر السوء في الغيبة. وسئل النبيّ ﷺ عن الغيبة فقال: ((أنّ تذكر أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته))[1].

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ﴾ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه. وعن قتادة: (كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي)[2].

و﴿مَيۡتًا﴾ نصب على الحال من ﴿لَحۡمَ أَخِيهِ﴾ أو من الأخ. ولما قررهم سبحانه بأنّ أحداً منهم لا يحبّ أكل جيفة أخيه عقّب ذلك بقوله: ﴿فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾

---

(١) سنن الترمذي ج٣: ٢٢٠، ينظر: معاني الأخبار: ١٧٨.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٨٤.

أي: فتحقّقت بوجوب الإقرار عليكم كراهتكم له ونفور طباعكم منه، فاكرهوا ما هو نظيره من الغيبة. وروي: أنّ أبا بكر وعمر بعثا سلمان إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام، فبعثه إلى أسامة بن زيد ـ وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله ـ فقال: ما عندي شيء، فعاد إليهما فقالا: بخل أسامة، ولو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثمّ انطلقا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما!، قالا: يا رسول الله، ما تناولنا اليوم لحماً، قال: ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة، فنزلت[١].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه، والندم على ما وجد منكم منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل توبتكم.

﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كل واحد منكم من أب وأم، فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب[٢].

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شَعْب وهو الطبقة الأولى من طبقات النسب مثل مضر وربيعة.

﴿وَقَبَائِلَ﴾ وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ثمّ العمارة دون القبيلة، ثمّ البطن، ثمّ الفخذ، ثمّ الفصيلة.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: لتتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه، لا لأن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدّعوا التفاوت والتفاضل.

ثمّ بين سبحانه الخصلة التي يكتسب الإنسان بها الكرم والشرف عند الله

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٨٢.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٦: ٨٨.

تعالى ويفضل غيره فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أي: أرفعكم منزلة عند الله وأكثركم ثواباً، أتقاكم لمعاصيه وأعملكم بطاعته.

الإيمان: هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، والإسلام: الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾.

وضع قوله ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ موضع كذبتم بدلالة قوله في صفة المخلصين: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريضاً بأنّ هؤلاء هم الكاذبون.

﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ ولم يقل: ولكن أسلمتم ليكون خارجاً مخرج الزعم والدعوى، كما كان قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ كذلك.

﴿لَا يَلِتْكُم﴾ أي: لا ينقصكم ولا يظلمكم ﴿مِّنْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ يقال: ألته حقّه يألته ألتاً، ولاته يليته بمعناه، وقرئ ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ ولا يألتكم على اللغتين. وعن ابن عباس: (إنّ نفراً من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة، وأغلوا أسعار المدينة، وهم يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، يريدون الصدقة ويمنّون عليه، فنزلت)[1].

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾
قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا

(١) أسباب النزول: ٢٨١.

تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ ثمّ لم يشكّوا بعد ثلج صدورهم بالإيمان بأن يعترضهم الشيطان أو بعض المضلين فيشككهم ويقذف في قلوبهم ما يثلم اليقين.

﴿وَجَـٰهَدُوا۟﴾ العدو المحارب أو الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ﴾ الذين صدقوا في قولهم: آمنا، ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد، وهم الذين إيمانهم إيمان صدق وحقّ.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: أتخبرون الله بدينكم، والمعنى: إنّه عالم بذلك، ومحيط بضمائركم، ولا يحتاج إلى إخباركم به، لأنّه ﴿يَعْلَمُ﴾ جميع المعلومات لذاته، فلا يحتاج إلى علم يعلم به ولا إلى من يعلمه. يقال: منّ عليه بيد أسداها إليه إذا اعتدّها عليه إنعاماً، أي: لا تعتدّوا عليّ بما ليس جديراً بالاعتداد به من حديثكم الذي حقّ تسميته أن يقال له: إسلام لا إيمان ﴿بَلِ ٱللَّهُ﴾ يعتدّ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن أمدّكم بتوفيقه حين ﴿هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ على ما زعمتم وادعيتم: أنّكم أرشدتم إليه ووفقتم له، إن صحّ زعمكم وصدقت دعواكم، إلا أنّكم تزعمون ما الله عالم بخلافه.

وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على متأمله، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، تقديره: إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان فلله المنة عليكم. وقرئ: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء، وفيه إشارة إلى كونهم غير صادقين في دعواهم، أي: لا يخفى عليه شيء من أسراركم فكيف لا يظهر على صدقكم وكذبكم؟!.

سورة ق

مكية إلا آية، وهي خمس وأربعون آية.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة ق) هون الله عليه سكرات الموت))[1]،

وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ في فرائضه ونوافله (سورة ق) وسّع الله عليه في رزقه، وأعطاه الله كتابه بيمينه وحاسبه حساباً يسيراً))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ
﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا
لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ
﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ

(١) الكشف والبيان ج٩: ٩٢.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٥.

﴿ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ
وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾

الكلام في ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ كالكلام في ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[١] لأنّهما في أسلوب واحد، و﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، الكريم على الله.

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ أي: تعجّبوا مما ليس بعجب وهو ﴿أَن جَآءَهُم﴾ رجل ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ قد عرفوا أمانته وعدالته ينذرهم بالمخوف من البعث والجزاء.

﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير ليدلّ على أنّهم في قولهم: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ مقدمون على كفر عظيم.

و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الرجع، و(إذا) منصوب بمضمر، والمعنى: أحين نموت ونصير تراباً نبعث ونرجع؟!.

﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ مستبعد مستنكر، كما تقول: هذا قول بعيد، أي: بعيد من الوهم والعادة.

﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾ ردّ لاستبعادهم الرجع، أي: علمنا ما تأكل ﴿ٱلۡأَرۡضُ﴾ من لحومهم وتبليه من عظامهم، فلا يتعذر علينا رجعهم أحياء، وعن السدي: (﴿مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾: ما يموت ويدفن في الأرض منهم)[٢].

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ أي: محفوظ عن البلى والدروس، وهو كتاب الحفظة، أو كتاب حافظ لما أودع وكتب فيه.

---

(١) ص: ١.

(٢) معالم التنزيل ج٤: ٩٣.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ إضراب أتبع الإضراب الأوّل للدلالة على أنّهم جاءوا بما هو أفظع من تعجّبهم، وهو التكذيب ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الذي هو النبوّة المؤيدة بالمعجزات.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط مضطرب، يقال: مرج الخاتم في إصبعه وخرج، فمرة يقولون: مجنون، وتارة: ساحر، وتارة: شاعر.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿إِلَى﴾ آثار قدرة الله في بناء ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ مع عظمها وحسن انتظامها ﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بغير علاقة وعماد ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ أي: شقوق وفتوق، كقوله: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[(١)].

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ دحوناها وبسطناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت.

﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ من كل صنف تبتهج به لحسنه.

﴿تَبۡصِرَةٗ﴾ ليبصر به ويذكر كل ﴿عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ راجع إلى ربّه، مفكر في بدائع خلقه.

﴿مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ أي: مطراً وغيثاً يكثر النفع به والبركة.

﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾ أي: بساتين فيها أشجار تشتمل على الفواكه.

﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ أي: وحبّ الزرع الذي من شأنه أن يحصد، وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما.

وأنبتنا به النخل ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ طوالاً في السماء ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [منضود][(٢)]، نضد بعضه على بعض، يريد: كثرة الطلع وتراكمه وكثرة ما فيه من الثمر.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) ساقطة من ب.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ مفعول له، أي: أنبتناها لنرزقهم، أو مصدر ﴿أَنْبَتْنَا﴾ لأنّ الإنبات في معنى الرزق.

و﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ أي: كما أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ لا تنبت شيئاً فنبتت وعاشت كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم. والكاف في موضع الرفع على الابتداء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

كل من هؤلاء المذكورين كذّب ﴿ٱلرُّسُلَ﴾ الذين بعثوا إليهم.

﴿فَحَقَّ﴾ أي: وجب وحلّ ﴿وَعِيدِ﴾ وهو كلمة العذاب، وفيه تسلية لنبيّنا ﷺ ووعيد للكفار.

﴿أَفَعَيِينَا﴾ الهمزة للإنكار، يقال: عيي بالأمر: إذا لم يهتد له، والمعنى: إنّا لم نعجز عن الخلق ﴿ٱلْأَوَّلِ﴾ كما علموا حتى نعجز عن الثاني.

﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعني: إنّهم لم ينكروا قدرتنا على الخلق الأوّل، بل هم في خلط وشبهة من البعث بعد الموت، قد لبس عليهم الشيطان وحيّرهم بأن سوّل إليهم أنّ إحياء الأموات أمر خارج عن العادة.

والوسوسة: الصوت الخفي، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان

ويهجس في ضميره من حديث النفس، والباء مثلها في قولك: صوت بكذا، ويجوز أن يكون للتعدية، والضمير لـ(الإنسان) أي: ما يجعله موسوساً، و﴿مَا﴾ مصدرية؛ لأنّهم يقولون: حدّث نفسه بكذا، كما يقولون: حدّثته به نفسه، قال لبيد:

وَاكْـذِبِ النَّفْـسَ إِذَا حَدَّثْتَهَـا إِنَّ صِـدْقَ النَّفْـسِ يُـزْرِي بِالأَمَـلْ[١]

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ يريد: قرب عمله منه وتعلّقه بأحواله حتى لا يخفى عليه شيء منها، فكأنّ ذاته قريبة منه.

و﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ مثل في فرط القرب، كما قالوا: هو مني معقد الأزار، والحبل: العرق، والوريدان: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها يتصلان بالوتين يردان من الرأس إليه.

﴿إِذْ﴾ منصوب بـ﴿أَقْرَبُ﴾ والمعنى: إنّه سبحانه يعلم خطرات النفس وهو أقرب إلى الإنسان من كل قريب حين ﴿يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: الملكان الحافظان يأخذان ما يتلفظ به، وهذا إيذان باستغنائه عزّ اسمه عن استحفاظ الملكين، إذ هو مطلع على أخفى الخفيات، وإنّما ذلك لحكمة تقتضيه، وهي ما في ذلك من زيادة اللطف في انتهاء العباد عن القبائح والرغبة في العبادات. والتلقي: التلقن، والقعيد: القاعد كالجليس [بمعنى المجالس][٢]، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فترك أحدهما لدلالة الثاني عليه، كقول الشاعر:

رَمَـانِي بِأَمْـرٍ كُنْـتُ مِنْـهُ وَوَالِـدِي بَرِيّـاً وَمِـنْ جُـولِ الطَّـوِيِّ رَمَـانِي[٣]

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٤١.

(٢) ساقطة من ب، د.

(٣) شعر عمرو بن أحمر الباهلي: ١٨٧، وفيه: ومن أجل...

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾ ملك يرقب عمله ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر معه. وعن النبيّ ﷺ: ((كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يساره، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبّح أو يستغفر))[١].

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدّته الذاهبة بالعقل، والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للتعدية، أي: وأحضرت شدّة الموت حقيقة الأمر من السعادة أو الشقاوة، وقيل: بالحقّ الذي خلق له الإنسان[٢]، ويجوز أن يكون الباء مثلها في قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٣] أي: جاءت ملتبسة بالحقّ أي: بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغرض الصحيح، وقرئ: سكرة الحقّ بالموت، وروي ذلك عن أئمتنا عليهم السلام، أضيفت السكرة إلى الحقّ دلالة على أنها السكرة المكتوبة على الإنسان، وأنّها حكمة. والباء للتعدية، لأنّها سبب زهوق الروح لشدتها، أو لأنّ الموت يعقبها، فكأنّها جاءت [به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت][٤] ومعها الموت، وقيل: سكرة الحقّ: سكرة الله أضيفت إليه تعظيماً وتفظيعاً لشأنها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الموت، والخطاب للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ على طريقة الالتفات، أو إلى الحقّ، والخطاب للفاجر.

﴿تَحِيدُ﴾ أي: تهرب وتنفر.

---

(١) شعب الإيمان ج٥: ٣٩٠، أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٢١٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٤٥.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) ساقطة من ج.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى مصدر ﴿نُفِخَ﴾ أي: وقت ذلك يوم الوعيد [فحذف المضاف](١).

وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ
هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ
هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ
لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي
ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ
بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾
مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ
ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ
﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ
بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ
﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾

﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ من الملائكة يحثها على السير إلى الحساب ﴿وَشَهِيدٞ﴾ منهم أيضاً يشهد عليها بما يعلم من حالها. و﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ في موضع الحال من ﴿كُلُّ﴾ لتعرّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة.

أي: يقال له: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم في الدنيا، وجعلت الغفلة كأنّها غطاء لك وغشاوة لعينيك ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ﴾ الغطاء وزالت عنك الغفلة فرجع بصرك الكليل عن الإبصار حديداً لتيقظه.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ وهو الشيطان الذي قيّض له في قوله سبحانه: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ

(١) ساقطة من ب

﴿شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[١] وقيل: هو الملك الشهيد عليه[٢]، وهو المروي عنهم عليهم السلام[٣].

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: إن كان المراد بالقرين الشيطان، فالمعنى: هذا شيء لديّ وفي ملكتي عتيد لجهنم أعتدته وهيأته لها بإغوائي وإضلالي، وإن كان المراد الملك، فالمعنى: هذا شيء حاضر عندي من عمله كتبته عليه إذ وكلتني به، يقوله لله سبحانه. و﴿مَا﴾ موصوفة و﴿عَتِيدٌ﴾ صفة لها، وإن جعلتها موصولة فـ﴿عَتِيدٌ﴾ بدل، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطاب من الله للملكين: السائق والشهيد، ويجوز أن يكون خطاباً للواحد بأن ينزل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل، كأنّه قيل: ألق ألق، أو لأنّ العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: يا صاحبيّ[٤]، وخليليّ[٥]، وقفا[٦]، حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين، كما ورد عن الحجّاج أنّه كان يقول: يا حرسيّ اضربا عنقه[٧]. أو يكون الألف بدلاً من النون الخفيفة للتأكيد إجراء للوصل مجرى الوقف. وعن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعليّ: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا الجنّة من أحبّكما،

---

(١) الزخرف: ٣٦.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٦: ١٠٣.

(٣) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٤٦.

(٤) كما قال دعبل: يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبيّ إذا دمي سفكا. شعر دعبل بن علي الخزاعي:٢٠٤.

(٥) كما قال إمرؤ القيس: خليليّ مرا بي على أم جندب نقضّ لبانات الفؤاد المعذّب. ديوانه: ٤١.

(٦) كما قال إمرؤ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل. ديوانه:٨.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٤٦.

وذلك قوله عزّ اسمه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾)[١]. والعنيد: المعاند، المجانب للحقّ، المعادي لأهله.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه، أو مناع لجنس الخيرات يصل إلى أهله، يحول بينه وبينهم، قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم[٢].

﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم متعد للحقّ.

﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الله وفي دينه، وقيل: متهم بفعل ما يرتاب بفعله مثل المليم.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأ مضمّن معنى الشرط، وخبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريراً للتأكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي: ما جعلته طاغياً، وما أوقعته في الطغيان، ولكنّه طغى واختار الضلال على الهدى، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[٣].

﴿قَالَ﴾ أي: يقول الله عزّ اسمه لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: لا يخاصم بعضكم بعضاً عندي في دار الجزاء فلا فائدة في اختصامكم ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ على ألسنة رسلي، ثمّ قال: لا تطمعوا أن أبدل قولي ووعيدي لكم في تكذيب رسلي ومخالفة أمري بغيره.

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ في عقابهم، ولكنّهم ظلموا أنفسهم بارتكاب القبائح،

---

(١) شواهد التنزيل ج٢: ١٩٠.

(٢) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج٥: ٣٥٢.

(٣) إبراهيم: ٢٢.

والباء في ﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ مزيدة، مثلها في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، أو متعدّية إن كان قدّم بمعنى تقدّم، والجملة التي هي: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم﴾ وقعت موقع الحال من ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ﴾، بمعنى: وقد صحّ عندكم أنّي قدّمت إليكم بالوعيد.

﴿يَوۡمَ نَقُولُ﴾ قرئ بالنون والياء، وانتصب ﴿يَوۡمَ﴾ بـ﴿بِظَلَّٰمٖ﴾ أو بـ﴿نُفِخَ﴾، وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب، وفيه معنيان:

أحدهما: أنّها تمتلئ مع تباعد أطرافها حتى لا يزاد على امتلائها.

والثاني: أنّها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد، والمزيد: مصدر كالمجيد، أو اسم مفعول كالمبيع.

﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف أي: مكاناً غير بعيد، أو على الحال، وإنّما ذكر لأنّه على زنة المصدر، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي: شيئاً غير بعيد، ومعناه التوكيد كما تقول: هو قريب غير بعيد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ جملة اعتراضية، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بتكرير الجار، و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر ﴿أُزۡلِفَتِ﴾. والأوّاب: التوّاب الرجّاع إلى الله وطاعته، والحفيظ: الحافظ لحدوده.

﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ(كل)، ويجوز أن يكون بدلاً من موصوف ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾، ولا يجوز أن يكون في حكم ﴿أَوَّابٍ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾ لأنّ ﴿مَّنۡ﴾ لا يوصف به، ولا يوصف بشيء من الموصولات إلا بـ(الذي)

(١) البقرة: ١٩٥.

وحده. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره يقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ لأنّ ﴿مَّنۡ﴾ في معنى الجمع.

و﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ حال من المفعول أي: خشيه وهو غائب، أو صفة لمصدر خشي، أي: خشيه خشية ملتبسة بالغيب حتى خشي عقابه وهو غائب، أو من الفاعل أي: وهو في الخلوة حيث لا يراه أحد.

﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى الله مقبل عليه، يقال لهم: ادخلوها سالمين من العذاب، أو مسلّماً عليكم بسلام الله وملائكته عليكم.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ﴾ تقدير ﴿ٱلۡخُلُودِ﴾، كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[1] أي: مقدّرين الخلود.

﴿لَهُم مَّا﴾ يريدون وما يشتهون من أنواع النعيم في الجنّة ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم، أو مزيد على قدر استحقاقهم.

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ
هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ
أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾
فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ
وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾
وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ
بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ

---

(١) الزمر: ٧٣.

﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾

﴿فَنَقَّبُواْ﴾ أي: فتحوا المسالك ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾، من النقب وهو الطريق، والمعنى: دوخوا البلاد ونقروا عن أمورها، قال الحارث بن حلّزة:

نَقَّبُوا فِي البِلَادِ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ ... وَجَالُوا فِي الأَرْضِ كَلَّ مَجَالِ[١]

والفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ أي: شدّة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه. ويجوز أن يكون المعنى: فنقب أهل مكة في بلاد تلك القرون فهل رأوا لهم محيصاً من الله أو من الموت حتى يأملوا مثله لنفوسهم؟.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ أي: تذكرة واعتباراً ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ واعٍ، لأنّ من لا يعي قلبه فكأنّه بلا قلب، وعن ابن عباس: (القلب هنا العقل)[٢].

﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ بأن يصغي ويستمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ حاضر بفطنته، لأنّ من لا يحضر ذهنه فهو كالغائب، أو وهو مؤمن شاهد على صحّته وأنّه وحي من الله.

واللغوب: النصب والإعياء، أكذب الله تعالى اليهود بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ حيث قالوا: استراح الله يوم السبت.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ﴾ ما يقوله المشركون من إنكار البعث وتكذيبك، واحتمل

---

(١) نقله المصنف تبعاً لصاحب الكشاف، وفي الإتقان ج١: ٣٦٩ أن البيت لعدي بن زيد، ولا يوجد في ديوانيهما المطبوعين.

(٢) معالم التنزيل ج٤: ٩٥.

ذلك حتى يأتيك الله بالفرج.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ التسبيح: محمول على ظاهره وعلى الصلاة، فالصلاة ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ العشاءين، وقيل: صلاة الليل[1] ويدخل فيها المغرب والعشاء.

﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ التسبيح في أعقاب الصلوات، والسجود والركوع قد يعبّر بهما عن الصلاة، وقيل: النوافل بعد المغرب ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[2] الركعتان قبل صلاة الفجر[3]. وروي: ((إنّ من صلّاها بعد المغرب قبل أن يتكلّم كتبت صلاته في عليين))[4].

والأدبار: جمع دبر، وقرئ بكسر الهمزة، من أدبرت الصلاة: إذا انقضت وتمت، والمعنى: وقت انقضاء السجود، كما يقال: آتيك خفوق النجم.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ لما أخبرك به من حال يوم القيامة، وفيه تهويل وتعظيم لشأن المخبر به، وانتصب ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ [بما دلّ عليه ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من قبورهم، و﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾][5] ﴿الْمُنَادِ﴾، والمنادي: إسرافيل، ينفخ في الصور وينادي: أيتها العظام البالية [والأوصال المتقطعة][6] واللحوم المتمزقة [والشعور

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٦: ١١٢.

(٢) الطور: ٤٩.

(٣) عن علي عليه السلام وغيره. تفسير الطبري ج٢٦: ١١٢، ج٢٧: ٢٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج٢: ١٠٣.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ساقطة من ج، د.

المتفرقة][1]، إنّ الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[2].

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء.

و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ هي النفخة الثانية.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يتعلّق بـ﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ والمراد به البعث والحشر للجزاء.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى أرض الموقف.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ﴾ الخلق ونميتهم بعد الحياة ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ يوم القيامة.

وقرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بإدغام التاء في الشين وبحذف التاء، أي: تتصدع ﴿ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ فيخرجون عنها ﴿سِرَاعًا﴾ بلا تأخير، وهو حال من الضمير المجرور في ﴿عَنْهُمْ﴾.

والحشر: الجمع بالسوق من كل جهة. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديم الظرف يدلّ على الاختصاص، يعني: لا يتيسّر مثل ذلك الأمر العظيم إلا على القادر بالذات الذي لا يشغله شأن عن شأن.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديد لهم وتسلية لنبيّنا عليه السلام.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: متسلط تجبرهم على الإيمان إنّما أنت داع ومنذر، كقوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3] يقال: جبره وأجبره على الأمر، وعلى بمنزلته في قولك: هو عليهم: إذا كان واليهم ومالك أمرهم.

---

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) الدر المنثور ج٦: ١١٠.

(٣) الغاشية: ٢٢.

﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[1] خصّ التذكير بهم لأنّه لا ينفع إلا فيهم.

(١) النازعات: ٥٤.

سورة الذاريات

مكية وهي ستون آية.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الذاريات) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبّت وجرت في الدنيا))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((ومن قرأها في يوم أو ليلة أصلح الله له معيشته، وآتاه برزق واسع، ونوّر له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ
﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ
أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا
الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

﴿**الذَّارِيَاتِ**﴾ الرياح، لأنّها تذرو التراب وغيره، كما قال: ﴿**تَذْرُوهُ**

(١) الكشف والبيان ج٩: ١٠٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٥.

﴿الرِّيَاحُ﴾[١]. وقرئ بإدغام التاء في الذال.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ هي السحاب تحمل المطر.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾ هي السفن ﴿يُسۡرٗا﴾ أي: جرياً ذا يسر وسهولة.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ هي الملائكة تقسّم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرهما، أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك، وهذا التفسير مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام[٢] وعن ابن عباس[٣]، وعن مجاهد: (تتولى الملائكة تقسيم أمر العباد: جبرئيل للغلظة، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ، وقد حملت على الكواكب السبعة)[٤].

أقسم سبحانه بهذه الأشياء لما تضمّنته من الدلالة على وحدانيته وبديع حكمته وكمال قدرته. وعنهم عليهم السلام: ((لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله، وله عزّ اسمه أن يقسم بما يشاء من خلقه))[٥].

وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، و(ما) موصولة أو مصدرية، والموعود: البعث.

﴿لَصَادِقٞ﴾ أي: ذو صدق كـ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[٦].

و﴿ٱلدِّينَ﴾ الجزاء ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ أي: حاصل كائن.

---

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) تفسير القمي ج٢: ٣٢٧، تفسير الطبري ج٢٦: ١١٦.

(٣) تفسير الطبري ج٢٦: ١١٦.

(٤) الكشاف ج٤: ٣٩٤.

(٥) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٣٠ من أبواب الأيمان.

(٦) الحاقة: ٢١.

و﴿ٱلْحُبُكِ﴾ الطرائق مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح، وكذلك: حبك الشعر: آثاره تثنيه وتكسّره، والدرع محبوكة لأنّ حلقها مطرق طرائق، وعن الحسن: (حبكها: نجومها)[١]، وعن عليّ عليه السلام: ((حسنها وزينتها))[٢]. ويجوز أن تكون النجوم تزيّنها كما تزيّن الموشى طرائق الوشي، وهي جمع حباك، كمثال ومثل، وحبيكة كطريقة.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هو قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم: شاعر وساحر ومجنون، وفي القرآن: إنّه سحر وكهانة وأساطير الأوّلين، وعن قتادة: (منكم مصدق ومكذب، ومقر ومنكر)[٣].

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ الضمير للرسول أو للقرآن، أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشدّ منه وأعظم، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يهلك على الله إلا هالك))[٤]. وقيل: يصرف عنه من هو مصروف عن الخير في سابق علم الله[٥]. ويجوز أن يكون الضمير لـ(ما توعدون) ومعناه: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاء عليهم، وأصله: الدعاء بالقتل والهلاك، ثمّ أجري مجرى لعن وقبح، أي: لعن الكذابون المقدرون ما لا يصحّ، وهم أصحاب القول المختلف. واللام إشارة إليهم، كأنّه قيل: قتل هؤلاء الخراصون.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٦: ١١٨.

(٢) تفسير الماوردي ج٥: ٣٦٢.

(٣) تفسير الطبري ج٢٦: ١١٨.

(٤) الكافي ج٢: ٣٩٥، صحيح مسلم ج١: ٨٣.

(٥) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٥: ٣٦٣.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾ أي: جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به.

﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ فيقولون: ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: متى يوم الجزاء؟ ومعناه: أيّان وقوع يوم الدين؟.

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ أي: يحرقون ويعذّبون، ومنه: الفتين، وهي الحرة لأنّ حجارتها كأنّها محرقة. و﴿يَوۡمَ﴾ يجوز أن يكون مفتوحاً لإضافته إلى غير متمكّن، فيكون محلّه رفعاً على هو يوم هم... يفتنون، أو نصباً بفعل مضمر دلّ عليه السؤال، أي: يقع في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون منصوباً في الأصل بالمضمر الذي هو يقع.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ في محلّ الحال، أي: مقولاً لهم هذا القول.

﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿ٱلَّذِي﴾ خبره، أي: هذا العذاب هو الذي ﴿كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾.

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ
قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ
هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ
ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿ءَاخِذِينَ﴾ أي: قابلين ما أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡ﴾ من النعيم والكرامة، راضين به.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ في دار التكليف ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ قد أحسنوا أعمالهم. وتفسير إحسانهم ما بعده.

و﴿مَا﴾ مزيدة أي: كانوا يهجعون في زمان قليل من الليل إن جعلت ﴿قَلِيلًا﴾ ظرفاً، ويجوز أن يكون صفة للمصدر أي: هجوعاً قليلاً. ويجوز أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية أو موصولة على كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه، فيكون فاعل ﴿قَلِيلًا﴾ وفيه ضروب من المبالغة بلفظ الهجوع وهو الفرار من النوم، قال:

قَدْ حَصَّتْ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْماً غَيْرَ تَهْجَاعِ[1]

وقوله: ﴿قَلِيلًا﴾ و﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وزيادة ﴿مَا﴾ المؤكدة لذلك، أي: يحيون الليل متهجّدين فإذا سحروا أخذوا في الاستغفار، كأنّهم أسلفوا في ليلهم الجرائم، وقوله: ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ فيه: أنّهم هم المختصون بالاستغفار لاستدامتهم له.

السائل: هو المستجدي، والمحروم: الذي يحسب غنياً فيحرمه الناس لتعففه. وعن النبيّ ﷺ: ((ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان، قالوا: فمن هو؟ قال: الذي لا يجد ولا يتصدّق عليه))[2]. وقيل: هو المحارف الذي لا ينمى له مال[3].

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ دلالات دالة على الصانع وكمال قدرته وبدائع حكمته بما فيها من السهل والجبل والبر والبحر، وأنواع النبات والأشجار بالثمار المختلف ألوانها وطعومها وروائحها، الموافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم، وما أنبت في أقطارها من أنواع الحيوان المختلفة الصور والأشكال، وغير ذلك.

﴿لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ الموحّدين الناظرين المتأمّلين ببصائرهم.

---

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت. جمهرة أشعار العرب: ٢٣٤.

(٢) سنن النسائي ج٥: ٨٥.

(٣) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج٢٦: ١٢٤.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ في مبتدئ أحوالها وتنقّلها من حال إلى حال، وما ركّب في ظواهرها وبواطنها من عجائب الفطن وبدائع الحكم ما تحار فيه العقول، وحسبك بالقلوب وما ذكر فيها من لطائف المعاني، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وبالصور والطبائع والألوان واختلافها في كل إنسان، وبالأسماع والأبصار وسائر الجوارح، وما ركّب فيها من فنون الحكمة:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّـهُ وَاحِـدُ[1]

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ وهو المطر لأنّه سبب الأقوات ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الجنّة، أو أراد ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى، كله مقدر مكتوب في السماء.

﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ وقرئ ﴿مِّثۡلَ﴾ بالرفع صفة لـ﴿لَحَقٌّ﴾ أي: حقّ مثل نطقكم، وبالنصب على أنّه: لحقّ حقّاً مثل نطقكم، ويجوز أن يكون فتحاً لإضافته إلى غير متمكّن. و(ما) مزيدة بنص الخليل[2] وهذا مثل قولهم: إنّ هذا لحقّ كما أنّك ترى وتسمع، ومثل ما أنّك ها هنا، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ لما ذكر من الآيات والرزق، أو للنبيّ ﷺ، أو لـ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ والمعنى: إنّه في صدقه وتحقّقه كالذي تعرفه ضرورة.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية: ٧٠.

(٢) الكتاب ج٣: ١٤٠.

ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ
أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً
عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا
وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ
فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنّه ليس من علم نبيّنا ﷺ وإنّما عرفه بالوحي. والضيف واحد وجمع، كالصوم والفطر، لأنّه في الأصل مصدر ضافه، سمّاهم ضيفاً لأنّهم كانوا في صور الضيف، حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام وكانوا اثني عشر ملكاً، وقيل: ثمانية[١]، وقيل: ثلاثة[٢]. وإكرامهم: أنّ إبراهيم خدمهم بنفسه وعجل لهم القرى[٣]، أو لأنّهم عند الله مكرمون.

﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ نصب بـ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ إذا فسّر بإكرام إبراهيم لهم، وإلا فيما في ضيف من معنى الفعل.

﴿سَلَٰمًا﴾ مصدر سدّ مسدّ الفعل، وأصله: نسلّم عليكم سلاماً.

و﴿سَلَٰمٌ﴾ على معنى: عليكم سلام، عدل به إلى الرفع ليدلّ على ثبات السلام، كأنّه أراد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذاً بأدب الله. وقرئ سلام كما

---

(١) عن محمّد بن كعب. الكشف والبيان ج٩: ١١٦.

(٢) عن عطاء وجماعة. الكشف والبيان ج٩: ١١٦.

(٣) قريتُ الضيف قرًى: أحسنت إليه. (الصحاح: مادة قرا).

في سورة هود[١].

﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ أي: قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ فذهب إليهم في خفية من ضيوفه، ومن أدب المضيف [أن يخفي أمره، وأن يبادره بالقرى من غير أن يشعر به الضيف][٢] حذراً من أن يكفه، وعن قتادة: (كان عامة مال نبيّ الله إبراهيم البقر فجاء بعجل)[٣].

والهمزة في ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ للإنكار، أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه.

﴿فَأَوۡجَسَ﴾ فأضمر. وعن ابن عباس: (وقع في نفسه أنّهم ملائكة أرسلوا للعذاب)[٤].

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ يكون عالماً نبيّاً وهو إسحاق، وعن مجاهد: (هو إسماعيل)[٥].

﴿فِي صَرَّةٖ﴾ في صيحة، من: صرّ الجندب، وصرّ القلم والباب، وهو في محلّ الحال، أي: جاءت صارة، وعن الحسن: (أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم، لأنّها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء)[٦]، وقيل: فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب[٧].

---

(١) الآية: ٦٩.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) تفسير الطبري ج٢٦: ١٢٨.

(٤) الكشاف ج٤: ٤٠٢.

(٥) تفسير الطبري ج٢٦: ١٢٨.

(٦) الكشاف ج٤: ٤٠٢.

(٧) عن السدي وغيره. تفسير الطبري ج٢٦: ١٢٩.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ أي: أنا عجوز ﴿عَقِيمٌ﴾ فكيف ألد؟!.

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ﴾ مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به.

﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: إنّما نخبرك عن أمر الله، والله قادر على ما تستبعدين.

ولما علم إبراهيم أنّهم رسل الله ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: فما شأنكم وما طلبكم؟.

[﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾][(١)] سمّاهم مسرفين كما سمّاهم عادين لإسرافهم في الفواحش وعدوانهم فيها.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: في قرى قوم لوط، ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة، وفيه دليل على أنّ الإيمان والإسلام في الحقيقة واحد، وأنّهما صفتا مدح، والإيمان هو التصديق بما أوجب الله التصديق به، والإسلام هو الاستسلام لما أوجبه الله وألزمه.

والبيت: لوط وابنتاه، وصفهم الله بالإيمان والإسلام جميعاً، وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر[(٢)].

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا ءَايَةً﴾ أي: علامة يعتبر بها الخائفون دون الذين قست قلوبهم.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾[(٣)].

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: فأعرض فرعون بما كان يتقوى به من جنوده ﴿وَقَالَ﴾ هو ﴿سَٰحِرٌ﴾.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عن سعيد بن جبير. الدر المنثور ج٦: ١١٥.

(٣) الذاريات: ٢٠.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ حال من الضمير في ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ أي: آت بما يلام عليه من الكفر والعتو.

وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ
عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ
﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾
وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ
لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا
تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ
أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ
بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ
فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا
لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ
ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ
ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ٱلۡعَقِيمَ﴾ التي عقمت عن أن تأتي بخير من إنشاء سحاب أو إلقاح شجر أو منفعة، إذ هي ريح الهلاك.

﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ كالشيء البالي المتفتت من العظم والنبات وغير ذلك.

﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تفسيره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾[(١)].

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ بعد مضي الأيّام الثلاثة، وقرئ: الصعقة وهي المرة من: صعقتهم الصاعقة ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها جهاراً.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ كقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[(٢)] أي: لم ينهضوا من تلك الصرعة ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ على معنى: وأهلكنا قوم نوح، لأنّ ما قبله يدلّ عليه ﴿مِّن قَبْلُ﴾ عاد وثمود.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: رفعنا بناءها ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ بقوة، والأيد والآد: القوة.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون، من الوسع وهو الطاقة، وعن الحسن: (لموسعون الرزق على الخلق بالمطر)[(٣)].

﴿فَرَشْنَٰهَا﴾ أي: بسطناها ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ نحن إذ فعلنا ذلك لمنافع الخلق لا لجر نفع أو دفع ضرر.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الحيوان ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وعن الحسن: (السماء والأرض، والليل والنهار، والبر والبحر، والشمس والقمر، وعدد أشياء وقال: كل اثنين منها زوج، والله جل جلاله فرد لا مثل له)[(٤)].

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الأرض وخلق الأزواج إرادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه.

---

(١) هود: ٦٥.

(٢) هود: ٦٧.

(٣) تفسير الماوردي ج٥: ٣٧٣.

(٤) الكشاف ج٤: ٤٠٤.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: طاعة الله وثوابه من معصيته وعقابه بتوحيده وإخلاص العبادة له.

وكرر قوله: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليعلم أنّ العلم والعمل مقترنان، وبالجمع بينهما يفوز الإنسان.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقولهم: هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾، فقوله: ﴿مَآ أَتَى﴾ تفسير لما أجمل.

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦ﴾ الضمير للقول، والمعنى: أتواصى الأوّلون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً متفقين عليه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به لأنّهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي الطغيان حملهم عليه.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عن دعوتهم فلم يجيبوا، فلا لوم في إعراضك عنهم بعدما بلّغت الرسالة وبذلت وسعك في الدعوة والإبلاغ.

﴿وَذَكِّرۡ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذين يعرفون الله ويوحّدونه. وعن عليّ عليه السلام: ((أنّه لما نزل: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ اشتد ذلك علينا، فلما نزل: ﴿وَذَكِّرۡ﴾ طابت نفوسنا))[1].

المعنى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا﴾ لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إيّاها، والغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ أي: لا أستعين بهم في تحصيل أرزاقهم ومعايشهم، بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم، وما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنّما أسند إلى نفسه لأنّ الخلق كلهم عياله، ومن أطعم عيال أحد

---

(١) تفسير الطبري ج٢٧: ٨.

فكأنّما أطعمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ لعباده وللخلائق كلهم، فلا يحتاج إلى معين.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ الذي لا يتطرق إليه العجز والضعف.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد القوة، البليغ الاقتدار على كل شيء، يقال: متن متانة فهو متين.

والذنوب: الدلو العظيم، وهذا تمثيل، وأصله في السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، قال:

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا القَلِيبُ[1]

والمعنى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بتكذيب النبيّ ﷺ [نصيباً من عذاب الله ﴿مِّثْلَ﴾ نصيب ﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾ ونظرائهم من القرون المهلكة][2] ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بإنزال العذاب فإنّهم لا يفوتونني.

﴿مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ هو يوم القيامة.

---

(١) كتاب العين ج٨: ١٩٠ دون نسبة وكذا في باقي المصادر المتوفرة.

(٢) ساقطة من د.

سورة الطور

مكية، تسع وأربعون آية كوفي، ثمان بصري، ﴿دَعًّا﴾ كوفي.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الطور) كان حقّاً على الله عزّ وجل أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه في جنّته))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الطور) جمع له خير الدنيا والآخرة))[2].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩
وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ
فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣
هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا
تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا
تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ١٢٣.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

أقسم سبحانه بالجبل الذي كلّم عليه موسى بالأرض المقدسة.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾ مكتوب ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ والرق: الصحيفة، قيل: هو التوراة[١]، وقيل: هو صحائف الأعمال[٢]، وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ[٣]. ونكّر لأنّه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب، كقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[٤].

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بالعبادة. وعن عليّ عليه السلام: ((يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً))[٥]. وروي: أنّ اسمه الضراح[٦]. وقيل: هو الكعبة لكونها معمورة بالحجّاج والعمّار[٧].

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ السماء ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ المملوء، وقيل: هو الموقد المحمى[٨]، من قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٩].

﴿لَوَٰقِعٞ﴾ لنازل.

﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ﴾ ظرف لـ﴿وَاقِعٌ﴾، ومعنى ﴿تَمُورُ﴾: تضطرب وتجيء

---

(١) عن الكلبي. معالم التنزيل ج٤: ١٠٠.

(٢) عن الفراء. معاني القرآن للفراء ج٣: ٩١.

(٣) تفسير الماوردي ج٥: ٣٧٧.

(٤) الشمس: ٧.

(٥) تفسير الطبري ج٢٧: ١٠، التبيان ج٩: ٤٠٢.

(٦) تفسير الطبري ج٢٧: ١٠.

(٧) عن الحسن. تفسير الماوردي ج٥: ٣٧٨.

(٨) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ١٢.

(٩) التكوير: ٦.

وتذهب وتستدبر.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ﴾ وتزول عن أماكنها حتى تستوي الأرض.

﴿فَوَيْلٌ﴾ في ذلك اليوم لمن كذّب الله ورسوله.

والخوض: الاندفاع في الباطل. ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي: يدفعون دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أنّ خزنة النار يغلّون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزخاً[1] في أقفيتهم، يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ معناه: إنّكم كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، أفسحر هذا؟ والمراد: أهذا المصداق أيضاً سحر؟ وإنّما دخلت الفاء لهذا المعنى، ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا؟! أي: أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عمياً عن الخبر؟!.

والصلي: لزوم النار، يقال: صلي يصلي صلياً، أي: ألزموها ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر وعدمه.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ
وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾

(١) الزخ: الدفع في وهدة. (الصحاح: مادة زخخ).

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾
فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن
قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ
﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ في أيّة جنات وأيّ ﴿نَعِيمٍ﴾، أو في جنات مخصوصة خلقت لهم خاصة ونعيم اختص بهم.

وقرئ: ﴿فَكِهِينَ﴾ وفكهين، وهو منصوب على الحال، أي: متلذذين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ يجوز أن يكون الواو للحال وقد مضمرة، ويجوز أن تعطفه على ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾ إذا جعلت (ما) مصدرية، فيكون المعنى: فاكهين بإيتائهم ربّهم ووقايتهم العذاب.

يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أكلاً وشرباً ﴿هَنِيٓـًٔا﴾، أو طعاماً وشراباً هنيئاً لا تنغيص فيه.

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ أي: قرناهم ﴿بِحُورٍ﴾ نقيات البياض في حسن وكمال ﴿عِينٍ﴾ واسعة العيون في صفاء وبهاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [عطف على ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾][1] أي: وبالذين آمنوا، أي:

---

(١) ساقطة من ج.

بالرفقاء والجلساء منهم، فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين، وتارة بمؤانسة الإخوان.

وقرئ: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾، وذرياتهم، وأتبعناهم ذرياتهم وقرئ: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ وذرياتهم. وعن النبيّ ﷺ: ((إنّ المؤمنين وأولادهم في الجنّة وقرأ هذه الآية))(١). فالمعنى: إنّ الله سبحانه يجمع لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين المتقابلين، وباجتماع أولادهم ونسلهم معهم، ثمّ قال: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ أي: بسبب إيمان رفيع المحلّ، وهو إيمان الآباء، ألحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم، ليتمّ سرورهم وتقرّ بهم عيونهم.

﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم﴾ وما نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ من ثواب عملهم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾، وقيل: معناه: ما نقصناهم من ثوابهم شيئاً نعطيه الأبناء بل ألحقناهم بهم على سبيل التفضل(٢). وقرئ: ما ألتناهم بكسر اللام، من: ألت يألت، ويكون لغة في: ألت يألت.

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون، والمعنى: كل نفس رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحاً فكّها وخلّصها وإلا أوبقها.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ أي: وزدناهم حالاً بعد حال بما يشتهونه من ﴿فَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ يتعاطون ويتعاورون [هم وجلساؤهم من أقربائهم

---

(١) مسند أحمد ج١: ١٣٥، الكافي ج٣: ٢٤٩ بالمعنى.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ١٧.

وإخوانهم][١] ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿لَّا لَغْوٌ﴾ في شربها ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلّمون في أثناء شربها بالكلام الذي لا طائل فيه، ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله، أي: ينسب إلى الإثم من الكذب والفواحش، وإنّما يتكلّمون بالحكمة والكلام الحسن لأنّهم حكماء علماء. وقرئ: ﴿لَّا لَغْوٌ وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ بالرفع.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ مملوكون لهم مخصوصون بهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الصدف لأنّه أصفى وأحسن، أو مخزون لأنّه لا يخزن إلا الثمين النفيس. وسئل النبيّ ﷺ: هذا الخادم فكيف المخدوم؟ فقال صلوات الله عليه وآله: ((والذي نفسي بيده إنّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))[٢].

﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: يتحادثون فيسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وعما استوجب به ذلك.

﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: أرقاء القلوب من خشية الله.

﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾ عذاب النار ولفحها، والسموم: الريح الحارة التي تدخل المسام، فسمّيت بها نار جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ لقاء الله والمصير إليه أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: ندعو الله ونوحّده ونعبده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن ﴿الرَّحِيمُ﴾ الكثير الرحمة. وقرئ: أنّه بالفتح بمعنى: لأنّه.

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمّد أي: فاثبت على تذكير الناس ووعظهم، ولا تترك دعوتهم وإن أساؤوا القول فيك فإنّه قول باطل.

---

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) تفسير الطبري ج٢٧: ١٨.

وما ﴿أَنتَ﴾ بحمد الله وإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾.

وريب المنون: حوادث الدهر، وقيل: المنون: الموت[١]، فعول من منّه إذا قطعه، كما سموه شعوب، قالوا: ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء.

﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربّص هلاككم كما تتربّصون هلاكي.

﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ بهذا التناقض في القول وهو قولهم: كاهن وشاعر مع قولهم: مجنون. وكانت قريش يدعون أهل النهى والأحلام.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد، حملهم طغيانهم وعنادهم على تكذيبك مع ظهور الحقّ لهم.

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾
أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ
خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ
فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ
﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ
إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ١٩.

﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾
وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: افتعله واختلقه من تلقاء نفسه، والضمير للقرآن ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ولعنادهم وكفرهم يقولون ذلك مع علمهم بأنّه ليس بمتقول.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مثل القرآن في نظمه وفصاحته ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾، وإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله ـ وما محمّد إلا واحد منهم ـ فليعلموا أنّه لم يتقوّله، بل أ ﴿خُلِقُوا﴾ أي: أحدثوا وقدّروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير مقدّر ﴿أَمْ هُمُ﴾ الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ وهم شاكون فيما يقولون، وقيل: أخلقوا باطلاً من أجل غير شيء من جزاء وحساب(١).

بل أ﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ﴾ الرزق فيرزقوا النبوّة من شاؤوا؟! أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة وصلاح؟! أم هم المسيطرون الأرباب المسلطون على الناس حتى يدبروا أمر الربوبية؟! وقرئ: ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ بالصاد.

﴿سُلَّمٌ﴾ أي: مرقى ومصعد منصوب إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ إلى كلام الملائكة، فوثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه.

﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجّة واضحة تصدق استماع مستمعهم.

[﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ وهذا تسفيه لأحلامهم، حيث أضافوا إلى الله تعالى ما أنفوا منه، وهذا غاية في جهلهم إذ جوّزوا عليه الولد ثمّ ادعوا أنّه اختار

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٦٥.

الأدون على الأعلى][١].

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن﴾ جهة ﴿مَّغۡرَمٖ﴾ فدحهم ﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فزهدهم في اتباعك.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ ما فيه حتى قالوا: لا نبعث ولا نعذّب.

﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ [وهو كيدهم][٢] في دار الندوة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ﴾ الذين يعود عليهم وبال كيدهم، وذلك أنّهم قتلوا يوم بدر، و﴿ٱلۡمَكِيدُونَ﴾: المغلوبون في الكيد، من: كايدته فكدته.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا يَقُولُواْ﴾ أي: قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا﴾ لقالوا هذا ﴿سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ﴾ بعضه فوق بعض.

يصعقون أي: يموتون، وقرئ ﴿يُصۡعَقُونَ﴾ من: صعقته فصعق وأصعقته لغة، وذلك عند النفخة الأولى.

﴿وَإِنَّ﴾ لهؤلاء الظلمة ﴿عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يوم القيامة وهو القتل يوم بدر، والقحط سبع سنين، أو عذاب القبر.

﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وما يلحقك فيه من الكلفة والمشقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ مَثَل، أي بحيث نراك ونكلؤك، وجمع العين لأنّ الضمير ضمير الجمع، وقال في موضع آخر: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[٣].

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) طه: ٣٩.

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مكان قمت فيه، وقيل: من منامك[١]، وقيل: واذكر الله حين تقوم إلى الصلاة المفروضة إلى أن تدخل في الصلاة[٢].

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ يعني: صلاة الليل إذا قام من النوم ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني: ركعتي الفجر قبل الفريضة، وقيل: هي الفريضة[٣]، أي: حين تدبر النجوم وتغيب بضوء الصبح. وقرئ: وأدبار بفتح الهمزة، مثل: أعقاب النجوم.

---

(١) عن أبي الأحوص. تفسير الطبري ج٢٧: ٢٢.

(٢) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٢٧: ٢٣.

(٣) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٢٧: ٢٤.

سورة النجم

مكية، وعن الحسن مدنية، اثنتان وستون آية كوفي، وآية غيرهم، ﴿مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ كوفي.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة النجم) أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمّد وجحد به))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من كان يدمن قراءة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ في كل يوم أو ليلة عاش محموداً بين الناس محبّباً))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ
﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾
أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ
وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ١٣٤.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

﴿النَّجْمِ﴾: الثريا، اسم غالب لها، [قال:

فَـوَرَدْنَ وَالعَيُّـوقُ مَقْعَـدَ رَابِـئِ   الضُّرَبَـاءِ فَـوْقَ النَّجْـمِ لَا يَتَتَلَّـعُ[١]

أو جنس النجوم.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾][٢] إذا غرب أو انتثر يوم القيامة، أو النجم الذي يرجم به إذا انقض، أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجّماً في نيف وعشرين سنة إذا هوى إذا نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: النبيّ ﷺ، والخطاب لقريش. وهو جواب القسم، أي: هو هاد مهتد راشد مرشد، وليس كما زعمتم في نسبتكم إيّاه إلى الضلال والغي.

وما آتاكم به من الدين والقرآن ليس بمنطق صادر عن رأيه وهواه، ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ من عند الله ﴿يُوحَىٰ﴾ إليه.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي: شديد قواه، وهو جبرئيل عليه السلام، والإضافة لفظية لأنّها إضافة الصفة المشبّهة إلى فاعلها.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو حصافة في عقله ورأيه، ومتانة في دينه، وصحّة في جسمه.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وكان يأتيه في صورة الآدميين، فأحبّ رسول الله ﷺ أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني: أفق الشمس فملأ الأفق، وقيل: ما رآه أحد

---

(١) شرح أشعار الهذليين ج١: ١٩.

(٢) ساقطة من ب.

من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمّدﷺ رآه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء(١).

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول اللهﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فتعلّق عليه في الهواء، وهو مثل في القرب.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ مقدار قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد والقاس والقيس: المقدار، وأصله: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات، كما قال الشاعر:

وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِنْ خَزِيمَةَ أَصْبُعَا(٢)

أي: ذا مقدار مسافة إصبع أو أدنى من ذلك.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ الضمير لله، وإن لم يجر ذكر اسمه سبحانه لأنّه لا يلتبس ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحي إليه، و﴿مَا﴾ مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، وقيل: فأوحى جبرائيل إلى عبد الله محمّدﷺ ما أوحى الله إليه(٣)، وقيل: أوحى إليه أنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمّتك.

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمّد ما رآه ببصره من صورة جبرائيلعليه السلام، أي: ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنّه عرفه، يعني: إنّه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أنّه [حقّ، وقرئ: ما كذب، أي: صدقه ولم يشك أنّه](٤)

(١) عن سعيد بن المسيب. الكشف والبيان ج٩: ١٣٧.

(٢) البيت للكلحبة العريني. خزانة الأدب ج١: ٣٨٨، وصدره: فادرك ابقاء العرادة ظلعها.

(٣) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٢٨.

(٤) ساقطة من ب.

جبرائيل عليه السلام بصورته.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ من المراء وهو الجدال والملاحاة، واشتقاقه من مري الناقة، كأنّ كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه، وقرئ: أفتمارونه من: ماريته فمريته، أي: أفتغلبونه في المراء؟ ولذلك عدّي بـ﴿عَلَىٰ﴾، كما تقول: غلبته على كذا. وقيل: أفتمارونه: أفتجحدونه؟[١].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ يعني: رأى جبرئيل عليه السلام ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ يعني: مرة أخرى، من النزول، أي: نازلاً عليه من السماء نزلة أخرى في صورة نفسه.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وهي شجرة نبق عن يمين العرش فوق السماء السابعة، ثمرها كقلال هجر[٢]، وورقها كآذان الفيول، يسير الركب في ظلها سبعين عاماً. والمنتهى: موضع الانتهاء ولم يجاوزها أحد، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، لا يعلم أحد إلا الله ما وراءها، وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل: هي شجرة طوبى كانت في منتهى الجنّة[٣].

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ وهي جنّة الخلد يصير إليها المتقون، وقيل: يأوي إليها أرواح الشهداء[٤]، وعن عليّ عليه السلام وأبي الدرداء: جنّه المأوى بالهاء، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام، ومعناه: ستره بظلاله ودخل فيه.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾ من النور والبهاء ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ مما لا يكتنهه الوصف،

---

(١) عن إبراهيم. تفسير الطبري ج٢٧: ٢٩.

(٢) القِلال: جمع قُلَّة، وهي إناء العرب كالجرة الكبيرة شبيهة بالحباب. (الصحاح: مادة قلل)

(٣) عن مقاتل. معالم التنزيل ج٤: ١٠٦.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٣٣.

وقيل: (يغشاها الجم الغفير من الملائكة [يعبدون الله عندها][1])[2]. وعن النبيّ ﷺ: ((رأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبّح الله عزّ وجل))[3]. ومعناه: إنّه رأى جبرئيل على صورته ليلة المعراج في الحال التي غشي السدرة فيها ما غشيه من الخلائق الدالة على جلال الله وعظمته.

﴿مَا زَاغَ﴾ بصر رسول الله ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: أثبت ما رآه إثباتاً صحيحاً من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه، أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها، وما جاوز الحد الذي حد له.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ أي: والله لقد رأى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ التي هي كبراها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأري عجائب الملكوت. و﴿مِنْ﴾ للتبعيض لأنّها كانت بعض آيات الله.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا

---

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٦: ١٢٦.

(٣) الكشف والبيان ج٩: ١٤٣.

يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

ثمّ خاطب سبحانه المشركين فقال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ﴾ أيّها الزاعمون أنّ ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ﴾ آلهة؟ وهي مؤنثات، فاللات كانت لثقيف بالطائف، وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش(١)، والعزّى كانت لغطفان، ومناة كانت لهذيل وخزاعة. وقيل: هن أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها.

و﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ صفة لـ﴿مَنَاةَ﴾، وهي ذم، أي: المتأخرة الوضيعة المقدار، ويمكن أن تكون الأولية والتقدّم عندهم للات والعزّى.

وكانوا يقولون: إنّ الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، فقيل لهم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾، ويمكن أن يراد: أنّ الأصنام الثلاثة إناث وقد جعلتموهن شركاء لله، وقد استنكفتم من أن يولد لكم الإناث وينسبن إليكم، فكيف سمّيتم الإناث آلهة وأنتم قوم لو خيّرتم لاخترتم الذكور؟!.

﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة غير معتدلة، من: ضازه يضيزه إذا ضامه، والأصل: ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض وعين لتسلم الياء، وقرئ بالهمزة من: ضأزه.

﴿هِيَ﴾ ضمير الأصنام، والمعنى: ما ﴿هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ﴾ ليس تحتها في الحقيقة مسمّيات، لأنّكم تسمّون آلهة ما هو أبعد شيء منها، أو ضمير اللات والعزّى ومناة، أي: ما هذه الأسماء إلا أسماء سمّيتموها بهواكم، وزعمتم أنّ اللات من

---

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٧: ٣٥.

الله، والعزّى من العزيز، ليس لكم من الله على صحّة تسميتها برهان تتمسّكون به، يقال: سمّيته زيداً أو سمّيته بزيد.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والتوهّم أنّ ما هم عليه حقّ، وما تهواه أنفسهم، ويتركون ما جاءهم من ﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ والأدلة على أنّ ما هم عليه باطل.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [هي أم المنقطعة والهمزة للإنكار، أي ليس للإنسان ما تمنى][1] من نعيم الدنيا والآخرة، بل يفعله تعالى بحسب المصلحة. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء.

يعني: إنّ الملائكة مع كثرتهم وقربهم ومنزلتهم من الله ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ عن أحد ﴿شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم في الشفاعة إليه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ لهم أن يشفعوا فيه من أهل الإيمان والتوحيد، فكيف تشفع الأصنام إليه لعابديهم؟!.

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ بقولهم: إنّ الملائكة بنات الله.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بما يقولون ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ لأنّ حقيقة الشيء إنّما تدرك بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَن﴾ دعوة ﴿مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ومنافعها ولذاتها.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: ذلك منتهى علمهم، وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالضال والمهتدي فيجازيهما على حسب ما يستحقّانه.

---

(١) ساقطة من ب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا
أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى
قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي
صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ
يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾

تعلّق قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بما قبله، لأنّ المعنى: أنّه سبحانه إنّما خلق ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لهذا الغرض، وهو أن يجازي المسيئين والمحسنين بالإساءة والإحسان، أو يتعلّق بقوله: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾ لأنّ نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بأعمالهما.

ومعنى ﴿الْحُسْنَى﴾: المثوبة الحسنى، وهي الجنّة. ويجوز أن يريد بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ أي: عظائم الذنوب ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ [جمع الفاحشة][(١)]، وقرئ: كبير الإثم، أي: النوع الكبير منه، ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وهو ما قلّ منه، ومنه اللمم: المس من الجنون، وألمّ الرجل بالمكان: إذا قلّ فيه لبثه، وألمّ بالطعام: إذا قلّ منه أكله، وهو استثناء منقطع أو صفة، كأنّه قال: كبائر الإثم غير اللمم،

---

(١) ساقطة من ب.

وقيل: هو النظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا[١]، وعن السدي: (الخطرة من الذنب)[٢]، وعن الكلبي: (كل ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً ولا عقاباً)[٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ تسع مغفرته الذنوب ولا يضيق عنها حين ﴿أَنشَأَكُم﴾ أي: أنشأ أباكم آدم ﴿مِّنَ﴾ أديم ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ وفي وقت كونكم ﴿أَجِنَّةٞ﴾ في الأرحام، فهو يعلم ميل طباعكم إلى اللمم ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ فلا تنسبوها إلى الزكاة والطهارة من المعاصي، ولا تثنوا عليها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أوّلاً وآخراً، وقيل: كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثمّ يقولون: صلاتنا وزكاتنا وصيامنا وعباداتنا... فنزلت[٤]. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء.

وروي: أنّ عثمان كان يعطي ماله، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة: يوشك أن لا يبقى لك شيء، فقال له عثمان: إنّ لي ذنوباً وخطايا وإنّي أطلب بما أصنع رضا الله، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء، فنزلت[٥].

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الخير ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾ وقطع عطيته وأمسك، وأصله من: أكدى الحافر إذا بلغ الكدية، وهي صلابة كالصخرة إذا بلغ الحافر إليها يئس من الماء فأمسك عن الحفر.

﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: ما غاب عنه من أمر العذاب ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي:

---

(١) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٣٩.

(٢) معالم التنزيل ج٤: ١٠٩.

(٣) معالم التنزيل ج٤: ١٠٩.

(٤) عن مقاتل وغيره. معالم التنزيل ج٤: ١٠٩.

(٥) أسباب النزول: ٢٨٣.

يعلم أنّ ما قاله له أخوه من احتمال أوزاره حقّ؟.

ألم يخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ من أسفار التوراة وفي صحف ﴿إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: تمم ووفر ما أمر به، وإنّما أطلق ليتناول كل توفية من تبليغ الرسالة، والصبر على ذبح الولد وعلى نار نمرود... وغير ذلك من قيامه بالأوامر، وعن الحسن: (ما أمره الله بشيء [إلا وفى به)(١).

﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ هي المخففة من الثقيلة، والمعنى: أنّه لا تزر، والضمير للشأن، ومحلّ (أن) وما في حيّزها الجر بدلاً من ﴿مَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾، أو الرفع](٢) على: هو أن لا تزر، كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم؟ فقال: أن لا تزر وازرة وزر أخرى، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا﴾ سعيه، و﴿مَا﴾ مصدرية.

وأما ما جاء في الأخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه والصلاة، فإنّ ذلك وإن كان سعي غيره فكأنّه سعي نفسه، لكونه قائماً مقامه وتابعاً له، فهو بحكم الشريعة كالوكيل النائب عنه.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: ثمّ يجزي العبد سعيه، يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، والمعنى: أنّه يرى سعيه يوم القيامة ثمّ يجزيه أوفى الجزاء.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ
أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا
تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ
هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ
﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ

(١) معالم التنزيل ج٤: ١٠٩.

(٢) ساقطة من ب.

أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا
نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ
كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾
وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴿٦٢﴾

الفتح في ﴿أَنَّ﴾ وما بعده على معنى: أنّ هذا كله في صحف موسى وإبراهيم.

و﴿ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ مصدر بمعنى الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله: ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾(١).

ومعنى ﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾: خلق قوتي الضحك والبكاء، [أو فعل سبب الضحك والبكاء](٢) من السرور والحزن، وقيل: أضحك الأشجار بالأنوار وأبكى السحاب بالأمطار.

﴿إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ إذا تدفّق في الرحم، يقال: مني وأمنى، وقيل: معناه: تخلق(٣).

قال:

حَتَّى يُبَيِّنَ مَا يُمْنِي لَكَ المَانِي(٤)

أي: يقدّر لك المقدّر.

وقرئ: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾ والنشآة بالمد، يريد: أنّها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة.

---

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن الأخفش. تفسير الماوردي ج٥: ٤٠٥.

(٤) البيت لأبي قلابة الهذلي. شرح اشعار الهذليين ج٢: ٧١٣، وصدره: ولا تقولن لشيء سوف أفعله.

﴿وَأَقۡنَىٰ﴾ أي: أعطى القنية وهي المال المؤثل المدخر، وقيل: ﴿أَغۡنَىٰ﴾: موّل، ﴿وَأَقۡنَىٰ﴾: أرضى بما أعطى[١].

﴿رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ أي: خالقها وكانت خزاعة تعبدها، سنّ لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم، وكان أحد أجداد النبيّ ﷺ من قبل أمهاته، وكانت قريش يسمونه ﷺ: ابن أبي كبشة، لمخالفته إيّاهم في الدين، كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعرى.

وعاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم، وقيل: الأولى القدماء لأنّهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح[٢]. وقرئ: عادلولى، بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف. وقرئ: وثموداً ﴿وَثَمُودَاْ﴾.

وأهلكنا ﴿قَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُ﴾ [عاد وثمود][٣] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ لأنّهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك، وما أثّر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة.

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ أي: والقرى التي ائتفكت بأهلها أي: انقلبت، وهم قوم لوط.

﴿أَهۡوَىٰ﴾ أي: رفعها إلى السماء على جناح جبرئيل ثمّ أهواها إلى الأرض أي: أسقطها، ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ أي: فألبسها من العذاب [﴿مَا غَشَّىٰ﴾ وهو تهويل لما صب عليها من العذاب][٤] وأمطر عليها من الحجارة المسومة.

---

(١) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٤٥.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٧: ٤٦.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) ساقطة من د.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك أيّها الإنسان؟ وقد عدد سبحانه نعماً ونقماً وسمّاها كلها آلاء، لما في نقمه من العبر للمعتبرين.

﴿هَٰذَا﴾ القرآن إنذار من جنس الإنذارات ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾، أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأوّلين، وإنّما قال: ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ قربّت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[1].

﴿لَيْسَ لَهَا﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: مبيّنة متى تقوم، كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾[2]، أو ليس لها نفس قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، غير أنّه لا يكشفها. وقيل: كاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والخائنة[3]، أي: ليس لها من دون الله كشف، والمراد: لا يكشف عنها غيره.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ انزجاراً لما فيه من الوعيد. وعن الصادقؑ: ((أنّ المراد بالحديث ما تقدّم من الأخبار))[4].

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهون لاعبون، وقال بعضهم لجاريته: اسمدي لنا أي: غنّي[5].

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ واعبدوه مخلصين ولا تعبدوا الآلهة.

---

(١) القمر: ١.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) عن الفراء. معاني القرآن للفراء ج٣: ١٠٣.

(٤) تفسير القمي ج٢: ٣٤٠.

(٥) (الصحاح: مادة سمد).

سورة القمر

مكية، وهي خمس وخمسون آية.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأها في كل غب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر))[١]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنّة))[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ
مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ
﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ
يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ
هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ
وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ١٦٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٦.

﴿ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾

انشقاق القمر من معجزات نبيّنا ﷺ الباهرة، رواه كثير من الصحابة منهم: حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وأنس، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم. قال حذيفة: (إنّ الساعة قد اقتربت، وإنّ القمر قد انشق على عهد نبيّكم ﷺ)(١). قال ابن مسعود: (والذي نفسي بيده رأيت حراء بين فلقتي القمر)(٢). وعن ابن عباس: (انشق القمر فلقتين ورسول الله ﷺ ينادي: ((يا فلان ويا فلان اشهدوا)))(٣).

﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ عن الانقياد لصحّتها ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [مطرد، وقيل: مستمر](٤) قوي محكم، من قولهم: استمر مريرة، وقيل: مستمر: مار ذاهب يزول ولا يبقى؛ تمنية لنفوسهم وتعليلاً(٥).

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ وما زيّن لهم الشيطان من دفع الحقّ بعد ظهوره.

﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها، وإنّ أمر محمّد ﷺ سيصير إلى غاية يتبيّن عندها أنّه حقّ أو باطل، وسيظهر لهم عاقبته. وقرئ: مستقر بالجر عطفاً على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: اقتربت الساعة واقترب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٨٤.

(٢) تفسير السمرقندي ج٣: ٣٤٩.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١: ٢٨١، ينظر: أمالي الشيخ الطوسي ج١: ٣٥١.

(٤) ساقطة من ط١.

(٥) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٥٢.

كل أمر مستقر يستقر ويتبيّن حاله.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ﴾ القرآن المودع أنباء الآخرة وأنباء القرون الماضية ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجار، أو موضع ازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ بدل من ﴿مَا﴾، أو على هو حكمة.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفي وإنكار، معناه: وأي غناء تغني النذر، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك بأنّ الإنذار لا يغني فيهم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ انتصب بـ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وقرئ بإسقاط الياء من الداع اكتفاء بالكسرة عنها.

وقرئ ﴿نُّكُرٍ﴾ بالتخفيف، والداعي هو إسرافيل.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾، وقرئ: خاشعاً على: يخشعن أبصارهم، وتخشع أبصارهم، وهو حال من ﴿يَخْرُجُونَ﴾، و﴿خُشَّعًا﴾ على لغة من قال: أكلوني البراغيث وهم طيء، أو فيه ضميرهم و﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بدل من ذلك الضمير تقول: مررت برجال حسن أوجههم [وحسان أوجههم][(١)]. وخشوع الأبصار كناية عن الذلة، لأنّ ذلة الذليل وعزّة العزيز يظهران في عيونهما.

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبّههم بالجراد لكثرتهم وتموجهم، يقال للجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاءوا كالجراد.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ أي: مسرعين إلى إجابة الداعي، مادي أعناقهم إليه.

﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحاً تكذيباً على عقيب تكذيب ﴿وَقَالُوا۟﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ وانتهر بالشتم والضرب والوعيد بالرجم

---

(١) ساقطة من ب.

في قولهم: ﴿تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾[(١)].

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ بأنّي ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي فلم يسمعوا مني، ويئست من إجابتهم لي ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ فانتقم منهم بعذاب تنزله عليهم.

﴿فَفَتَحْنَآ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب في كثرة وتتابع، لم ينقطع أربعين يوماً.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ شققناها بالماء ﴿عُيُونًا﴾ أي: جعلنا الأرض كلها كأنّها عيون تتفجر.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: مياه السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدّرها الله كيف شاء، وقيل: على حال جاءت مقدّرة مستوية، وهي أنّ قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ يعني: السفينة، وهي صفة نابت مناب الموصوف، ونحوه قول الشاعر:

... وَلَكِـنَّ   قَمِيـصِي مَـسْرُودَةٌ مِـنْ حَدِيـدِ[(٢)]

أراد: ولكن قميصي درع. والدسر: جمع دسار وهو المسمار، فعال من دسره: إذا دفعه.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منا.

﴿جَزَآءً﴾ مفعول له، أي: فعلنا ذلك ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح عليه السلام، جعله مكفوراً لأنّ الرسول نعمة من الله ورحمة، فكان نوح نعمة مكفورة.

---

(١) الشعراء: ١١٦.

(٢) ديوان المتنبي: ٢٠، وصدره: مفرشي صهوة الحصان ولكن....

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ الضمير للسفينة أو للفعلة ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها. [والمدكر: المعتبر](١). والنذر جمع نذير وهو الإنذار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهّلناه للحفظ، وأعنّا عليه من أراد حفظه حتى يقرأه ظاهراً ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: طالب لحفظه ليعان عليه؟ أو هيأناه للذكر من: يسّر ناقته للسفر إذا رحلها، [ويسّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه](٢)، قال الشاعر:

وَقُمْـتُ إِلَيْـهِ بِاللِجَامِ مُيَسِّراً ... هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ(٣)

وروي: أنّه ليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن(٤).

(١) ساقطة من د.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) البيت للأعرج المعني. شعر الخوارج: ٩٣، وفيه: بما كنت أصنع.

(٤) عن سعيد بن جبير. الكشف والبيان ج٩: ١٦٥.

وقيل: معناه: سهّلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية والزواجر الكافية ﴿فَهَلۡ مِن﴾ متعظ؟.

﴿وَنُذُرِ﴾ أي: وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أو إنذاري في تعذيبهم لمن بعدهم.

﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ شديدة الهبوب، أو شديدة البرد، من الصرّ وهو البرد ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ شؤم ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾ دائم الشؤم قد استمر عليهم حتى أهلكهم، أو استمر على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة، وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور؛ وروي ذلك عن الباقر عليه السلام[1].

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم.

﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ يعني: إنّهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتاً وهم جثث طوال عظام كأنّهم أصول نخل منقعر عن أماكنه ومغارسه، وقيل: شبّهوا بذلك لأنّ الريح قطعت رؤوسهم فبقوا أجساداً بلا رؤوس[2]. وذكّر صفة ﴿نَخۡلٖ﴾ على اللفظ، ولو أنّث حملاً على المعنى لجاز، كما قال: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾[3].

﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا﴾ نصب بفعل يفسّره ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾، أنكروا أن يتبعوا مثلهم في الجنسية، وقالوا: ﴿مِّنَّا﴾ لتكون المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَٰحِدٗا﴾ إنكاراً لأنّ تتبع الأمة رجلاً واحداً ليس بأشرفهم.

﴿إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ﴾ كأنّه قال لهم: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحقّ

---

(١) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٩٠ عن العياشي، وروي مرفوعاً. الخصال: ٣٥٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٧: ٥٩.

(٣) الحاقة: ٧.

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: ونيران، جمع سعير، فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنّا إذاً كما تقول، وقيل: الضلال: الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر: الجنون[١].

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحقّ منه بالاختيار للنبوّة؟!.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ بطر متكبّر، يريد أن يتعظّم علينا بادعاء النبوّة.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم، أو يوم القيامة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذّبه؟!.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ وامتحاناً وابتلاء.

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يصيبك من أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾ مقسوم بينهم، لها شرب يوم [ولهم شرب يوم][٢]، وقال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليباً للعقلاء.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ محضور يحضره أهله لا يحضره الآخر معه، وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها[٣].

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود.

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مبال به، فأحدث العقر

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٨٩.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٧: ٦٠.

بالناقة، أو فتعاطى السيف فعقرها.

﴿صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ هي صيحة جبرائيل عليه السلام.

والهشيم: الشجر اليابس المتهشم المتكسّر.

و﴿ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ الذي يعمل الحظيرة، وما يحتظر به ييبس وتتوطؤه البهائم فيتهشم.

وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ
﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ
عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي
وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ
فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

﴿حَاصِبًا﴾ ريحاً تحصبهم أي: ترميهم بالحصباء.

﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ هو السدس الأخير من الليل، وصرف لأنّه نكرة، وتقول: لقيته سحراً تريد: في سحر يومك.

﴿نِّعۡمَةٗ﴾ أي: إنعاماً وهو مفعول له ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ أي: فشكّوا بالإنذارات.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ أي: طلبوا منه أن يسلّم إليهم ضيفه ﴿فَطَمَسۡنَآ

﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ فمحوناها حتى صارت ممسوحة كسائر الوجه لا يرى لها شق، صفقهم جبرئيل بجناحه صفقة تركتهم يترددون، لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط، فقلت لهم على ألسنة الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ أي: أتاهم صباحاً ﴿بُكْرَةً﴾ وباكرة أي: أوّل النهار، هي كقوله: ﴿مُشْرِقِينَ﴾[1] و﴿مُصْبِحِينَ﴾[2].

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ ثابت قد استقر عليهم. والفائدة في تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ... الآية﴾ أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأمم ادكاراً واتعاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك، وأن تقرع لهم العصا مراراً حتى لا تغلبهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ عند ذكر كل نعمة عدّت في سورة الرحمن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في المرسلات، وهكذا حكم تكرير الأنباء والقصص في أنفسها، لتكون كل منها حاضرة للقلوب غير منسية.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء لأنّهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو هو جمع نذير وهو الإنذار.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى.

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ على ما يشاء.

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ

(١) الحجر: ٧٣.

(٢) الحجر: ٨٣.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ﴾ وأقوى ﴿مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين: قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون؟ أي: أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفراً وعناداً؟ والمراد: أنّ هؤلاء مثل أولئك بل شرّ منهم.

﴿أَمْ﴾ أنزلت ﴿لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ في الكتب المتقدّمة: أنّ من كفر منكم وكذّب الرسل كان آمناً من عذاب الله فآمنتم بتلك البراءة؟!.

﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ممتنع لا نرام ولا نضام. ويروى: أنّ أبا جهل ضرب فرسه يوم بدر وقال: نحن ننتصر اليوم من محمّد وأصحابه، فنزلت[١].

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يريد: كفار مكة ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، كما قال:

كُلُوا في بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعُفُّوا[٢]

أي: ينهزمون فيولونكم أدبارهم، وكانت هذه الهزيمة يوم بدر.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ للعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشدّ وأفظع، ﴿وَأَمَرُّ﴾ من الهزيمة والقتل والأسر ببدر.

---

(١) عن مقاتل. الكشف والبيان ج٩: ١٧٠.

(٢) من أبيات الكتاب ج١: ٢١٠ التي لا يعرف قائلها، وبقيته: فإنّ زمانكم زمن خميص.

﴿فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: هلاك ونيران، أو في ضلال عن الحقّ في الدنيا ونيران في الآخرة.

﴿ذُوقُواْ﴾ على إرادة القول ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ هو مثل قولهم: وجد مس الحمى، وذاق طعم الضرب، لأنّ النار إذا أصابتهم بحرّها وشدّتها فكأنّها مسّتهم مسّاً بذلك كما يمس الحيوان بما يؤذي ويؤلم، و﴿سَقَرَ﴾: علم لجهنم، من سقرته النار وصقرته إذا لوحته.

﴿كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ﴾ منصوب بمضمر يفسّره هذا الظاهر.

والقدر: التقدير أي: خلقنا كل شيء مقدّراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾ أي: كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ والمراد قوله: كن. والمراد: إنّا إذا أردنا تكوين شيء لم يلبث كونه.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾ في دواوين الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ﴾ من أعمالهم مسطور عليهم مكتوب، أو كل ما هو كائن من الآجال والأرزاق وغيرهما مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿وَنَهَرٖ﴾ أي: أنهار، اكتفى باسم الجنس، وقيل: هو السعة والضياء من النهار[1].

(١) معاني القرآن للفراء ج٣: ١١١

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضي، وقيل: في مجلس حقّ لا لغو فيه[١].

﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أي: مقرّبين عند مليك ﴿مُّقْتَدِرِۭ﴾، لا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٩٣.

سورة الرحمن

مكية، وقيل: مدنية وهي ثمان وسبعون آية كوفي، ست بصري، عدّ الكوفي ﴿الرَّحْمَنُ﴾ و﴿الْمُجْرِمُونَ﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الرحمن) رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((أحبّ أن يقرأ الرجل (سورة الرحمن) يوم الجمعة، وكلما قرأ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: لا بشيء من آلائك يا ربّ أكذّب))[2]. وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن))[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ

(١) الكشف والبيان ج٩: ١٧٦.

(٢) ثواب الأعمال: ٦١١ باختلاف.

(٣) الكشف والبيان ج٩: ١٧٦.

﴿٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ
ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: الذي وسعت رحمته كل شيء.

لما أراد سبحانه أن يعدد نعمه وآلاءه في هذه السورة قدّم هذا الاسم، ليعلم أنّ جميع نعمائه وأفعاله الحسنى صدرت من الرحمة التي شملت خلقه.

وهو مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها بعده أخبار مترادفة، وإخلاؤها من حرف العطف لمجيئها على نمط التعديد، وعدّ أوّل شيء نعمة الدين التي هي أجلّ النعم، وقدّم منها ما هو في أعلى مراتبها، وهو تعليمه القرآن وتنزيله لأنّه أعظم وحي الله منزلة، وهو مصداق الكتب الإلهية.

وأخّر ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عن ذكره ليعلم أنّه إنّما خلقه ليعلم وحيه، فما خلق الإنسان من أجله كان مقدّماً عليه.

ثمّ ذكر ما يميز به الإنسان من سائر الحيوان من ﴿ٱلْبَيَانَ﴾ وهو النطق المعرب عما في الضمير، وقيل: إنّ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدمعليه السلام، و﴿ٱلْبَيَانَ﴾ اللغات كلها وأسماء كل شيء[١]. وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ محمّدصلى الله عليه وآله، و﴿ٱلْبَيَانَ﴾ ما كان وما يكون[٢]. وعن الصادقعليه السلام: ((البيان: الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء))[٣].

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في

---

(١) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٦٧.

(٢) عن ابن كيسان. معالم التنزيل ج٤: ١١٦.

(٣) مجمع البيان ج٩-١٠: ١٩٧.

بروجهما ومنازلهما، وفي ذلك منافع عظيمة للناس منها علم السنين والحساب.

﴿وَٱلنَّجْمُ﴾: النبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: الذي له ساق، وسجودهما: انقيادهما لله تعالى فيما خلقا له، أو ما فيهما من الدلالة على حدوثهما، وأنّ لهما صانعاً محدثاً. واتصلت هاتان الجملتان بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اتصالاً معنوياً، وهو ما علم أنّ الحسبان حسبانه، والسجود له لا لغيره، فكأنّه قال: بحسبانه ويسجدان له.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة مسموكة، حيث جعلها منشأ أحكامه، ومتنزل أوامره ونواهيه، ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على رسله.

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ وهو كل ما يوزن به الأشياء، ويعرف مقاديرها، ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف، وقيل: المراد به العدل(١).

﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ﴾ لئلا تطغوا، وهي (أن) المفسّرة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: قوّموا وزنكم بالعدل، ﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوه، وهذا أمر بالتسوية، ونهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان. وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيداً.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحوّة على الماء.

﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما على ظهرها من دابة، وعن الحسن: (للإنس والجن)(٢)، فهي كالمهاد لهم يتصرّفون فوقها.

---

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج٢٧: ٦٩.

(٢) تفسير الطبري ج٢٧: ٧٠.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ ضروب مما يتفكه به.

﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ وهي كل ما يكم أي: يغطّى من ليف النخل وسعفه وكفراه[1]، وينتفع بجميعه كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجمّاره وجذوعه. وقيل: الأكمام: أوعية الثمر، والواحد كِم بكسر الكاف.

و﴿ٱلۡعَصۡفِ﴾: ورق الزرع، وقيل: التين[2].

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ الرزق، وهو اللب، أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه، وما هو الجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل، وما يتغذى به وهو الحبّ. وقرئ: والريحان بالكسر ومعناه: والحبّ ذو العصف الذي هو علف الأنعام والريحان الذي هو مطعم الناس، وبالضم على: وذو الريحان، فحذف المضاف [وأقيم المضاف][3] إليه مقامه، وقيل: معناه: وفيها الريحان الذي يشم[4]، وقرئ: والحبّ ذا العصف والريحان بالنصب، أي: وخلق الحبّ والريحان، أو وأخصّ الحبّ والريحان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ أيها الثقلان ﴿تُكَذِّبَانِ﴾، ويدلّ على أنّ الخطاب لهما قوله: ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ وقوله: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[5].

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ

---

(١) الكفرى: وعاء طلع النخل. (الصحاح: مادة كفر)

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٧١.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٧٢.

(٥) الرحمن: ٣١.

ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

الصلصال: الطين اليابس لتصلصله، والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف. وفي موضع آخر: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[١] و﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[٢]. والمعنى: إنّه خلقه من تراب جعله طيناً، ثمّ حمأ مسنوناً، ثمّ صلصالاً.

و﴿ٱلْجَآنَّ﴾ أبو الجن، وقيل: هو إبليس[٣]. والمارج: الصافي من لهب النار لا دخان فيه، وقيل: هو المختلط بسواد النار[٤]، و﴿مِن﴾ للبيان، فكأنّه قال: من صاف من نار أو مختلط من نار.

والمشرقان والمغربان: مشرقا الشتاء والصيف، أو مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أرسل البحر العذب والبحر الملح متجاورين متلاقيين لا فصل بينهما في مرأى العين.

---

(١) الحجر: ٢٦.

(٢) الصافات: ١١.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج٤: ١١٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٩٩.

﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ حاجز من قدرة الله لا يتجاوزان حدّيهما، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة.

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾ كبار الدر وصغاره، وقيل: ﴿ٱلۡمَرۡجَانُ﴾ خرز أحمر كالقضبان[1] وهو البسذ، وقرئ: يخرج من أخرج، وقال: ﴿مِنۡهُمَا﴾ وإنّما يخرجان من الملح لأنّهما لما التقيا صارا كالشيء الواحد، فكأنّه قال: يخرج من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه، كما تقول: خرجت من البلد وإنّما خرجت من بعضه، وقيل: إنّهما يخرجان من ملتقى الملح والعذب.

والجواري: السفن، وقرئ: ﴿ٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ بفتح الشين وكسرها، وهي المرفوعات الشرع، [وبالكسر: الرافعات الشرع، أو][2] اللواتي ينشئن الأمواج بجريهن. والأعلام: جمع علم وهو الجبل الطويل.

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الأرض ﴿فَانٖ﴾ أي: هالك، يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم.

﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته، والوجه يعبّر به عن الجملة والذات.

﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ صفة للوجه الذي يجلّ عن التشبيه بخلقه [وعن أفعالهم][3]، أو من عنده الجلال والإكرام لأوليائه وأصفيائه، وهذه الصفة من عظيم صفات الله عزّ اسمه. وفي الحديث: ((ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام))[4]. والنعمة في الفناء أنّ عقيبه مجيء وقت الجزاء.

---

(١) عن ابن مسعود. معجم الطبراني الكبير ج٩: ٢١٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) سنن الترمذي ج٥: ٢٢١.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ أهل ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ما يتعلّق بدينهم وأهل ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ما يتعلّق بدينهم ودنياهم، فكل من فيهما مفتقرون إليه لا يستغنون عنه.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل وقت وحين يحدث أموراً ويجدد أحوالاً، كما روي عن النبيّ ﷺ أنّه تلاها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: ((من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين))[1].

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ
بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ
جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ
﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفرغ لك أي: سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه [حتى لا يكون لي شغل سواه، ويجوز أن يكون المراد: ستنتهي الدنيا وينتهي عند][2] ذلك شؤون الخلق فلا يبقى إلا شأن واحد

---

(١) صحيح ابن حبان ج٢: ٤٦٤، أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ١٣٥.

(٢) ساقطة من ج.

وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً على طريق التمثيل، وقرئ: سيفرغ ـ بالياء ـ أي: الله عزّ وجل، وسمّي الإنس والجن الثقلين لأنّهما ثقلا على الأرض، وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل. ومنه قول النبيّ ﷺ: ((إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي))[1] سمّاهما ثقلين لعظم شأنهما وعلو مكانهما.

﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ كالترجمة لقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن﴾ تهربوا من قضائي وتخرجوا من أرضي وسمائي فافعلوا، ثمّ قال: لا تقدرون على النفوذ من نواحيها.

﴿إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ أي: بقهر وقوة وغلبة، وأنّى لكم ذلك، ونحوه: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[2].

﴿شُوَاظٌ﴾ بالضم، وقرئ بالكسر، وهو اللهب الخالص، والنحاس: الدخان، وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم[3]. وعن ابن عباس: (إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ إلى المحشر)[4]. وقرئ ﴿وَنُحَاسٌ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿شُوَاظٌ﴾، وبالجر عطفاً على ﴿نَّارٍ﴾.

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ فلا تمتنعان.

﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ تصدّعت وانفكّ بعضها من بعض ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت، كما قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾[5] وهو **دردي الزيت**، وهو

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج٢: ١٦٢، خصائص امير المؤمنين: ٩٣، وانظر كتاب حديث الثقلين.

(٢) العنكبوت: ٢٢.

(٣) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٨٢.

(٤) الكشاف ج٤: ٤٤٩.

(٥) الدخان: ٤٥.

اسم ما يدهن به كالأدام، أو جمع دهن، وقيل: الدهان: الأديم الأحمر[١].

﴿إِنسٌ﴾ أي: بعض من الإنس ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: ولا بعض من الجن، فوضع الذي هو أبو الجن موضع الجن، كما يقال: هاشم ويراد ولده.

وعاد الضمير موحداً في قوله: ﴿عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ لكونه في معنى البعض، والمعنى: لا يسألون لأنّ المجرمين يعرفون بسيماهم من سواد الوجوه، وزرق العيون وقيل: لا يسألون عن ذلك ليعلم من جهتهم، بل يسألون سؤال توبيخ[٢]، وعن قتادة: (قد كانت مسألة ثمّ ختم على أفواه القوم وتكلّمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)[٣].

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ عن الضحاك: (يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره)[٤]، وقيل: يسحبون تارة بأخذ النواصي وتارة بالأقدام.

﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماء حار قد انتهى حرّه ونضجه، أي: يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم، ليس لهم من العذاب أبداً فرج.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ

---

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ١٤٤.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ١٤٥.

(٣) تفسير الطبري ج٢٧: ٨٣.

(٤) الدر المنثور ج٦: ١٤٥.

ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ
مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ
يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة، ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾[1]، أو يريد بمقام ربّه: أنّ الله قائم عليه أي: حافظ مهيمن، من قوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾[2] فهو يراقب ذلك ولا يجسر على معصيته، أو يكون مقاماً مقحماً، كما تقول: أخاف جانب فلان، و فعلت ذلك لمكانك أي: لأجلك.

﴿جَنَّتَانِ﴾: جنّة يثاب بها، وجنّة زائدة يتفضل عليه بها كقوله تعالى: ﴿الْحُسْنَى

---

(١) إبراهيم: ١٤.

(٢) الرعد: ٣٣.

﴿وَزِيَادَةٌ﴾[١]، أو جنّة لفعل الطاعات، وجنّة لترك المعاصي، لأنّ التكليف يدور على الأمرين، أو يكون على خطاب الثقلين فكأنّه قال: لكل خائفين منكما جنّتان: جنّة للخائف من الإنس، وجنّة للخائف من الجن.

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ وهي الأغصان، خصّها بالذكر لأنّها تثمر ومنها تمتد الظلال، وقيل: الأفنان: ألوان النعم مما تشتهيه الأنفس[٢].

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ حيث شاءوا في الأعالي والأسافل.

﴿زَوۡجَانِ﴾ صنفان: صنف معروف وصنف غريب، أو متشاكلان كالرطب واليابس، لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على المدح للخائفين، أو حال منهم، لأنّ من خاف في معنى الجمع أي: قاعدين كالملوك ﴿عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ ديباج ثخين، وإذا كانت البطائن من استبرق فما ظنك بالظهائر؟! وقيل: إنّ ظهائرها من سندس، وقيل: من نور[٣].

﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ أي: ثمرهما المجتنى قريب يناله القائم والقاعد والنائم.

﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في هذه الآلاء المعدودة من الجنّتين والعينين والفاكهة والفرش والجني، أو في الجنّتين لاشتمالهما على قصور ومجالس ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿لَمۡ﴾ يطمث الإنسيات منهن أحد من الإنس، ولا الجنيات أحد من الجن، أي: لم يفتضهن ولم يطأهن أحد

---

(١) يونس: ٢٦.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ٨٥.

(٣) عن سعيد بن جبير. الدر المنثور ج٦: ١٤٧.

فهن أبكار. وفيه دليل على أنّ الجن تطمث كما تطمث الإنس، وقرئ: لم يطمثهن بضم الميم. ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ يعني: أنّهن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضاً.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب.

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ومن دون تينك الجنّتين الموعودتين للمقرّبين ﴿جَنَّتَانِ﴾ لمن دونهم من أصحاب اليمين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قد ادهامتا من شدّة الخضرة، وكل نبت أخضر، فتمام خضرته أن يضرب إلى السواد.

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، والنضخ أكثر من النضح، لأنّ النضح مثل الرش.

وإنّما عطف النخل والرمان على الفاكهة وإن كانا منهما بياناً لفضلهما، فكأنّهما لمزيتهما في الفضل جنسان آخران، كقوله: ﴿جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾(١)، أو لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه.

﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أي: خيّرات، فخفف لأنّ (خير) الذي هو بمعنى (أخيَر) لا يأتي منه خيرون ولا خيرات، والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ مخدّرات، قصرن في خدورهن، امرأة قصيرة ومقصورة أي: مخدّرة ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ في الحجال. وفي الحديث: ((الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراه الآخرون))(٢).

---

(١) البقرة: ٩٨.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ١٩٦.

والضمير في ﴿قَبْلَهُمْ﴾ لأصحاب الجنّتين لدلالة ذكر الجنّتين عليهم.

والرفرف: ضرب من البسط، وقيل: الرفرف رياض الجنّة[١] والواحدة: رفرفة، وقيل: الوسائد[٢]، وقيل: كل ثوب عريض رفرف.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ منسوب إلى عبقر، والعرب تزعم أنّه بلد الجن فتنسب إليه كل شيء عجيب، وعن ابن عباس وقتادة: (يريد الزرابي)[٣]، وعن مجاهد: (الديباج)[٤].

وقرئ في الشواذ: رفارف خضر وعباقري كمدائني، وروي ذلك عن النبيّ ﷺ. وإن شذ في القياس ترك صرف عباقري فلا يستنكر مع استمراره في الاستعمال. وقرئ: ذو الجلال بالواو صفة لـ﴿اَسْمُ﴾.

---

(١) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج٢٧: ٩٤.

(٢) عن عاصم الجحدري. الدر المنثور ج٦: ١٥٢.

(٣) تفسير الطبري ج٢٧: ٩٥.

(٤) تفسير الطبري ج٢٧: ٩٥.

سورة الواقعة

مكية سبع وتسعون آية بصري، ست كوفي. عدّ البصري: ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾ ﴿**وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾ ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾ ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾، وعدّ الكوفي. ﴿**مَوْضُونَةٍ**﴾ ﴿**وَحُورٌ عِينٌ**﴾ ﴿**أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الواقعة) كتب ليس من الغافلين))(١)، وعن ابن مسعود عن النبيّ ﷺ: ((من قرأ (سورة الواقعة) كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً))(٢)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الواقعة) قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر))(٣)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ليلة جمعة أحبّه الله وحبّبه إلى الناس، ولم ير في الدنيا بؤساً أبداً، ولا فقراً، ولا آفة من آفات الدنيا، وكان من رفقاء أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه السورة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة، لا يشركه فيها أحد... تمام الخبر))(٤).

---

(١) مجمع البيان ج٩-١٠: ٢١٢.

(٢) شعب الإيمان ج٢: ٤٩٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٧.

(٤) ثواب الأعمال: ١١٧.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً
مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ
ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ
عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

﴿إِذَا﴾ ظرف من معنى ﴿لَيْسَ﴾ لأنّ التقدير: لا يكون ﴿لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾، أو هو ظرف لمحذوف، والتقدير: إذا وقعت خفضت قوماً ورفعت آخرين، ويدلّ عليه قوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾. وقال ابن جني[1]: (﴿إِذَا﴾ الأولى مرفوعة الموضع بالابتداء، و﴿إِذَا﴾ الثانية خبر عن الأولى، وقد فارقتا الظرفية، والمعنى: وقت وقوع الواقعة وقت رج الأرض)[2]. والمراد: إذا كانت الكائنة وحدثت الحادثة وهي القيامة، وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ نفس ﴿كَاذِبَةٌ﴾ تكذب على الله، وتكذب في تكذيب الغيب، لأنّ كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدّقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذّبات، واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[3]. وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كالعافية بمعنى التكذيب من قولهم: حمل

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والصرف، ولد سنة ٣٣٠هـ، وتوفي سنة ٣٩٢هـ. ينظر: بغية الوعاة ج٢: ١٣٢.

(٢) المحتسب ج٢: ٣٠٧.

(٣) الفجر: ٢٤.

فلان على قرنه فما كذب، أي: فما جبن[١]، وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدّثته به من إطاقته له، قال زهير:

لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا   مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[٢]

أي: إذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد.

﴿خَافِضَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هي خافضة ﴿رَّافِعَةٌ﴾.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حرّكت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ وفتتت حتى تعود كالسويق، أو سيقت وسيرت، من: بسّ الغنم إذا ساقها.

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ متفرقاً. وانتصبت ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ بـ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، أو على البدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يعطون صحائفهم بأيمانهم، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذين يعطونها بشمالهم، أو معناهما: أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية، من قولهم: فلان من فلان باليمين أو بالشمال: إذا وصفوه بالرفعة عنده أو الضعة، وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل، ولذلك اشتقوا من اليمين: اليمنى، ومن الشؤم: الشؤمى للشمال، وتفألوا بالسانح، وتطيّروا بالبارح[٣]. وقيل: يؤخذ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٠٧.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٧٦، وفيه: ما كذب الليث...، وصدره ساقط في ب.

(٣) السانح: ما ولّاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرها، والبارح ما ولاك مياسره. (الصحاح: مادة سنح، برح).

بأهل الجنّة ذات اليمين، وبأهل النار ذات الشمال[١].

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، كما يقال: هم، ما هم؟ والمعنى: أي شيء هم؟.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ أي: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك صفتهم، كقول الشاعر:

أَنَـا أَبُـو النَّجْـمِ وَشِـعْرِي شِـعْرِي[٢]

أي: شعري ما عرفته وسمعت بفصاحته.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ مبتدأ وخبر، أي: الذين قربت درجاتهم ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: أعلى المراتب.

والثلة: الأمة الكثيرة من الناس، وهي من الثل وهو الكثير، كما أنّ الأمة من الأم وهو الشج، كأنّها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم، والمعنى: إنّ السابقين كثير ﴿مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وهم الأمم من لدن آدم إلى محمّد ﷺ ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ وهم أمّة محمّد ﷺ، وقيل: ﴿مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ من متقدّمي هذه الأمة، و﴿مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: من متأخريها.

وهذا في السابقين، وقال في أصحاب اليمين: ﴿وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[٣]. وعن الحسن: (سابقو الأمم أكثر من سابقي أمّتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمّة)[٤]. و﴿ثُلَّةٞ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلة.

(١) عن السدي. تفسير الماوردي ج٥: ٤٤٨.

(٢) الرجز لأبي النجم. الأغاني ج٢٢: ٣٣٩، وبقيته: لله دري ما يجن صدري.

(٣) الواقعة: ٤٠.

(٤) التبيان ج٩: ٤٩٨.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة مرمولة بالذهب، كما توضن حلق الدروع [فيدخل بعضها في بعض][١]، وقيل: متواصلة أُدني بعضها من بعض[٢].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَىٰ﴾ أي: استقروا عليها متكئين ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وصفهم سبحانه بتهذيب الأخلاق وحسن المعاشرة.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وصفاء وغلمان للخدمة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ [مبقون][٣] أبداً على شكل الولدان، وحد الوصافة لا يتحولون عنه، وقيل: مقرطون والخلدة:

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٢٠٣.

(٣) ساقطة من ب.

القرط[١]، وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها[٢]، روي ذلك عن عليّ عليه السلام[٣]. وسئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن أطفال المشركين، فقال: ((هم خدم أهل الجنّة))[٤].

الأكواب: قداح واسعة الرؤوس بلا عرى ولا خراطيم، والأباريق: التي لها خراطيم.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يصدر صداعهم عنها ولا ينزفون عنها.

﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يأخذون خيره وأفضله، و﴿يَشْتَهُونَ﴾ يتمنّون. وقرئ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ بالرفع على: وفيها حور عين، كبيت الكتاب:

بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ البِلَى ... إِلَّا رَوَاكِدُ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
وَمُشَجَّجٌ أَمَّا سَوَاءُ قَذَالِهِ ... فَبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ المَعْزَاءُ[٥]

لأنّ المعني بها: رواكد ومشجج.

أو العطف على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾، وبالجر عطف على ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ كأنّه قال: هم في جنات وفاكهة ولحم وحور، وقرأ أُبيّ وابن مسعود: وحوراً عيناً بالنصب على: ويؤتون حوراً.

﴿جَزَآءً﴾ مفعول له أي: يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم.

---

(١) عن الفراء. معاني القرآن ج٣: ١٢٣.

(٢) عن الحسن. الكشف والبيان ج٩: ٢٠٤.

(٣) الكشف والبيان ج٩: ٢٠٤.

(٤) مسند الطيالسي: ٢٨٢.

(٥) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦١، وفيه: ومشجج... وغيّب، الكتاب ج١: ١٧٣.

﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ بدل من ﴿قِيلٗا﴾ بمعنى: لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً، أو مفعول به لـ﴿قِيلٗا﴾ بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً، والمراد: أنّهم يفشون السلام بينهم فيسلّمون سلاماً بعد سلام.

والسدر: شجر النبق، والمخضود: الذي لا شوك فيه كأنّما خضد شوكه، وعن مجاهد: (هو الموقر الذي يثني أغصانه كثرة حمله)[1]، من: خضد الغصن إذا ثناه رطباً.

والطلح: شجر الموز، وقيل: هو شجر أم غيلان، وله نوار كثير طيب الرائحة[2]. وعن السدي: (هو شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل)[3]. والمنضود: الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساق بارزة.

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ يسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعبون فيه، وقيل: دائم الجرية لا ينقطع[4]، وقيل: مصبوب يجري على وجه الأرض في غير أخدود[5].

﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأزمان كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ بوجه من وجوه المنع من بعد متناول أو شوك، أو حظر عليها كما

---

(١) تفسير الطبري ج٢٧: ١٠٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١١٢.

(٣) الكشاف ج٤: ٤٦١.

(٤) معاني القرآن للفراء ج٣: ١٢٥.

(٥) عن سفيان. تفسير الطبري ج٢٧: ١٠٦.

يحظر على بساتين الدنيا.

﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضدت حتى ارتفعت، أو مرفوعة على الأسرّة، وقيل: هي النساء، لأنّ المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك(١)، ويدلّ عليه قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾. وعلى التفسير الأوّل أضمر لهن لأنّ ذكر الفرش ـ وهي المضاجع ـ دلّ عليهن.

﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً من غير ولادة، فإما أن يراد: اللاتي ابتدئ إنشاؤهن، أو اللاتي أعيد إنشاؤهن. وعن النبيّ ﷺ أنّه قال لأم سلمة: ((هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً فلما سمعت عائشة ذلك قالت: واوجعاه! فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك وجع))(٢).

﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهي المتحبّبة إلى زوجها، وقرئ: عرباً بالتخفيف.

﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن، وأزواجهن كذلك. وفي الحديث: ((يدخل أهل الجنّة الجنّة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين))(٣).

واللام في ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ من صلة (أنشأنا) و(جعلنا).

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ

---

(١) عن الحسن وغيره. الكشف والبيان ج٩: ٢٠٩.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٢١٠.

(٣) مسند أحمد ج٢: ٢٩٥.

إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ
مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا
تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ
ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ
نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ
ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ
ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ
بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في ريح حارة تدخل مسامهم ﴿وَحَمِيمٍ﴾ في ماء مغلي حار انتهت حرارته وتناهت.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دخان أسود بهيم، ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ نفي لصفتي الظل عنه، يعني: أنّه ظل حار ضار لا كسائر الظلال.

و﴿ٱلْحِنثِ﴾: الذنب، ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف، وقرئ: أو آباؤنا.

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى: (من) كخاتم فضة؛ والميقات: ما وقّت به الشيء أي: حدّ، ومنه: مواقيت الإحرام.

﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾: ﴿مِن﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبيين، وأنّث ضمير الشجر على المعنى، وذكّره على اللفظ، في قوله: ﴿مِنۡهَا﴾ و﴿عَلَيۡهِ﴾.

﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ قرئ بفتح الشين وضمها، وهما مصدران. والهيم: الإبل التي بها الهيام، وهو داء تشرب منه فلا تروى، جمع أهيم وهيماء. وقيل: الهيم: الرمال[1] فيكون جمع الهيام بفتح الهاء، جمع على فعل كسحاب وسحب، ثمّ فعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: إنّه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم، فإذا ملؤوا منها البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم.

والنزل: الرزق الذي يعدّ للنازل تكرمة له، وفيه تهكّم، كقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[2].

﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق بالبعث، لأنّ من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة.

[﴿مَّا تُمۡنُونَ﴾][3] يريد: ما تمنونه، أي: تقذفونه في الأرحام من النطف.

﴿تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ تقدّرونه وتصوّرونه.

﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ تقديراً على تفاوت، كما اقتضته الحكمة فاختلفت

(١) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ١٦٠.

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

أعماركم. وقرئ: قدرنا بالتخفيف.

يقال: سبقته على الشيء إذا غلبته عليه وأعجزته عنه. فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: إنّا قادرون على ذلك لا تغلبونني عليه. و﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع مثل، أي: على أن نبدّل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى﴾ خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني: إنّا نقدر على الأمرين جميعاً: على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعادتكم؟!. ويجوز أن يكون أمثال جمع مثل، أي: على أن نبدّل ونغيّر صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها.

وقرئ: ﴿ٱلنَّشْأَةَ﴾ والنشاة.

ما تحرثونه من الطعام أي: تبذرون حبّه وتعملون في أرضه، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه وتجعلونه نباتاً يرف وينمى إلى أن يبلغ غايته؟ وفي الحديث: ((لا يقولن أحدكم: زرعت وليقل: حرثت))[1].

والحطام: ما تحطّم وصار هشيماً ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أي: فظللتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون مما أصابكم، وعن الحسن: (تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه، أو على ما اقترفتم من المعاصي التي بسببها أصابكم ذلك)[2]، وتقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: ملزمون غرامة ما أنفقنا، أو مهلكون لهلاك رزقنا، من الغرام وهو الهلاك.

﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ محارفون لا مجدودون[3] لا حظّ لنا ولا بخت، ولو كنا مجدودين لما أصابنا هذا.

---

(١) شعب الإيمان ج٤: ٣١٢.

(٢) تفسير الطبري ج٢٧: ١١٤.

(٣) المجدود: المحظوظ. (الصحاح: مادة جدد)

و﴿ٱلۡمُزۡنِ﴾ السحاب، والأجاج: الملح الزعاق الذي لا يقدر على شربه، وحذف اللام من جواب (لو) هنا اختصاراً، وهي ثابتة في المعنى.

تورونها: أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين، تحك أحدهما على الآخر، ويسمون الأعلى: الزند، والأسفل: الزندة.

﴿أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزناد وأنبتموها.

﴿تَذۡكِرَةً﴾ تذكيراً لنار جهنم حيث علّقنا بها أسباب المعايش كلها، وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به، أو جعلناها أنموذجاً من جهنم.

﴿وَمَتَٰعٗا﴾ ومنفعة ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ الذين ينزلون القواء، وهو القفر، أو الذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [أي: فأحدث التسبيح بذكر اسم ربّك، و][1] ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾: صفة للمضاف أو المضاف إليه، وهو أن تقول: سبحان الله؛ تنزيهاً عما يقول الظالمون الجاحدون نعمه، أو تعجباً من أمرهم [في غمط الآية][2]، أو شكراً على هذه النعم التي عدّدها سبحانه ونبّه عليها.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ
٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم
مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ
ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ

(١) ساقطة من ب.

(٢) ساقطة من ج، د.

وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ
وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ
أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ
مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

المعنى: فأقسم، ولا مزيدة مؤكدة، وقرأ الحسن: فلأقسم، ومعناه: فلأنا أقسم ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغاربها، أو بمنازلها ومسائرها.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراض بين القسم والمقسم عليه، وقوله: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ اعتراض في اعتراض، اعترض به بين الموصوف وصفته. وقيل: (مواقع النجوم): أوقات وقوع نجوم القرآن أي: أوقات نزولها[١]، وقرئ: بموقع على الإفراد لأنّه اسم جنس يؤدي مؤدى الجمع.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ عند الله أكرمه وأعزّه، أو كريم عام المنافع كثير الخير ينال الثواب العظيم بتلاوته والعمل بما فيه، أو خطير معجز مرضي في جنسه من الكتب.

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ مصون من غير المقرّبين من الملائكة، لا يطّلع عليه من سواهم، وهم المطهّرون من جميع الأدناس، إن جعلت الجملة صفة لـ﴿كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ وهو اللوح المحفوظ. وإن جعلته صفة لـ﴿قُرۡءَانٞ﴾ فالمعنى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا﴾ من هو على الطهارة من الناس، يعني: مس المكتوب منه.

---

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج٢٧: ١١٧.

﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة أخرى للقرآن، أي: منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أو وصف بالمصدر لأنّه نزل نجوماً من بين سائر كتب الله، فكأنّه في نفسه تنزيل، ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه حين قالوا: نطق التنزيل بكذا، وجاء في التنزيل كذا، أو هو تنزيل، على حذف المبتدأ.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ على حذف المضاف، أي: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب؟! والمعنى: أوضعتم التكذيب موضع الشكر؟! وعن عليّ عليه السلام أنّه قرأ: وتجعلون شكركم، وروي ذلك عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام. أي: وتجعلون شكركم لنعمه أنّكم تكذّبون، أو تجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنّكم تكذّبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم؟ وقرئ: تَكْذِبُونَ وهو قولهم في القرآن: سحر وشعر وافتراء، وفي المطر: هو من الأنواء، ولأنّ كل مكذّب بالحقّ كاذب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ترتيبه: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين، و(لولا) الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس وهي الروح، وفي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ للمحتضر.

وقوله: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ من: دان السلطان الرعية إذا ساسهم، أي: غير مربوبين مملوكين.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يا أهل الميت بعلمنا وقدرتنا، أو بملائكتنا الذين يقبضون روحه، والمعنى: إنّكم في جحودكم آيات الله سبحانه قد بلغتم كل مبلغ، إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم: سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولاً صادقاً قلتم: ساحر شاعر كذاب، وإن رزقكم مطراً يحييكم به قلتم: صدق نوء كذا، فما

لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثمّ قابض وكنتم صادقين في كفركم بالله وتعطيلكم؟!.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ ورزق، وقرئ: فرُوح بالضم، وهو مروي عن الباقر؈، أي: فرحمة لأنّ الرحمة كالحياة للمرحوم، وقيل: هو البقاء[1]، أي: فهذان له معاً، وهو الخلود مع الرزق.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلّمون عليك، كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[2].

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ مثل قوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[3].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: هو الحقّ الثابت من اليقين.

---

(١) مجاز القرآن ج٢: ٢٥٣.

(٢) الواقعة: ٢٦.

(٣) الواقعة: ٥٦.

سورة الحديد

مدنية، وهي تسع وعشرون آية، عدّ الكوفي: ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ والبصري: ﴿الْإِنْجِيلَ﴾.

وفي حديث أُبيّ بن كعب: ((ومن قرأ (سورة الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله))[1]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ المسبّحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم، وإن مات كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله))[2]. وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الحديد والمجادلة) في صلاة فريضة أدمنها لم يعذّبه الله حتى يموت أبداً، ولا يرى في نفسه ولا في أهله سوءاً أبداً))[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٢٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٩

(٣) ثواب الأعمال: ١١٧.

يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ
مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ
فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾

﴿سَبَّحَ﴾ تعدّى بنفسه وباللام، وأصله التعدّي بنفسه كما مر في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾[1] لأنّ معنى سبّحته: بعّدته عن السوء، منقول من: سبح إذا ذهب وبَعُد، واللام مثلها في قولهم: نصحته ونصحت له، أو بمعنى: أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مما يصحّ منه أن يسبح.

و﴿يُحۡيِۦ﴾ يجوز أن يكون مرفوع المحلّ على هو يحيي، ومنصوباً على الحال من المجرور في ﴿لَهُۥ﴾، والجار يعمل فيه، وأن يكون جملة برأسها لا محلّ لها كقوله: ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ القديم السابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من الأوقات أو تقدير الأوقات.

﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الذي يبقى بعد فناء كل شيء.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ من إحساس خلقه لا يدرك بالحواس، وقيل: معناهما: العالم بما ظهر والعالم بما بطن[2].

﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ بالعلم ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ لا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

---

(١) الفتح: ٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٢٢.

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ
ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ من الأموال التي ﴿جَعَلَكُم﴾ الله خلفاء في التصرّف فيها ومتّعكم بها، فليست هي بأموالكم على الحقيقة، وإنّما أنتم بمنزلة الوكلاء من جهة الله فيها، فليهن عليكم الإنفاق منها، كما يهون على الإنسان الإنفاق من مال الغير إذا أذن له فيه، أو ﴿جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ من كان قبلكم بتوريثه إيّاكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينتقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به واستوفوا حقّكم منه قبل أن يصير لغيركم.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في ﴿مَا لَكُمْ﴾ كما تقول: ما لك قائماً؟ بمعنى: ما تصنع قائماً؟ أي: وما لكم كافرين بالله؟ والواو في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ [واو الحال أيضاً، فهما حالان متداخلتان، والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم][(١)] إليه وينبهكم عليه، ويتلو عليكم القرآن المعجز؟.

وقبل ذلك ﴿قَدْ أَخَذَ﴾ الله ﴿مِيثَـٰقَكُمْ﴾ بالإيمان حيث ركّب فيكم العقول، ونصب لكم الأدلة، ومكّنكم من النظر فيها، فإذاً لم يبق لكم علة بعد أدلة العقول

(١) ساقطة من ج.

وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجب ما، فإنّ هذا الموجب لا مزيد عليه، وقرئ: أخذ ميثاقكم على البناء للمفعول.

﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ [الضمير لله أو للرسول، أي: ليخرجكم][(١)] الله بآياته وأدلته، أو الرسول بدعوته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

﴿مَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ في أن لا تنفقوا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما، لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره. والمعنى: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله، والجهاد مع رسول الله، والله مميتكم ووارث أموالكم؟.

ثمّ بين التفاوت بين المنفقين فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ قبل فتح مكة، قبل عزّ الإسلام وقوة أهله ومن أنفق من بعد الفتح فحذف للعلم به.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾، ﴿وَكُلًّا﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ المثوبة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنّة مع تفاوت الدرجات، وقرئ بالرفع على: وَكُلٌّ وَعَدَهُ اللهُ الحُسْنَى، وقيل: المراد: فتح الحديبية[(٢)].

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ
ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن
نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ
فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ
قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن الشعبي. تفسير الطبري ج٢٧: ١٢٧.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ
وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾

قرئ: فيضعّفه و﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وقرئا منصوبين ومرفوعين، أي: يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً أضعافاً من فضله ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ جزاء خالص لا يشوبه ما ينغصه.

﴿يَوۡمَ تَرَى﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾.

﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ لأنّهم أوتوا صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية لسعادتهم وفلاحهم، فإذا ذهب بهم إلى الجنّة ومروا على الصراط يسعون، سعى ذلك النور بسعيهم، ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة: ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾. وعن ابن مسعود: (يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة ويقدح أخرى)[١].

﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾.

﴿ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا لأنّهم يسرع بهم إلى الجنّة، أو انظروا إلينا لأنّهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به، وقرئ: أَنْظِرُونَا من النظرة وهي الإمهال، جعل اتئادهم[٢] في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم.

﴿نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ نصب منه ونستضيء به.

---

(١) الدر المنثور ج٦: ١٧٢.

(٢) التؤدة: التأني. (لسان العرب: مادة أود)

﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ تهكّم بهم وطرد لهم، أي: ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه هناك، فمن ثمّ يقتبس، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور منها [بتحصيل سببه وهو الإيمان](١) فإنّا كسبنا النور هناك، وقيل: إنّ ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ اسم لـ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾، وليس بظرف للرجوع، كما تقول: وراءك بمعنى: ارجع، والتقدير: ارجعوا ارجعوا.

﴿فَضُرِبَ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٖ﴾ أي: حائط حائل بين شق الجنّة وشق النار، لذلك السور ﴿بَابُۢ﴾ لأهل الجنّة يدخلون منه ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنّة ﴿فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ أي: الجنّة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما ظهر لأهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ من عنده ومن جهته ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ وهو النار.

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر، قال المؤمنون: ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا تصلّون وتصومون ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ فختنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ وشككتم ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ التي تمنيتموها ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ الشيطان، وقيل: الدنيا(٢).

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ﴾ قرئ بالياء والتاء.

﴿فِدۡيَةٞ﴾ ما يفتدى به.

﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مقرّكم الذي تأوون إليه ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ أولى بكم، قال لبيد:

---

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج٥: ٤٧٦.

فَغَـدَتْ كِلَا الفَرْجَـيْنِ تَحْسَـبُ أَنَّـهُ   مُـولِي المَخَافَـةِ خَلْفَهَـا وَأَمَامَهَـا[١]

والمعنى: إنّها تلي عليكم وتملك أمركم، فهي أولى بكم من كل شيء.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ
ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ
ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ
لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ
نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا
مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ
ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

أنى الأمر يأني: إذا جاء أناه أي: وقته، وعن ابن مسعود: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين)[٢]. وعن ابن عباس: (إنّ الله

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ١٧٣.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٢٤٠.

استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية)[١]. وعن محمّد بن كعب: (كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا أصابوا الريف[٢] والنعمة، فتغيروا عما كانوا عليه، فقست قلوبهم فنزلت)[٣].

والمعنى: ألم يحن للمؤمنين أن تلين قلوبهم وترقّ إذا ذكر الله وتلي القرآن عندهم؟ أو لما يذكّرهم الله به من مواعظه وما نزّله من القرآن؟. وقرئ: ﴿نَزَلَ﴾ ونزّل بالتخفيف والتشديد.

﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ عطف على ﴿تَخْشَعَ﴾، وقرئ: ولا تكونوا بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نهياً عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبّخوا، وذلك أنّ بني إسرائيل كان الحقّ يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقّت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة، واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. و﴿ٱلْأَمَدُ﴾ الأجل.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنّه يحييها كما يحيي الغيث الأرض، أو يحييها الله ويلينها بعد القسوة بالألطاف والتوفيقات.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ قرئ بتشديد الصاد بمعنى المتصدّقين، وبتخفيفها بمعنى الذين يصدّقون الله ورسوله، وعطف قوله: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ﴾ على معنى الفعل في ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ لأنّ اللام بمعنى (الذين)، واسم الفاعل بمعنى: اصدقوا أو صدّقوا. كأنّه قيل: إنّ الذين اصدّقوا وأقرضوا، وقرئ: ﴿يُضَٰعَفُ﴾ ويضعّف.

---

(١) الدر المنثور ج٦: ١٧٥.

(٢) الريف:الأرض التي فيها زرع وخصب. (الصحاح: مادة ريف).

(٣) الكشف والبيان ج٩: ٢٤١.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء، وهم الذين سبقوا إلى التصديق، ورسخت أقدامهم فيه، والذين استشهدوا في سبيل الله.

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾ أي: لهم مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم. وعن الصادق عليه السلام: ((إنّ المؤمن شهيد، وقرأ هذه الآية))[1]. ويجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبره.

ثمّ زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا فقال: ليست ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ إلا محقّرات من الأمور، وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر، ثمّ شبّه حالها وسرعة انقضائها وقلة جدواها بنبات أنبته الغيث و﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ وهم الزراع أو الكافرون نعم الله، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ويصفر ويصير ﴿حُطَٰمٗا﴾.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أمور عظام وهي العذاب الشديد، ومغفرة الله ورضوانه.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ أي: بادروا مبادرة السابقين لأقرانهم في المضمار ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ منجية من العذاب الشديد، وإلى ﴿جَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ﴾ سبع السموات وسبع الأرضين. وذكر العرض دون الطول لأنّ كل ما له عرض وطول فإنّ عرضه أقل من طوله، فإذا كان العرض مثل السموات والأرض فطولها لا يعلمه إلا الله. وعن الحسن: (إنّ الله يفني الجنّة ثمّ يعيدها على ما وصفه، فلذلك صحّ وصفها بأنّ عرضها كعرض السماء والأرض)[2].

﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: هيئت وادخرت للمؤمنين المصدّقين.

---

(١) المحاسن ج١: ١٦٤.

(٢) التبيان ج٩: ٥٣٢.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنّة.

﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ عطاؤه، ولأنّ الأسباب الموصلة إلى الثواب من التكليف والتعريض والتمكين والألطاف كلها تفضل.

﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ وهم المؤمنون.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ
بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ
ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا
نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم
مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا
فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا
كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ
فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

المصيبة في الأرض مثل القحط ونقص الثمار، وفي الأنفس مثل الأمراض والثكل بالأولاد، والكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ الضمير للأنفس أو المصيبة [أو الأرض][1].

﴿إِنَّ﴾ تقدير ﴿ذَٰلِكَ﴾ وإثباته في كتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ هيّن.

ثمّ علل ذلك وبيّن وجه الحكمة فيه بقوله: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ الله عزّ اسمه منها. والمعنى: إنّكم إذا علمتم أنّ كل شيء مقدّر مكتوب عند الله قلّ حزنكم على الفائت وفرحكم على الآتي، وكذا إذا علمتم أنّ شيئاً منها لا يبقى لم تهتموا لأجله واهتممتم لأمور الآخرة التي تدوم ولا تبيد.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ لأنّ من فرح بشيء من زخارف الدنيا وعظم قدره عنده اختال وافتخر به وتكبّر على الناس. وقرئ: بما آتاكم وأتاكم من الإيتاء والإتيان.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾، كأنّه قال: لا يحبّ الذين يبخلون ويحملون الناس على البخل يرغبونهم فيه، وذلك كله نتيجة فرحهم بزينة الدنيا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أوامر الله ونواهيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عنه وعن طاعته ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في جميع أفعاله، وقرئ: فإنّ الله الغني.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالدلائل والمعجزات.

و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الوحي وما يحتاج الخلق إليه من الحلال والحرام.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ العدل، وقيل: هو الميزان ذو الكفتين[2] وروي: أنّ

---

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج٢٧: ١٣٧.

جبرائيلعليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزنوا به[(١)].

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: خلقناه وأنشأناه كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[(٢)]، وذلك أنّ أوامره تنزل من السماء إلى الأرض. وعن النبيّصلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّ الله عزّ وجل أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح))[(٣)].

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في معائشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال السيوف وسائر الأسلحة في مجاهدة أعداء الدين.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائباً عنهم، عن ابن عباس: (أينصرونه أم لا ينصرونه)[(٤)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ بقدرته ﴿عَزِيزٌ﴾ يهلك من أراد إهلاكه، فهو غني عن خلقه، وإنّما كلّفهم الجهاد ليصلوا بامتثال أمره إلى الثواب.

خصّ سبحانه نوحاً وإبراهيم بالذكر لأنّهما أبوا الأنبياء.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ الوحي، وعن ابن عباس: (الخط بالقلم)[(٥)].

﴿فَمِنْهُم﴾ فمن الذرية، أو من المرسل إليهم، ودلّ عليه ذكر الإرسال والمرسلين، أي: فمنهم ﴿مُّهْتَدٍ﴾ ومنهم فاسق، والغلبة للفساق.

---

(١) الكشاف ج٤: ٤٨٠.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) فردوس الأخبار ج١: ٢١١.

(٤) الكشاف ج٤: ٤٨١.

(٥) الكشاف ج٤: ٤٨١.

وقرئ: رآفة على فعالة، والمعنى: وفقناهم للتعاطف والتراحم بينهم.
والرهبانية: ترهّبهم في الجبال والصوامع، وانفرادهم عن الجماعة للعبادة، ومعناها: الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف، فعلان من رهب، أي خاف، كخشيان من خشي، وانتصابها بفعل مضمر يفسّره الظاهر، والتقدير: ابتدعوا رهبانية ﴿ٱبۡتَدَعُوهَا إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها.

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ لم نفرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنّهم ابتدعوها ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنّه عهد مع الله لا يحلّ نكثه.

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بعيسى، وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على نذرهم، وقيل: معناه: فما رعوها حقّ رعايتها إذ لم يؤمنوا بنبيّنا ﷺ حين بعث[1]، فآتينا الذين آمنوا به منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون أي: كافرون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ
مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ
شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو
ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ﴾ بمحمّد ﴿يُؤۡتِكُمۡ﴾ الله ﴿كِفۡلَيۡنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمّد وبمن تقدّمه من

(١) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٣٠.

الأنبياء ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ﴾ يوم القيامة ﴿نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ ما أسلفتموه من المعاصي.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾: لا مزيدة أي: لأن يعلم أو ليعلم ﴿أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمّد.

﴿أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾: أن مخففة من الثقيلة، وأصله: أنّه لا يقدرون، والضمير للشأن ﴿عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة، لأنّهم لم يؤمنوا بالنبيّ فلم ينفعهم إيمانهم بمن تقدّمه من الأنبياء، وقيل: إنّ (لا) ليست بزائدة، والمعنى: لئلا يعلم اليهود أنّ النبيّ والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله، أي: يعلمون أنّهم يقدرون عليه ولم يعلموا خلافه، والضمير في ﴿يَقۡدِرُونَ﴾ للنبيّ والمؤمنين.

سورة المجادلة

مدنية اثنتان وعشرون آية.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة المجادلة) كتب من حزب الله يوم القيامة.. الخبر))[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن
نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾
وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن
قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن
لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٥٢.

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾

نزلت في خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة، رآها ساجدة، فلما انصرفت من صلاتها راودها فأبت، فغضب وكان به خفّة ولمم، فظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ وقالت: إنّ أوساً تزوّجني وأنا شابة مرغوب فيّ، فلما خلا سني ونثرت بطني ـ أي: كثر ولدي ـ جعلني عليه كأمه، فقال عليه وآله السلام: ما أراك إلا حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً، وإنّه أبو ولدي، وجعلت تقول: أشكو إلى الله فاقتي وشدّة حالي، فنزلت[1].

﴿قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ أي: تراجعك الكلام ﴿فِي﴾ أمر ﴿زَوۡجِهَا﴾ وشأنه، تظهر شكواها وما بها من المكروه ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ تخاطبكما.

وقرئ: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ ويظهرون وأصلهما: يتظاهرون ويتظهرون، وقرئ: يظاهرون من المظاهرة والظهار.

﴿مِنكُم﴾ فيه توبيخ للعرب، إذ كان الظهار من أيمانهم، والمعنى: إنّ من يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ملحق في كلامه هذا امرأته بأمه وجاعلها مثلها، وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين.

﴿إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ أي: ما أمهاتهم على الحقيقة ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ﴾ وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن، فالمرضعات دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، لأنّ الله تعالى حرّم

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٥٣.

نكاحهن على الأمة، فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة، لأنّهن لسن بأمهات على الحقيقة، [ولا بداخلات في حكم الأمهات، فكان قول المظاهر ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ تنكره الحقيقة][1] وتنكره الأحكام الشرعية.

﴿وَزُورًا﴾ وكذباً باطلاً منحرفاً عن الحقّ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه إذا تيب منه.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّ المراد: والذين كانوا يقولون هذا القول المنكر فتركوه بالإسلام ثمّ يعودون لمثله، فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ـ أي: يعتقها ـ ثمّ يماسّ امرأته التي ظاهر منها، ولا يحلّ له مماسّتها إلا بعد تقديم الكفارة.

وثانيها: أنّ المعنى: ثمّ يتداركون ما قالوا، لأنّ المتدارك للأمر عائد إليه، ومنه المثل: (عاد غيث على ما أفسد)[2] أي: تداركه بالإصلاح. ومعناه: إنّ تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفّر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار.

وثالثها: أن يكون المراد بما قالوا: ما حرّموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه، نحو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾[3]، ومعناه: ثمّ يريدون العود للتماس، وهو الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ لأنّ الحكم بالكفارة دليل على ركوب الإثم والجناية، فينبغي أن يتعظوا بهذا الحكم حتى لا يعودوا إلى الظهار.

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) مجمع الأمثال ج٢: ٣٤٣.

(٣) مريم: ٨٠.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ الرقبة فعليه صيام ﴿شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فإن صام بعض الشهرين ثمّ وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع إليها، وإن رجع كان أفضل.

﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصوم لعلة أو كبر فعليه ﴿إِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا﴾ لكل مسكين نصف صاع، فإن لم يقدر فمدّ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ البيان والتعليم للأحكام ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في العمل بشرائعه.

﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعدّيها ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ المتعدّين حدود الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يُحَآدُّونَ﴾ يعادون ويشاقون.

﴿كُبِتُواْ﴾ أي: أذلوا وأخزوا كما أخزي الذين من قبلهم من أعداء الرسل.

يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا
كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ أَلَمۡ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ
بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ
يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ
جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ

وَٱلتَّقْوَىٰٓ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

﴿يَوْمَ﴾ نصب بـ﴿مُّهِينٌ﴾ أو بـ(لهم)، [أو بإضمار (أذكر) تعظيماً لليوم][(١)]، أي: يبعثهم الله كلهم، لا يترك منهم أحداً غير مبعوث، أو مجتمعين في حالة واحدة كما يقال: حي جميع.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ توبيخاً لهم وتخجيلاً على رؤوس الأشهاد.

﴿أَحْصَـٰهُ ٱللَّهُ﴾ عليهم وأثبته في كتاب أعمالهم ﴿وَنَسُوهُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام معناه: التقرير.

﴿مَا يَكُونُ﴾ قرئ بالتاء والياء، وهي كان التامة، و(من) مزيدة، والنجوى: التناجي، وهو مضاف إلى ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي: من نجوى ثلاثة نفر، أو موصوف بـ﴿ثَلَـٰثَةٍ﴾ أي: من أهل نجوى ثلاثة، فحذف أهل، وذكر عزّ اسمه الثلاثة والخمسة، وقال: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ فدلّ على الاثنين والأربعة، وقال: ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ فدلّ على ما يلي هذا العدد ويقاربه. وقرئ: ﴿وَلَآ أَكْثَرُ﴾ بالنصب ليدلّ على أنّ (لا) لنفي الجنس. ويجوز أن يكون ﴿وَلَآ أَكْثَرُ﴾ مرفوعاً معطوفاً على محلّ (لا) مع (أدنى) كما يقال: لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الأوّل ورفع الثاني، ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، أو عطفاً على محلّ ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾.

ومعنى كونه ﴿مَعَهُمْ﴾: أنّهم يتناجون وهو يعلم نجواهم لا يخفى عليه شيء، فكأنّه يشاهدهم.

---

(١) ساقطة من ج، د.

و﴿ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ اليهود والمنافقون، كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فكان ذلك يحزن المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين، وتواص بمعصية النبيّ ﷺ ومخالفته. وقرئ: وينتجون، فلا تنتجوا من الانتجاء، افتعال من النجوى.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يقولون في تحيتك: السام عليك والسام: الموت، وتحية الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[1].

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: لو كان نبيّاً فهلا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، فقال الله سبحانه: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يوم القيامة ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ والمآل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بألسنتهم إن كان الخطاب للمنافقين، وإن كان للمؤمنين، فالمراد: ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشرّ ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾. وفي الحديث: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما، فإنّ ذلك يحزنه))[2]. وروي: دون الثالث[3].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله: ﴿لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والمعنى: إنّ الشيطان يزيّنها لهم فكأنّها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم.

﴿وَلَيۡسَ﴾ الشيطان أو الحزن ﴿بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئة

---

(١) النمل: ٥٩.

(٢) مسند أحمد ج١: ٤٢٥.

(٣) مسند الطيالسي: ٣٤.

الله، وهو أن يقضي الموت على أقاربهم كما كانوا يوهمون المؤمنين [في تخوفهم][1] إذا تناجوا. وقرئ: ليحزن من أحزنه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ
يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ
أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ
فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ
وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا
شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ
أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾

﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ توسّعوا فيه، وليفسح بعضكم عن بعض، من قولهم: افسح عني أي: تنح، ولا تتضاموا. وهو مجلس النبيّ ﷺ كانوا يتضامون فيه حرصاً على القرب منه ليستمعوا كلامه، وقرئ: في المجالس على الجمع. وقيل: هو المجلس من مجالس القتال[2]، وهي مراكز الغزاة، كقوله: ﴿مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ﴾[3].

---

(١) في ج، د: ذلك.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج٢٨: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٢١.

وكان الرجل يأتي الصف فيقول: تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة.

وقوله: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ مطلق في كل ما يطلب الفسحة فيه من الرزق والمكان والقبر وغير ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ انهضوا من مجلس النبيّ ﷺ أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال البر ﴿فَٱنشُزُواْ﴾. قرئ بضم الشين وكسرها.

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ﴾ المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة ﴿دَرَجَٰتٍ﴾، وكان عبد الله بن مسعود إذا قرأها قال: (يا أيّها الناس افهموا هذه الآية، ولترغبكم في العلم)[١]. وعن النبيّ ﷺ: ((بين العالم والعابد مائة درجة، بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة))[٢]، وعنه عليه السلام: ((فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))[٣]، وعنه عليه السلام: ((يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشهداء))[٤]. فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوّة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ. وعن الزهري: (العلم ذكر فلا يحبّه إلا الذكورة من الرجال)[٥].

وروي: أنّ الناس أكثروا مناجاة النبيّ ﷺ حتى أملّوه [وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك][٦] فأمروا بالصدقة قبل المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته،

---

(١) معالم التنزيل ج٤: ١٣٩.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج١: ٣٢.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٧، مسند الشاميين ج٢: ٢٢٥.

(٤) سنن ابن ماجة ج٢: ١٤٤٣ ح ٤٣١٣، قرب الإسناد: ٤٤.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ج١: ٧٠.

(٦) ساقطة من ج، د.

فلم يناجه إلا علي عليه السلام قدّم ديناراً فتصدق به، ثمّ نزلت آية الرخصة[١]. وعن عليّ عليه السلام: ((إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم))[٢]. قال الكلبي: (تصدّق في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وآله)[٣]. وعن ابن عمر: (كان لعليّ عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه فاطمة عليها السلام، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى)[٤].

﴿ذَٰلِكَ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في دينكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لأنّ الصدقة تطهير. وعن ابن عباس: (هي منسوخة بالآية التي بعدها)[٥].

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الإنفاق الذي يعدكم الشيطان به الفقر والعيلة، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما أمرتم به وشقّ عليكم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بتقصيركم وتفريطكم فيه ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فلا تفرّطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء في الموضعين.

كانوا يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[٦] ويناصحونهم.

---

(١) أسباب النزول: ٢٩٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٢: ٤٨٢، تفسير القمي ج٢: ٣٥٧.

(٣) الكشاف ج٤: ٤٩٤.

(٤) الكشف والبيان ج٩: ٢٦٢.

(٥) الدر المنثور ج٦: ١٨٦، وينظر: الناسخ والمنسوخ: ١٧٩.

(٦) المائدة: ٦٠.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مسلمون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا من اليهود كقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾(١).

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي: يقولون: والله إنّا مسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ المحلوف عليه كذب.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ التي حلفوا بها ﴿جُنَّةً﴾ أي: سترة يدفعون بها عن نفوسهم الظنة إذا ظهرت منهم.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ
شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ
ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ
ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ
ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

أي: ﴿فَيَحْلِفُونَ﴾ بالله تعالى في الآخرة بأنّهم كانوا مؤمنين في الدنيا ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ﴾ اليوم ﴿لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من النفع. وعن الحسن: (في القيامة مواطن: فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه، وموطن يكونون فيه

---

(١) النساء: ١٤٣.

كالمدهوشين فيتكلّمون بكلام الصبيان: الكذب وغير الكذب)[١].

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ استولى عليهم، من: حاذ الحمار العانة: إذا جمعها وساقها غالباً عليها، وهو أحد ما جاء على الأصل، ومثله: استصوب واستنوق، أي: ملكهم الشيطان حتى جعلهم رعيته وحزبه ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ﴾ أن يذكروا ﴿ٱللَّهِ﴾ أصلاً لا بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: جنده.

﴿فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة من هو أذل خلق الله.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ بالحجج والسيف أو بأحدهما.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا﴾ هو من باب التخييل، خيّل أنّ من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون من خالف الله ورسوله، والغرض به أنّه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقّه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه، ثمّ أكّد ذلك بقوله: ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ وزاده تأكيداً بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ وقابل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ﴾ فلا شيء أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، بل هو الإخلاص بعينه.

ومعنى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: أثبته فيها بما وفّقهم فيه، وشرح صدورهم له.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ بلطف من عنده حييت به قلوبهم، وقيل: بروح من الإيمان لأنّ القلوب تحيا به[٢].

---

(١) التبيان ج٩: ٥٥٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٤٢.

سورة الحشر

مدنية وهي أربع وعشرون آية.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الحشر) لم يبق جنّة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا السموات ولا الأرض إلا صلّوا عليه واستغفروا له))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ إذا أمسى (الرحمن والحشر) وكّل الله بداره ملكاً شاهراً سيفه حتى يصبح))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ

---

(١) ثواب الأعمال: ١١٧ باختصار، الكشف والبيان ج٩: ٢٦٦ عن ابن عباس.

(٢) مجمع البيان ج٩-١٠: ٢٥٦.

﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

نزلت في إجلاء بني النضير من اليهود، فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا آل حيي بن أخطب وآل أبي الحقيق فإنّهم لحقوا بخيبر، وذلك أنّهم صالحوا النبيّ ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له، ثمّ نقضوا العهد، وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة، فأمر ﷺ محمّد بن مسلمة الأنصاري[١] فقتل كعباً ذات ليلة غيلة ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ ثمّ صبّحهم بالكتائب وحاصرهم حتى أعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء[٢].

واللام في ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ يتعلّق بـ﴿أَخْرَجَ﴾ وهي اللام في قولك: جئت لوقت كذا. والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أوّل الحشر، ومعنى أوّل الحشر: إنّ هذا أوّل حشرهم إلى الشام [وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط، وهم أوّل من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام، أو هذا أوّل حشرهم، وآخر][٣] حشرهم حشر يوم القيامة لأنّ المحشر يكون بالشام.

---

(١) محمّد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري الحارثي، شهد بدراً والمشاهد كلها، مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب ج٣: ٣٣٤.

(٢) الكشف والبيان ج٩: ٢٦٦.

(٣) ساقطة من ج.

﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْ﴾ لشدّة بأسهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أنّ حصونهم تمنعهم من بأس الله.

﴿فَأَتَىٰهُمُ﴾ أمر الله ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾ من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم، وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف، وذلك مما أضعف قلوبهم وسلبها الأمن والطمأنينة.

﴿وَقَذَفَ﴾ فيها ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي: يملؤه.

وقرئ: ﴿يُخۡرِبُونَ﴾ ويُخَرِّبُونَ من الإفعال والتفعيل، أي: يهدمون بيوتهم من داخل ويخربون ما يستحسنونه منها حتى لا تكون للمسلمين، ويخربها المسلمون من خارج، ولما عرضوا المسلمين للتخريب وكانوا السبب فيه، فكأنّهم أمروهم بذلك وكلّفوهم إيّاه.

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾ يا أهل البصائر بما دبّر الله سبحانه من أمر إخراجهم، وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال.

﴿وَلَوۡلَآ﴾ أنّه ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ واقتضته حكمته ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ سواء أجلوا أو قتلوا.

واللينة: النخلة، وياؤها واو لأنّها من اللون، وقيل: هي النخلة الكريمة[1]، من اللين.

و﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ بيان لـ﴿مَا قَطَعۡتُم﴾، ومحلّ ﴿مَا﴾ نصب بـ﴿قَطَعۡتُم﴾ كأنّه

(١) عن سفيان. معالم التنزيل ج٤: ١٤٢.

قال: أي شيء قطعتم؟ وأنّث الضمير الراجع إلى (ما) في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ لأنّه في معنى اللينة، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فقطعها بإذن الله][1] وأمره.

﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وليذل اليهود وليغيظهم في قطعها، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أمر أن يقطع نخلهم ويحرق، فقالوا: يا محمّد، قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فكان في أنفس المسلمين من ذلك شيء فنزلت[2]. يعني: إنّ الله سبحانه أذن في قطعها ليزيدكم غيظاً إذا رأيتموهم يتحكّمون في أموالكم كيف شاؤوا وأحبّوا. وعن ابن مسعود: (قطعوا منها ما كان موضعاً للقتال)[3].

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: جعله فيئاً له خاصة، والإيجاف: من الوجيف وهو السير السريع، والمعنى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ على تحصيله وتغنيمه خيلاً ولا ركاباً وإنّما مشيتم إليه على أرجلكم ولم تحصلوا أموالهم بالقتال والغلبة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ﴾ رسوله عليهم، وخوّله أموالهم كما كان يسلط ﴿رُسُلَهُۥ عَلَىٰ﴾ أعدائهم، فالأمر فيه إليه يضعه حيث يشاء. والركاب: الإبل التي تحمل القوم، واحدتها: راحلة.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) أسباب النزول: ٢٩٨.

(٣) الكشاف ج٤: ٥٠١.

مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن
قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ
مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ
جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ
سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠

﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ من أموال كفار أهل القرى.

﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمركم فيه بما أحبّ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ بتمليك الله إيّاه ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته وهم بنو هاشم ﴿وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ منهم، وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام: ((هي قراباتنا ومساكيننا وأبناء سبيلنا))[١].

﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ﴾ قرئ بالنصب والرفع، فالنصب على معنى: كيلا يكون الفيء جداً بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم يستأثر به الرؤساء وأهل الدولة والغلبة، وأنشد في ذلك:

لَـكَ المِرْبَاعُ مِنْهَـا وَالصَّفَايَـا ... وَحُكْمُكَ وَالنَّشِـيطَةُ وَالفُضُولُ[٢]

وقيل: الدولة اسم ما يتداول[٣] كالغرفة اسم ما يغترف، أي: كي لا يكون

(١) مجمع البيان ج٩-١٠: ٢٦١، الكافي ج١: ٥٣٩ عن عليّ عليه السلام.
(٢) البيت لعبد الله بن عنمة الضبي. الأصمعيات: ٣٧.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٤٦.

الفيء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، ومنه الحديث: ((اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً))[١]، أي: غلبة، من غلب منهم سلبه. والرفع على كان التامة، أي: كي لا يقع دولة جاهلية، أو كي لا يكون شيء يتداوله الأغنياء بينهم.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ من قسمة غنيمة أو فيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ عن أخذه منها ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾ عنه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تخالفوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالف رسوله.

والأولى أن يكون عاماً في كل ما أمر به رسول الله ﷺ ونهى عنه، ولهذا قسّم عليه السلام أموال خيبر ومنّ عليهم في رقابهم، وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئاً من المال، وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم، وقسّم أموالهم على المهاجرين خاصة، ومنّ على أهل مكة فأطلقهم. وعن الصادق عليه السلام: ((ما أعطى الله نبيّاً من الأنبياء إلا وقد أعطى محمّداً ﷺ مثله، قال لسليمان عليه السلام: ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] وقال له عليه السلام: ﴿ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... الآية﴾))[٣].

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدل من قوله: ﴿لِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، والمعطوف عليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ معطوف على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ وهم الأنصار، ومعناه: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي: المدينة، وأخلصوا ﴿ٱلْإِيمَٰنَ﴾ كقوله:

---

(١) تفسير القمي ج١: ٥٢، المستدرك على الصحيحين ج٤: ٤٨٠.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) بصائر الدرجات: ٣٨٠.

عَلَفْتُهَـا تِبْنـاً وَمَـاءً بَـارِدا(١)

أو وجعلوا الإيمان مستقراً ومتوطناً لهم لتمكّنهم فيه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك، أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في (الدار) مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه [أو سمّى المدينة لأنّها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان](٢).

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من قبل المهاجرين لأنّهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان.

﴿وَلَا يَجِدُونَ﴾ ولا يعلمون في أنفسهم ﴿حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: طلب محتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره، والمحتاج إليه قد يسمّى حاجة. يقال: خذ منه حاجتك، وأعطاه من ماله حاجته، يعني: إنّ نفوسهم لم تطمح إلى شيء مما أعطوا يحتاج إليه.

﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ أي: خلة، من خصاص البيت وهي فروجه.

وكان رسول الله ﷺ قسّم أموال بني النضير على المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة، وقال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وداركم [وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم](٣) وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت(٤).

---

(١) ديوان شعر ذي الرمة: ٦٦٤.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) أسباب النزول: ٢٩٩.

والشح: اللؤم، وأن تكون نفس المرء حريصة على المنع، كما قال الشاعر:

يُمَارِسُ نَفْساً بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَزَّةً إِذَا هَمَّ بِالمَعْرُوفِ قَالَتْ لَهُ مَهْلا[1]

وقد أضيف إلى النفس لأنّه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، والمعنى: ومن غلب ما أمرته به نفسه وخالف هواها بتوفيق الله وعونه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ الظافرون بما أرادوا.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لأنّه ﷺ لم يقسم لهم في بني النضير إلا للثلاثة[2].

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم الذين هاجروا من بعد، وقيل: التابعون بإحسان[3].

﴿غِلًّا﴾ أي: حقداً وعداوة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم
مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ
جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

(١) أساس البلاغة ج٢: ٣٠٦ دون نسبة.

(٢) إعراب القرآن ج٤: ٣٩٦.

(٣) عن مقاتل. تفسير الماوردي ج٥: ٥٠٧.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ
(١٤) كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
(١٥) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى
بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ
أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٧)﴾

ثمّ ذكر سبحانه أنّ المنافقين ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾ الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر، وهم يهود بني النضير، كانوا يوالونهم في السرّ ﴿وَلَا نُطِيعُ﴾ في قتالكم ﴿أَحَدًا﴾ يعنون محمّداً ﷺ وأصحابه. وفي هذا دلالة على صحّة النبوّة لأنّه إخبار بالغيب، وعلى أنّه سبحانه كما يعلم ما يكون، فإنّه يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون. والتقدير: ولئن نصرهم المنافقون على الفرض والتقدير لينهزمن المنافقون ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعد ذلك، أي: يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم.

﴿رَهْبَةً﴾ مصدر رهب المبني للمفعول، كأنّه قال: أشدّ مرهوبية.

وفي قوله: ﴿فِى صُدُورِهِم﴾ دلالة على نفاقهم، والمعنى: إنّهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله.

﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون الله حتى يخشوه حقّ خشيته.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم.

﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين يعني: اليهود والمنافقين ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم، لأنّ الله عزّ اسمه قذف الرعب في قلوبهم، وقرئ: جدار.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: قوتهم وشوكتهم فيما بينهم شديدة، فإذا

لاقوكم جبنوا ولم يبق لهم بأس وشدّة، لأنّ الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي ألفة واتحاد في الظاهر ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة مختلفة لا ألفة بينها.

﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الرشد.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مثلهم كمثل الذين قتلوا ببدر.

﴿قَرِيبًا﴾ في زمان قريب، وذلك قبل إجلاء بني النضير بستة أشهر، وانتصب ﴿قَرِيبًا﴾ بـ(مثل) على معنى: كوجود مثل أهل بدر قريباً، وعن ابن عباس: (إنّ الذين من قبلهم بنو قينقاع)[١]، وذلك أنّهم نقضوا العهد، فرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم ﵇ أن يخرجوا، فقال عبد الله بن أُبيّ: لا تخرجوا فإنّي أدخل معكم الحصن فكان هؤلاء في ترك نصرتهم كأولئك ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على القتال ووعدهم إيّاهم النصر ثمّ إخلافهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إذا استغوى الإنسان بكيده ثمّ تبرأ منه في العاقبة، كما استغوى قريشاً يوم بدر بقوله لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾[٢].

﴿خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾ حال.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ
فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ

---

(١) تفسير الطبري ج٢٨: ٣٢.

(٢) الأنفال: ٤٨.

ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ
أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ
ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ
ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

نكّر سبحانه النفس لاستقلال الأنفس الناظرة فيما تقدّمه للآخرة، فكأنّه قال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾ واحدة في ذلك.

ونكّر الغد لتعظيم أمره، أي: لغد لا يعرف كنهه لعظمه، والمراد بالغد يوم القيامة، وعن الحسن: (لم يزل يقرّبه حتى جعله كالغد)[1]. ونحوه في تقريب الزمان الماضي قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾[2].

وكرر قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لأنّ الأوّل في أداء الواجبات لأنّه مقرون بالعمل، والثاني في ترك المقبحات لأنّه مقرون بالوعيد.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ نسوا حقّه فجعلهم ناسين حقّ أنفسهم بالخذلان، حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده، أو فأراهم من أهوال يوم القيامة ما نسوا فيه أنفسهم،

---

(١) الكشاف ج٤: ٥٠٨.

(٢) يونس: ٢٤.

كقوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾(١).

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ﴾ تنبيه للناس وإيذان بأنّهم لفرط غفلتهم وإيثارهم الدنيا على الآخرة كأنّهم لا يعرفون الفرق بين الجنّة والنار، والبون بين أصحابهما [وأنّ الفوز مع أصحاب الجنّة](٢)، فمن حقّهم أن ينبهوا على ذلك، كما تقول لمن يعق أباه: هو أبوك، تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبّهه بذلك على حقّ الأبوة الذي يقتضي البر والتعطف.

التصدع: التفرّق بعد التلاؤم، وهذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾(٣)، يدلّ عليه قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، والغرض: توبيخ الإنسان على قلة تدبّره للقرآن، [وتعقّله لزواجره ومواعظه](٤).

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ عالم المعدوم والموجود، وقيل: ما غاب عن الخلق وما شاهدوه(٥)، أو السرّ والعلانية(٦)، وعن الباقر عليه السلام: ((ما لم يكن وما كان))(٧).

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المنزّه عن القبائح، الطاهر من كل عيب ونقص، ونظيره: السبوح.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ بمعنى السلامة، وصف سبحانه به مبالغة في وصف كونه سليماً

---

(١) إبراهيم: ٤٣.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) في ب: وتعلقه لزواجره وقوارعه.

(٥) الكشف والبيان ج٩: ٢٨٦.

(٦) عن ابن عباس. الدر المنثور ج٦: ٢٠٢.

(٧) معاني الأخبار: ١٤٤ عن الصادق عليه السلام.

من النقائص، أو في إعطائه السلامة.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ واهب الأمن.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ الرقيب على كل شيء والحافظ له، وقيل: الأمين الذي لا يضيع لأحد عنده حقّ[١]، مفيعل من الأمن إلا أنّ همزته قلبت هاء.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ القهار الذي جبر خلقه على ما أراد، وقيل: العظيم الشأن في الملك والسلطان[٢]، ولا يطلق هذا الوصف على غيره إلا على وجه الذم.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ البليغ الكبرياء والعظمة.

﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدّر لما يوجده.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ المثل.

وسئل النبيّ ﷺ عن اسم الله الأعظم، فقال: ((عليك بآخر الحشر))[٣].

(١) عن الضحاك. تفسير الطبري ج٢٨: ٣٦.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج٤: ١٤٩.

(٣) الكشف والبيان ج٩: ٢٨٩.

سورة الممتحنة

مدنية، وهي ثلاث عشرة آية.

وفي حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الممتحنة) كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة))[1]، وعن علي بن الحسين عليهما السلام: ((من قرأ (سورة الممتحنة) في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونور له بصره، ولا يصيبه فقر أبداً، ولا جنون في بدنه ولا في ولده))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن
تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي
تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً
وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾
لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٩٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

﴿تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أنّ سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم أتت رسول الله ﷺ وهو يتجهز للفتح فقال لها: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، [قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا][1]، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهبت الموالي، تعني قتلوا يوم بدر، واحتجت حاجة شديدة، فحثّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزوّدوها، فأتاها حاطب وأعطاها عشرة دنانير وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، نسخته: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، اعلموا أنّ رسول الله يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبرائيل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام وعماراً وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد ـ وكانوا كلهم فرساناً ـ وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان فجحدت وحلفت، فهمّوا بالرجوع، فقال عليّ عليه السلام: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسلّ سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربنّ عنقك، فأخرجته من عقاص شعرها.

وروي: أنّ حاطباً قال: يا رسول الله، والله ما كفرت منذ أسلمت، ولكني

(١) ساقطة من ب، د.

كنت عزيزاً في قريش أي: غريباً ولم أكن من أنفسها، وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم، [فخشيت على أهلي][(١)] فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أنّ الله تعالى ينزل عليهم بأسه، وأنّ كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فعذره[(٢)].

العدو وقع موقع الجمع.

﴿تُلْقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، أو صفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، أو استئناف.

والإلقاء: عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم، والباء في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إما مزيدة مؤكدة للتعدّي، مثلها في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[(٣)]، وإما ثابتة على أنّ مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف، ومعناه: تلقون إليهم أخبار الرسول بسبب المودة التي بينكم وبينهم. وكذلك قوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي: تفضون إليهم بمودتكم سرّاً، أو تسرّون إليهم أسرار رسول الله ﷺ بسبب المودة.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حال من ﴿تُلْقُونَ﴾، أي: توادّونهم أو تتولونهم وهذه حالهم ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هو كالتفسير لكفرهم، أو حال من ﴿كَفَرُواْ﴾، و﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ تعليل لـ﴿يُخْرِجُونَ﴾ أي: يخرجونكم لإيمانكم.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه، وهو متعلّق بـ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾. والمعنى: إن كنتم أوليائي فلا تتولوا أعدائي.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ استئناف والمعنى: أي فائدة في إسراركم وقد علمتم

---

(١) ساقطة من ب، د.

(٢) أسباب النزول: ٣٠١.

(٣) البقرة: ١٩٥.

أنّ الإخفاء والإعلان سيان في علمي، وأنا أطلع رسولي على ما تسرّونه؟.

﴿وَمَن﴾ يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحقّ وحاد عن القصد.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ خالصي العداوة ﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقتال والشتم، وتمنّوا لو ترتدّون عن دينكم.

﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ﴾ أي: قراباتكم ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ الذين توالون الكفار بسببهم، وتتقرّبون إليهم من أجلهم، ثمّ قال: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡ﴾ وبين أقاربكم وأولادكم، فما لكم عصيتم الله لأجلهم؟!.

وقرئ: ﴿يَفۡصِلُ﴾ ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عزّ وجل، أي: يميز بعضكم من بعض في ذلك اليوم، فلا يرى القريب المؤمن في الجنّة قريبه الكافر في النار، وقيل: معناه: يقضي بينكم من فصل القضاء.

﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ﴾ أي: قدوة ﴿حَسَنَةٞ﴾ ومذهب حسن يؤتسى ويتبع أثره ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وقومه، وهو قولهم لكفار قومهم حيث كاشفوهم بالعداوة: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا﴾ تعبدونه من الأصنام، أو ومن عبادتكم، أي: لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء، والسبب في عداوتنا إيّاكم كفركم بالله.

﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ أي: جحدنا دينكم، والعداوة قائمة ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ﴾ حتى تصدقوا بوحدانية الله.

﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ استثناء من قوله: ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾، لأنّ المراد بالأسوة الحسنة قولهم الذي يجب أن يؤتسى به ويتخذ سنة، أي: فلا تقتدوا بإبراهيم عليه السلام في

قوله لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، فإنّما ذلك لـ﴿مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[١] بالإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ﴾ تابع لوعده بالاستغفار، كأنّه قال: أنا أستغفر لك وما في وسعي وطاقتي إلا الاستغفار.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يجوز أن يتصل بها قبل الاستثناء فيكون من قول إبراهيم وقومه، ويجوز أن يكون تعليماً من الله سبحانه لعباده أن يفوّضوا أمورهم إليه بأن يقولوه، فيكون المعنى: قولوا ربّنا.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ
عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ
أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟
بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

---

(١) التوبة: ١١٤.

(٢) التوبة: ١١٤.

كرر سبحانه الحث على الاقتداء بإبراهيم﴿ع﴾ وقومه تأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مصدّراً بالقسم.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمْ﴾ وذلك نوع من التأكيد، وكذلك قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: ومن أعرض عن الايتساء بإبراهيم فإنّ الله هو الغني عن جميع خلقه لا يضرّه ذلك، وإنّما ضرّوا به أنفسهم. ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأقربائهم من المشركين، فلما رأى الله سبحانه منهم الجد والصبر على الوجه الشديد، رحمهم ووعدهم تيسير ما تمنّوه من إسلام أقاربهم، وحصول التصافي والتواد بينهم.

و﴿عَسَى﴾ وعد من الله على عادات الملوك، حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل، فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتسهيل الأمور.

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، وكذلك ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ﴾. والمعنى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ﴾ عن مبرّة هؤلاء وإنّما ينهاكم عن تولي هؤلاء. وهذا أيضاً رحمة لهم لتشددهم وجدّهم في العداوة، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بالقتال والإخراج من الديار، وهم خزاعة، وكانوا صالحوا رسول الله﴿ص﴾ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، وعن مجاهد: (هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا)[1].

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: وتعدلوا فيما بينكم وبينهم، وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم. أوصى سبحانه باستعمال القسط مع المشركين والتحامي عن ظلمهم، فما ظنك بحال من اجترأ على ظلم أخيه المسلم؟!.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٨: ٤٣.

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ سمّاهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة.

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فاختبروهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وكان رسول الله ﷺ يقول للممتحنة: ((بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، بالله ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت إلا حبّاً لله ورسوله))[1].

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ منكم لأنّكم لا تكسبون فيه علماً تطمئن معه نفوسكم وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن، وعند الله حقيقة العلم به.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ العلم الذي يبلغه وسعكم، وهو غالب الظن بظهور الأمارات ﴿فَلَا﴾ تردّوهن ﴿إِلَى﴾ أزواجهن ﴿ٱلْكُفَّارِ﴾ لأنّه لا حلّ بين المشرك والمؤمنة.

﴿وَءَاتُوهُم﴾ وأعطوا أزواجهن ﴿مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ أي: ما دفعوا إليهن من المهر. ثمّ نفى عنهم الجناح في تزويج هؤلاء المهاجرات إذا آتوهن أجورهن أي: مهورهن، لأنّ المهر أجر البضع.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد. العصمة: ما يعتصم به من عقد أو سبب، أي: لا يكن بينكم وبين الكافرات عصمة، ولا علقة زوجية، سواء كن حربيات أو ذميات.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار، ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ من مهور نسائهم المهاجرات.

---

(١) التبيان ج٩: ٥٨٤، معجم الطبراني الكبير ج١٢: ٩٩.

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني جميع ما ذكر في هذه الآية.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ كلام مستأنف، أو حال من ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على حذف الضمير، أي: يحكمه الله، أو جعل الحكم حاكماً، على المبالغة.

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ
يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ
فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا
يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

لما نزلت الآية المتقدّمة أدى المؤمنون ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يؤدّوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين، فنزلت[١].

﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ أي: وإن سبقكم وانفلت ﴿شَيْءٌ﴾ منكم ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أحد منهن ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، وفي قراءة ابن مسعود: أحد.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العقبة وهي النوبة، شبّه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى، بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره. ومعناه: فجاءت عقبتكم من أداء المهر.

(١) الدر المنثور ج٦: ٢٠٨.

﴿فَـَٔاتُواْ﴾ فأعطوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة، ولا تعطوه زوجها الكافر، وعن الزهري: (يعطى من صداق من لحق بهم)[١]، وقال الزجّاج: (﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم)[٢]. والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر، وقرئ في الشواذ: فأعقبتم أي: دخلتم في العقبة، فعقبتم بالتشديد من: عقّبه إذا قفاه، لأنّ كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه، فعقبتم من: عقبه يعقبه. وقال الزجّاج في تفسير جميعها: (فكانت العقبى لكم، أي: كانت الغلبة لكم حتى غنمتم)[٣]. وقيل: إنّ جميع من لحق بالمشركين من نساء المهاجرين ست نسوة، وأعطاهم رسول الله ﷺ مهورهن من الغنيمة[٤].

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ يريد: وأد البنات أو الإسقاط.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن المولود الذي تلصقه بزوجها كذباً، لأنّ بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فيما تأمرهن به من المحسّنات، وتنهاهن عنه من المقبّحات، وكل ما دلّ العقل أو الشرع على وجوبه أو ندبه فهو معروف. وروي في كيفية المبايعة: أنّه ﷺ دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثمّ غمسن أيديهن

(١) الدر المنثور ج٦: ٢٠٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٦٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٦٠.

(٤) الكشف والبيان ج٩: ٦٩٢.

فيه[١]، وقيل: كان يبايعهن من وراء الثوب[٢].

﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، كان قوم من فقراء المسلمين يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهوا عن ذلك.

﴿قَدْ يَئِسُوا﴾ من أن يكون لهم حظ في ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ لتكذيبهم برسول الله عناداً وهم يعلمون أنّه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ من موتاهم أن يبعثوا.

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٢٩٨، الكافي ج٥: ٥٢٧.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج٦: ٩.

سورة الصف

مدنية، وهي أربع عشرة آية.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة عيسى) كان عيسى عليه السلام مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا، وهو يوم القيامة رفيقه))[١]، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة الصف) وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفّه الله تعالى مع ملائكته وأنبيائه المرسلين))[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا
عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى
رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣٠١.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

﴿إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ
أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾
يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

عن ابن عباس: (كان ناس من المؤمنين يقولون قبل أن يؤمروا بالقتال: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله تعالى لعملناه، فدلّهم الله سبحانه على الجهاد في سبيله، فولّوا يوم أُحد فعيّرهم)[١]. وقيل: نزلت في قوم قالوا: أبلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة فكذّبهم[٢].

وقصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه، وأسند إلى ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾، ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على التفسير دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه، والمقت: أشدّ البغض. ولم يقتصر سبحانه على أن جعل البغض كبيراً حتى جعله أشدّه وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك لأنّه إذا كبر مقته عند الله فقد تناهى كبره وشدته. وذكر أنّه قيل لبعض السلف: حدّثنا، فسكت ثمّ قال: تأمرونني أن أقول ما لا أفعل، فأستعجل مقت الله[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ دليل على أنّ المقت تعلّق بقول الذين وعدوا الثبات في القتال فلم يفوا.

---

(١) تفسير الطبري ج٢٨: ٥٥.

(٢) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج٦: ٢١٣.

(٣) الكشاف ج٤: ٥٢٣.

﴿صَفًّا﴾ صافين أنفسهم، أو مصفوفين كأنّهم في تراصهم من غير فرجة ﴿بُنْيَـٰنٌ﴾ رص بعضه إلى بعض ورصف، وقيل: إنّه يدلّ على فضل القتال راجلاً، لأنّ الرجالة يصطفون على هذه الصفة[١]. وقوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ حالان متداخلتان.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ ظرف لأذكر.

﴿تُؤْذُونَنِى﴾ آذوه بأنواع الأذى، من قولهم: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾[٢]، ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾[٣]، وطلبهم رؤية الله جهرة[٤]، وعبادتهم العجل[٥]، وغير ذلك.

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾ في موضع الحال، أي: تؤذونني عالمين ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وقضية علمكم بنبوّتي ورسالتي تعظيمي وتوقيري لا إيذائي.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحقّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بأن منعهم ألطافه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ لا يلطف بهم لأنّهم ليسوا من أهل اللطف، أو لا يهديهم إلى الجنّة التي وعدها المؤمنين.

﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾ أي: أرسلت إليكم في حال تصديقي لما تقدّمني من التوراة، وفي حال تبشيري ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ وقرئ بسكون الياء وفتحها، وسيبويه والخليل يختاران الفتح[٦]. وعن كعب: (إنّ الحواريين قالوا لعيسى:

---

(١) عن أبي بحرية. تفسير الطبري ج٢٨: ٥٧.

(٢) المائدة: ٢٤.

(٣) الأعراف: ١٣٨.

(٤) كما أخبر عزّ وجل عنهم بقوله: ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ النساء: ١٥٣.

(٥) كما أخبر عزّ وجل عنهم بقوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ النساء: ١٥٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ٧٦١.

يا روح الله، هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم، أمّة أحمد، حكماء علماء أتقياء، كأنّهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل)[١]. وقرئ: هذا ساحر.

وأيّ الناس أشدّ ظلماً ممن يدعوه ربّه على لسان نبيّه إلى الإسلام الذي فيه السعادة الأبدية فيجعل مكان إجابته إليه افتراء على الله الكذب بقوله لكلامه: ﴿هَٰذَا سِحۡرٌ﴾؟!.

﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾ هذه اللام تزاد مع فعل الإرادة تأكيداً له، والأصل: يريدون أن يطفئوا، كما في سورة التوبة[٢]، وإطفاء ﴿نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ تهكّم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن: ﴿هَٰذَا سِحۡرٌ﴾ فأشبهت حالهم حال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قرئ مضافاً، وبالتنوين ونصب نوره، أي: يتمّ الله الحقّ ويبلغه غايته.

و﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ الملة الحنيفية.

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: ليغلبه على جميع الأديان المخالفة له. وعن عليّ عليه السلام: ((والذي نفسي بيده لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشياً))[٣].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن

(١) الكشاف ج٤: ٥٢٥.

(٢) الآية: ٣٢.

(٣) مجمع البيان ج٩-١٠: ٢٨٠ عن العياشي.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ
ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿تُنجِيكُم﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف.

﴿تُؤْمِنُونَ﴾ استئناف، كأنّهم قالوا: كيف نعمل؟ فقيل لهم: تؤمنون، وهو خبر في معنى الأمر، ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾، وفي قراءة عبد الله: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا، وإنّما جيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنّه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين، ومثله قولهم: غفر الله لك ويرحمك الله.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم، والمعنى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ، لأنّكم إذا علمتم ذلك أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبّون من أنفسكم وأموالكم فتفوزون.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم مع هذه النعمة المذكورة الآجلة من المغفرة والثواب والنعيم في الجنّة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثمّ فسّرها بقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وهو فتح مكة، وقيل: فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم[1]. وفي قوله: ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ ذرو من التوبيخ على محبّة العاجل.

---

(١) عن عطاء. معالم التنزيل ج٤: ١٥٥.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ لأنّه في معنى الأمر، فكأنّه قال: آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشّر يا رسول الله المؤمنين بذلك.

وقرئ: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ وأنصاراً لله، والمعنى: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى عليه السلام حين قال لهم: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من أنصاري متوجهين إلى نصرة الله؟ ومعناه: من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله؟.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: نحن الذين ينصرون الله. وإضافة ﴿أَنصَارِيٓ﴾ خلاف إضافة ﴿أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، ولا يصحّ أن يكون معناه: من ينصرني مع الله؛ لأنّه لا يطابق الجواب.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ منهم بعيسى ﴿وَكَفَرَت﴾ به ﴿طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا﴾ مؤمنيهم ﴿عَلَىٰ﴾ كفارهم فظهروا عليهم أي: غلبوا، وقيل: معناه: فآمنت طائفة منهم بمحمّد وكفرت به طائفة، فأصبح المؤمنون غالبين بالحجّة والقهر[١].

(١) عن إبراهيم. تفسير الطبري ج٢٨: ٦١.

سورة الجمعة

مدنية، وهي إحدى عشرة آية.

في حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة الجمعة) أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من الواجب على كل مؤمن أن يقرأ في ليلة الجمعة بـ(الجمعة وسبح اسم ربّك الأعلى) وفي صلاة الظهر بـ(الجمعة والمنافقين)، فإذا فعل ذلك فكأنّما يعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنّة))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ
لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣٠٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾

في قوله: ﴿سَبَّحَ﴾[1] تارة، و﴿يُسَبِّحُ﴾ أخرى إشارة إلى دوام تنزيهه عزّ اسمه في الماضي والمستقبل.

والأميون هم العرب، لأنّهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم، وقيل: (بدأت الكتابة بالطائف، أخذوها من أهل الحيرة [وأهل الحيرة من أهل الأنبار][2])[3]. والمعنى: إنّه بعث في قوم أميين رجلاً أمياً ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من أنفسهم، يعلمون نسبه وأحواله.

﴿يَتۡلُواْ﴾ يقرأ ﴿عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مع كونه أمياً مثلهم، لم يعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم، وقراءة أميّ أخبار القرون الماضية بغير تعلّم على وفق ما في الكتب آية معجزة.

﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ ويطهّرهم من الشرك وأدناس الجاهلية.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ القرآن والشرائع.

﴿وَإِن كَانُواْ﴾ هي (إن) المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، أي: كانوا في ﴿ضَلَٰلٍ﴾ لا ضلال أعظم منه.

﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ [أي: بعثه في الأميين][4] الذين

---

(١) الحشر: ١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٦٩.

(٤) ساقطة من ب.

على عهده ﷺ، وفي آخرين لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد وسيلحقون بهم. وروي: أنّه لما قرأ هذه الآية قيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان فقال: ((لو كان الإيمان في الثريا لناله رجال من هؤلاء))[١]. وقيل: هم الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة[٢]. ويجوز أن يكون نصباً عطفاً على الضمير في ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي: ويعلّمهم ويعلّم آخرين، لأنّ التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان وكان كله مستنداً إلى أوّله فكأنّه عليه السلام تولى كل ما وجد منه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في تمكينه رجلاً أمياً من هذا الأمر العظيم، واختياره إيّاه من بين سائر الخلق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضل الذي أعطاه محمّداً ﷺ وهو النبوّة لكافة الخلق الأولين والآخرين إلى يوم القيامة هو ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَن يَشَاءُ﴾ إعطاءه وتقتضيه حكمته ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على خلقه ببعثه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ وهم اليهود الذين قرؤوها وحفظوها.

﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ بكونهم غير عاملين بها، ولا منتفعين بآياتها، لأنّ فيها صفة نبيّنا ونعته والبشارة به ولم يؤمنوا به.

﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي: كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب، وكذا كل من علم علماً ولم يعمل بموجبه فهذا مثله.

و﴿بِئْسَ﴾ المثل أو بئس مثلاً ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وهم اليهود الذين كذّبوا بالتوراة، أو بالقرآن، أو بآيات الله الدالة على نبوّة محمّد ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم ج٧: ١٩١.

(٢) عن ابن زيد وغيره. تفسير الطبري ج٢٨: ٦٣.

ومعنى قوله: ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: كلفوا علمها والعمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثمّ لم يعملوا بها، فكأنّهم لم يحملوها. وقوله: ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ في محلّ نصب على الحال، أو جرّ على الوصف للحمار، لأنّه مثل اللئيم في قول الشاعر:

وَلَقَدْ أمُرُّ عَلى اللَئِيمِ يَسُبُّنِي[1]

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

﴿هَادُوٓا۟﴾ تهوّدوا وسمّوا يهوداً، وكانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[2] يعني: إن كان قولكم حقّاً ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ وأن ينقلكم الله إلى دار كرامته التي أعدّها لأوليائه.

ثمّ قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾ بسبب ما قدّموه من الكفر، وقد قال لهم

(١) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج٣: ٢٤، وبقيته: فمضيت ثمت قلت لا يعنيني.

(٢) المائدة: ١٨.

النبيّ ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منهم إلا غصّ بريقه))[١]. فلولا أنّهم عرفوا صدق النبيّ ﷺ وأنّهم لو تمنّوا لماتوا من ساعتهم لتمنّوا، ولم يتمنّاه أحد منهم، فكان هذا أحد معجزاته ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى﴾ لا تجرؤون أن تتمنّوه ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لا تفوتونه، والفاء لتضمّن الذي معنى الشرط، يعني: إن رمتم الفرار منه فإنّه ملاقيكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ﴾ الله سبحانه فيجازيكم ﴿بِمَا﴾ تستحقّونه.

والجمعة كان يقال لها العروبة، وقيل: إنّ أوّل من سمّاها جمعة كعب بن لؤي[٢]، وقيل: إنّ الأنصار قالوا: إنّ لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيّام، فهلمّوا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عزّ وجل ونصلي، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة[٣] فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكّرهم، فسمّوه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه، فأنزل الله تعالى آية الجمعة، فهي أوّل جمعة كانت في الإسلام[٤]. فأما أوّل جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فهي أنّه لما قدم المدينة نزل قباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل وأسس مسجدهم، وأقام بها إلى يوم الجمعة، ثمّ خرج عامداً إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم ـ قد اتخذ اليوم هناك مسجد ـ فخطب وصلى

---

(١) دلائل النبوّة ج٦: ٢٧٤.

(٢) الأوائل: ٣٤.

(٣) أسعد بن زرارة بن عدس الانصاري الخزرجي النجاري، قديم الإسلام، شهد العقبتين وكان نقيباً على قبيلته، مات في حياة النبي ﷺ قبل بدر. ينظر: الإصابة ج١: ٣٤.

(٤) مصنف عبد الرزاق ج٣: ١٥٩.

الجمعة[١].

﴿إِذَا نُودِىَ﴾ معناه: إذا أذن لصلاة الجمعة. ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾ أي: فامضوا إلى الصلاة مسرعين [غير متثاقلين][٢]، وقرأ عمر وابن مسعود وابن عباس: فامضوا، وروي ذلك عن أئمّة الهدى عليهم السلام، وعن الحسن: (ليس السعي على الأقدام ولكنّه على النيات والقلوب)[٣]. وفي الحديث: ((إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد، بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب، يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم))[٤].

وكانت الطرقات في أيّام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين إلى الجمعة يمشون بالسرج، وقيل: أوّل بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة، وعن ابن مسعود: أنه بكّر فرأى ثلاثة نفر سبقوه، فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول: (أراك رابع أربعة، وما رابع أربعة بسعيد)[٥].

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلى الخطبة التي تتضمّن ذكر الله.

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ وتجارة الدنيا وبادروا إلى تجارة الآخرة. والظاهر يقتضي أنّ البيع [في وقت النداء فاسد؛ لأنّ النهي يدلّ على فساد المنهي عنه، وكذا جميع التصرّفات، وإنّما خصّ البيع][٦] بالنهي عنه لكونه من أعم التصرّفات في أسباب

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢: ١٥٩.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) الدر المنثور ج٦: ٢١٩.

(٤) صحيح البخاري ج١: ١٦٥ بالمعنى، الكافي ج٣: ٤١٣ باختلاف يسير.

(٥) سنن ابن ماجة ج١: ٣٤٨ ح١٠٩٤ وفيه: ببعيد بدل بسعيد.

(٦) ساقطة من ج.

المعائش.

وفرض الجمعة يلزم جميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر والمرض والعمى، والنساء، والشيوخ الذين لا حراك بهم، والعبيد، ومن كان على رأس أكثر من فرسخين. وعند حصول الشروط لا تجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه للصلاة. ولا تنعقد إلا بثلاثة سوى الإمام عند أبي حنيفة(١)، وبأربعين عند الشافعي(٢)، وبسبعة عند أهل البيت عليهم السلام(٣).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا إطلاق بعد الحظر في الانتشار وابتغاء الرزق مع الوصية بإكثار ذكر الله، وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه؛ لأنّ الفلاح منوط به، وعن ابن عباس: (لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا، إنّما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله)(٤). وعن الحسن وسعيد: (طلب العلم)(٥). وعن الصادق عليه السلام: ((الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت))(٦).

وعن جابر بن عبد الله: (أقبل عير ونحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله الجمعة، فانفضّ الناس إليها، فما بقي غير اثني عشر رجلاً أنا منهم)(٧). وعن الحسن: (قدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة من زيت الشام والنبيّ صلى الله عليه وآله يخطب يوم الجمعة،

(١) المبسوط للسرخسي ج٢: ٢٤.

(٢) كتاب الأم ج١: ١٦٩.

(٣) تهذيب الأحكام ج٣: ٢٠.

(٤) الدر المنثور ج٦: ٢٢٠.

(٥) معالم التنزيل ج٤: ١٥٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج١: ٤٢٤، الكشف والبيان ج٩: ٣١٧.

(٧) أسباب النزول: ٣٠٦.

فقاموا إليه بالبقيع خشية أن يسبقوا إليه، فلم يبق عند النبيّ ﷺ إلا رهط، فنزلت الآية، فقال عليه السلام: ((والذي نفس محمّد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي ناراً))[1]. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق، وهو المراد باللهو، وعن قتادة: (فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير، كل ذلك يوافق يوم الجمعة)[2].

والتقدير: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾ انفضّوا إليها ﴿أَوۡ لَهۡوًا﴾ انفضّوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وعن الصادق عليه السلام: انصرفوا إليها.

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾ تخطب على المنبر ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب على سماع الخطبة والثبات والصلاة مع النبيّ ﷺ ﴿خَيۡرٞ﴾ وأحمد عاقبة.

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣١٧.

(٢) تفسير الطبري ج٢٨: ٦٧.

سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية.

وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة المنافقين) برئ من النفاق))(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ
جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ
مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟
رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾

﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ شهادة يوافق فيها السرّ الإعلان، ويواطئ

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣١٩.

القلب اللسان.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ على الحقيقة.

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ إنّهم ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ في ادعائهم المواطأة، أو كاذبون في قولهم وشهادتهم؛ لأنّها إذا خلت عن المواطأة لم تكن شهادة حقيقة.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا، ويجوز أن يكون قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يميناً من أيمانهم الكاذبة، لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف، وقرأ الحسن: إيمانهم أي: ما أظهروه من الإيمان بألسنتهم.

﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدهم الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. وفي ﴿سَآءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، أي: ذلك القول الشاهد عليهم بأنّهم أسوأ الناس أعمالاً بسبب ﴿أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾، أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والاستجنان بالإيمان، أي: ذلك كله بسبب ﴿أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾، أي: نطقوا بكلمة الشهادة ثمّ ظهر كفرهم بعد ذلك بما اطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمّد حقّاً فنحن حمير! ونحوه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[١]، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[٢]، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثمّ نطقوا بالكفر إذا خلوا بأشباههم ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فجسروا على كل عظيمة.

وكان عبد الله بن أُبيّ رجلاً جسيماً فصيحاً [صبيحاً ذلق اللسان][٣]، وقوم

---

(١) التوبة: ٦٦.

(٢) التوبة: ٧٤.

(٣) ساقطة من ج.

من المنافقين في مثل صفته، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه، فشبّههم الله سبحانه في عدم الانتفاع بحضورهم وإن كانت هياكلهم معجبة وألسنتهم ذلقة، بالخشب المسندة إلى الحائط، أو بالأصنام المنحوتة من الخشب.

والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ لرسول الله، أو لكل من يخاطب.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ كلام مستأنف لا محلّ له، أو في محلّ رفع على هم كأنّهم خشب، وقرئ: خشب و﴿خُشُبٌ﴾، والتحريك لغة أهل الحجاز واحدتها: خشبة، كبدنة وبدن، وثمرة وثمر.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ مفعول ثان، أي: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ واقعة عليهم لجبنهم إذا نادى مناد في العسكر، أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعاً بهم، ويوقف على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويبتدأ ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ أي: الكاملون في العداوة.

﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ ولا يغرّنك ظاهرهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحقّ [تعجّباً من جهلهم وضلالتهم عن الحقّ][١] مع وفور أدلته.

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضاً عن ذلك واستكباراً.قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير.

[﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾][٢] أي: يستوي

---

(١) ساقطة من ج، د.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

استغفارك لهم [وعدم استغفارك لهم][١] لأنّهم لا يعتدّون به لكفرهم، أو لأنّ الله لا يغفر لهم.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾

ازدحم على الماء في غزاة بني المصطلق رجل من المهاجرين ورجل من بني عوف بن الخزرج واقتتلا، فغضب عبد الله بن أُبيّ وقال: والله، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل يعني: بالأعزّ نفسه وبالأذل رسول الله، ثمّ قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضّوا من حول محمّد فسمع بذلك زيد بن أرقم[٢] ـ وهو حدث ـ فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في

---

(١) ساقطة من ج.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد الانصاري الخزرجي، شهد سبع عشرة غزوة مع النبي ﷺ، وشهد صفين مع

قومك، ومحمّد في عزّ من الرحمن ومودّة وقوة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت، فإنّما كنت ألعب، فأخبر زيد رسول الله ﷺ فأرسل إلى عبد الله وقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من ذلك، وإنّ زيداً لكاذب، وذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وقال الحاضرون: يا رسول الله، شيخنا وكبيرنا، لا تصدّق عليه كلام غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعذره ﷺ، وفشت الملامة من الأنصار لزيد، فلما نزلت لحق رسول الله ﷺ زيداً من خلفه فعرك أذنه وقال: وفت أذنك يا غلام إنّ الله صدّقك وكذّب المنافقين، فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك، فلوى رأسه ثمّ قال: أمرتموني أن أومن فآمنت، وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمّد فنزلت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾، ولم يلبث إلا أيّاماً قلائل حتى اشتكى ومات[1].

﴿يَنفَضُّواْ﴾ أي: يتفرقوا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وبيده الأرزاق فهو يرزقكم منها.

﴿وَلَٰكِنَّ﴾ عبد الله وأمثاله جاهلون ﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ أي: الغلبة والقوة ولمن أعزّه الله وأيده. وعن الحسن بن عليّ عليهما السلام: ((إنّ رجلاً قال له: إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيهاً! قال: ليس بتيه ولكنّه عزّة، وتلا هذه الآية))[2].

﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ لا تشغلكم ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ والتصرّف فيها وابتغاء التلذذ بها.

علي عليه السلام، توفي بالكوفة سنة ٦٨هـ. ينظر: الاستيعاب ج١: ٥٥٦.

(١) أسباب النزول: ٣٠٧.

(٢) الكشاف ج٤: ٥٤٣.

﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بما يصلحهم ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في تجارتهم، إذ باعوا الخطير الباقي بالحقير الفاني.

﴿مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ ﴿مِن﴾ للتبعيض أي: أنفقوا الواجب منه.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ فيرى دلائله ويتعذر عليه الإنفاق، ويتحسّر على المنع، ويفقد ما كان متمكّناً منه.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أي: هلا أخّرت موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ إلى زمان قليل ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدّق، وقرئ: ﴿وَأَكُن﴾ عطف على محلّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، كأنّه قيل: إن أخّرتني أصدّق وأكن. وقرئ: وأكون على اللفظ. وعن ابن عباس: (تصدّقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل)(١). وعنه: (ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربّه الكرة فلا يعطاها)(٢). وقيل: نزلت في مانعي الزكاة(٣). وعن الحسن: (ما من أحدكم لم يزك ولم يحج ولم يصم إلا سأل ربّه الرجعة)(٤).

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ نفي للتأخير على وجه التأكيد [الذي معناه منافاة المنفي الحكمة](٥)، والمعنى: إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه [وأنّه

(١) الكشاف ج٤: ٥٤٤.

(٢) تفسير الطبري ج٢٨: ٧٦.

(٣) عن الضحاك. تفسير الماوردي ج٦: ١٩.

(٤) الكشاف ج٤: ٥٤٤.

(٥) ساقطة من ج، د، ط.

هاجم لامحالة][1]، وأنّ الله عليم بأعمالكم، لم يبق إلا المسارعة إلى أداء الواجبات.

وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء، فالتاء على عود الضمير إلى قوله: ﴿نَفْسًا﴾ لأنّه في معنى الجمع.

(١) ساقطة من ج، د، ط.

سورة التغابن

مختلف فيها، وهي ثمان عشرة آية. وفي حديث أُبيّ: ((ومن قرأ (سورة التغابن) رفع عنه موت الفجأة))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة التغابن) في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثمّ لا تفارقه حتى يدخل الجنّة))[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا
فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

---

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣٢٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٨.

لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾
يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ
صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ
ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ على الحقيقة دون غيره لأنّه مبدئ كل شيء ومبدعه، والمهيمن عليه.

﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ دون غيره لأنّ أصول النعم وفروعها منه دون غيره، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمد غيره اعتداد بأنّ نعمة الله جرت على يده.

﴿فَمِنكُمۡ﴾ آت بالكفر وفاعل له ﴿وَمِنكُم﴾ آت بالإيمان وفاعل له والله ﴿بَصِيرٌ﴾ بكفركم وإيمانكم اللذين هما من جملة أعمالكم. والمعنى: هو الذي تفضّل عليكم بأصل النعم الذي هو الإيجاد من العدم، فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح فتكونوا مؤمنين موحدين، فما فعلتم ذلك مع تمكّنكم، بل تفرقتم أمماً ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾، وقدّم الكفر لأنّه الأغلب عليهم والأكثر فيهم.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة.

﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ بأن جعلكم أحسن الحيوان وأبهاه، بدليل أنّ الإنسان لا يتمنّى أن تكون صورته على صورة جنس آخر من الحيوان.

ونبّه سبحانه بعلمه ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثمّ بعلمه ما يسرّه العباد وما يعلنونه، ثمّ بعلمه ذوات الصدور أنّ شيئاً من الكليات والجزئيات لا يعزب عن علمه ولا يخفى عليه، فحقّه أن يتقى ويحذر من معصيته.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب للكفار.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا، وما أعدّه لهم من عذاب الآخرة ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ بأنّ الشأن والحديث ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسل بشراً، ولم ينكروا أن يكون الإله حجراً. والبشر يقع على الواحد والجمع ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[١].

﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أطلق اللفظ ليتناول كل شيء، ومن جملته: إيمانهم وطاعتهم، والمراد: وظهر استغناء الله حيث لم يضطرهم إلى الإيمان مع قدرته على ذلك.

الزعم: ادعاء العلم. وفي الحديث: ((زعموا مطيّة الكذب))[٢].

﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ [أنّهم لن يبعثوا][٣] وسدّ مسدّ مفعولي ﴿زَعَمَ﴾.

﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد (لن) وهو البعث.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يصرفه عنه صارف.

﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ هو القرآن.

وقرئ: نجمعكم، ونكفّر عنه، وندخله بالياء والنون.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أو لـ﴿خَبِيرٌ﴾ لما فيه من معنى

---

(١) يس: ١٥.

(٢) سنن أبي داود ج٤: ٢٩٥ ح٤٩٧٢، وفيه: بئس مطية الرجل زعموا.

(٣) ساقطة من د.

الوعيد، كأنّه قال: والله معاقبكم يوم يجمعكم.

﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأوّلون والآخرون.

﴿ٱلتَّغَابُنِ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً. وعن النبيّ ﷺ: ((ما من عبد يدخل الجنّة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنّة لو أحسن ليزداد حسرة))[١]. وهو معنى ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ فيظهر في ذلك اليوم [الغابن والمغبون، فالتغابن فيه هو][٢] التغابن على الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإن عظمت وجلّت.

﴿صَٰلِحًا﴾ صفة للمصدر، أي: عملاً صالحاً.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن
تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ
أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا
ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

---

(١) صحيح البخاري ج٤: ١٣٩.

(٢) ساقطة من ب.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بتقديره ومشيئته، كأنّه أذن للمصيبة أن تصيبه.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير، وعن ابن عباس: (يهد قلبه للاسترجاع عند المصيبة)[١]. وعن مجاهد: (إن ابتلي صبر، وإن أُعطي شكر، وإن ظلم غفر)[٢]. وعن الضحاك: (يهد قلبه حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه)[٣].

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أزواجاً يعادينكم ويخاصمنكم، ومن ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ أولاداً يعادونكم ويعقّونكم.

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعاً، أي: فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرورهم.

﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة، وتتجاوزوا عنهم، وتستروا عليهم ما فرط منهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يغفر لكم ذنوبكم، ويكفر عنكم سيئاتكم.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء ومحنة وسبب لوقوعكم في الجرائم والعظائم، وقيل: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلى الأموال والأولاد عنها[٤].

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ جهدكم ووسعكم، أي: ابذلوا فيها جهدكم واستطاعتكم.

---

(١) التبيان ج١٠: ٢٣ بالمعنى.

(٢) الكشاف ج٤: ٥٤٩.

(٣) الكشاف ج٤: ٥٤٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج٥: ١٨٢.

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما توعظون به.

﴿وَأَطِيعُواْ﴾ فيما تؤمرون به وتنهون عنه.

﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الوجوه التي تجب عليكم النفقة فيها.

﴿خَيۡرًا﴾ منصوب بمحذوف، والتقدير: ائتوا خيراً لأنفسكم، أي: افعلوا ما هو خير لها وأنفع. وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان أنّ هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد، وما أقبلتم عليه من زبارج الدنيا ولذاتها الفانية.

وذكر القرض تلطف في الاستدعاء.

﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ يكتب لكم بالواحد عشراً أو سبعمائة إلى ما شاء من الأضعاف المضاعفة.

﴿شَكُورٌ﴾ مجاز، أي: يفعل بكم ما يفعله المبالغ في الشكر من الأجر الجزيل والثواب العظيم.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم.

سورة الطلاق

مدنية، وهي إحدى عشرة آية بصري، واثنتا عشرة غيرهم، لم يعدّ البصري: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

في حديث أُبيّ: ((من قرأ (سورة الطلاق) مات على سنة رسول الله ﷺ))[1]، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الطلاق والتحريم) في فرائضه أعاذه الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن، وعوفي من النار، وأدخله الله الجنّة بتلاوته إيّاهما ومحافظته عليهما، لأنّهما للنبيّ ﷺ))[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ
ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ

(١) الكشف والبيان ج٩: ٣٣١.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٩.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

خصّ النبيّ ﷺ بالنداء، وعمّ بالخطاب كما يقال للرئيس المتقدّم في القوم: يا فلان افعلوا كذا، إظهاراً لتقدّمه واعتباراً بأنّه وحده في حكم جميعهم، والمعنى: إذا أردتم تطليق النساء، كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[1]، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾[2] تنزيلاً للمقبل على الأمر منزلة الشارع فيه.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدّتهن، والمراد: أن يطلّقن في طهر لم يجامعن فيه، وهو الطلاق للعدّة، لأنّها تعتدّ بذلك الطهر من عدّتها، والمعنى: لطُهرهن الذي يحصينه من عدّتهن، وهو مذهب الشافعي[3] وأهل البيت عليهم السلام[4].

وقيل: إنّ المعنى: فطلّقوهن مستقبلات لعدّتهن، كقولك: أتيته لليلة خلت من

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) الإسراء: ٤٥.

(٣) كتاب الأم ج٥: ١٦٢.

(٤) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٩ من أبواب الطلاق.

الشهر، فتكون العدّة الحيض، وهو مذهب أبي حنيفة[١].

﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ واضبطوها بالعدد وعدّوها ثلاثة أقراء، وإنّما أمر بإحصاء العدّة لأنّ للمرأة فيها حقّاً، وهو النفقة والسكنى، وللزوج فيها حقّاً وهو المراجعة ومنعها من الأزواج.

و﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ﴾ حتى تنقضي عدّتهن ﴿مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي يسكنها قبل العدّة، وهي بيوت الأزواج، وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى.

﴿وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ بأنفسهن إن أردن ذلك.

﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ قرئ بفتح الياء وكسرها، أي: مظهرة أو ظاهرة، وعن الحسن ومجاهد: (الفاحشة: الزنا)[٢]، وعن ابن عباس: (هي البذاء على أهلها)[٣]، وروي ذلك عن أئمّة الهدى عليهم السلام[٤].

﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ وهو أن يغيّر رأي الزوج ويوقع في قلبه أن يراجعها. والمعنى: فطلّقوهن لعدّتهن وأحصوا العدّة لعلكم ترغبون فيهن بعد الرغبة عنهن فتراجعوهن.

﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو آخر العدّة وشارفنه فأنتم بالخيار فراجعوهن إن شئتم وأمسكوهن بالمعروف والإحسان.

﴿أَوۡ فَارِقُوهُنَّ﴾ إن شئتم بترك الرجعة ﴿بِمَعۡرُوفٖ﴾ بأن تتركوهن حتى

---

(١) المبسوط للسرخسي ج٦: ٥.

(٢) تفسير الطبري ج٢٨: ٨٦.

(٣) تفسير الطبري ج٢٨: ٨٦.

(٤) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٢٣ من أبواب الطلاق.

يخرجن من العدّة فيبنّ منكم.

﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ والظاهر يقتضي وجوب الإشهاد، على ما ذهب إليه أصحابنا في الطلاق(١).

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي: لوجه الله لا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحقّ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الأمر بالحقّ والحث على إقامة الشهادة ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾ المؤمنون.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فطلّق للسنة، واحتاط في إيقاعه على الوجه المأمور، وأشهد عليه ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من كل همّ وضيق ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فتكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق.

ويجوز أن تكون جملة أُتي بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ ويكون المعنى: ومن يتق الله يجعل له مخلصاً من غموم الدنيا والآخرة. وعن النبيّ ﷺ: ((إنّي لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فما زال يقرأها ويعيدها))(٢).

وقرئ: ﴿بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ بالإضافة، وبالغ أمره بالنصب، أي: يبلغ ما يريده، لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً وتوقيتاً، وفيه بيان لوجوب التوكل على الله، لأنّه إذا علم أنّ كل شيء بتقديره وتوقيته لم يبق إلا التسليم لذلك والتفويض إليه.

---

(١) الانتصار: ٢٩٩، الخلاف ج٤: ٤٥٤.

(٢) سنن ابن ماجة ج٢: ١٤١١، ح٤٢٢٠.

﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ فلا يحضن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ فلا تدرون، لكبر ارتفع حيضهن أم لعارض.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ فهذه عدّة المرتاب بها ـ وقدر ذلك بما دون خمسين سنة ـ وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام[١].

﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ أي: لم يبلغن المحيض من الصغائر، والمعنى: إن ارتبتم أيضاً في أنّ مثلها تحيض فعدّتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة المذكور قبل عليه، وقدر ذلك بتسع سنين فما زاد.

﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ وعن ابن عباس: (هي في المطلّقات خاصة)[٢]، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام[٣]. فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدّتهن أبعد الأجلين[٤]، فإن مضت بها أربعة أشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل.

﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ أي: ييسّر عليه أمور الدنيا والآخرة بسبب التقوى.

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يريد: ما علم من حكم المعتدّات، والمعنى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في العمل بما ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾ من الأحكام في الطلاق والرجعة والعدّة، وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من الإسكان والنفقة وترك الضرار ﴿يُكَفِّرۡ﴾ الله ﴿عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ في الآخرة وهو الثواب.

---

(١) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٤ من أبواب العدد.

(٢) تفسير الطبري ج٢٨: ٩٣.

(٣) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٩ من أبواب العدد، تفسير الطبري ج٢٨: ٩٣.

(٤) تهذيب الأحكام ج٨: ١٥٠.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ
وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ
لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ
لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ
فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ
فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا
وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

بيّن سبحانه كيف يعمل بالتقوى في أمر المعتدّات فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بعض مكان سكناكم كما قال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[1] أي: بعض أبصارهم، وعن قتادة: (إن لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه)[2].

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ وتفسير له، كأنّه قال: أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه، والوجد: الوسع والطاقة. والسكنى

(١) النور: ٣٠.

(٢) الدر المنثور ج٦: ٢٣٧.

والنفقة واجبتان للمطلّقة الرجعية بلا خلاف، وعندنا: أنّ المبتوتة[١] لا سكنى لها ولا نفقة[٢]، وحديث فاطمة بنت قيس[٣] أنّ زوجها بتّ طلاقها فقال لها رسول الله ﷺ: ((لا سكنى لك ولا نفقة))[٤] يدلّ عليه.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة.

﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّ﴾ حتى تضطروهن إلى الخروج، وقيل: هو أن يراجعها إذا بقي من عدّتها يومان ليضيق عليها أمرها.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ أي: حوامل، ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ سواء كن رجعيات أو مبتوتات.

﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ يعني: هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولداً منهن أو من غيرهن بعد انقطاع عصمة الزوجية ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فأعطوهن أجرة الرضاع.

﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ يقال: ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً. والمعنى: وليأمر بعضكم بعضاً، والخطاب للآباء والأمهات.

﴿بِمَعۡرُوفٖ﴾ بجميل في إرضاع الولد وهو المسامحة، وأن لا يماكس الأب، ولا تعاسر الأم، لأنّه ولدهما معاً وهما شريكان فيه.

﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ له للأب، أي: سيجد الأب مرضعة غير

---

(١) البت: القطع، يقال: لا أفعله البتة لكل أمر لا رجعة فيه، ويقال: طلّقها ثلاثاً بتة. (الصحاح: مادة بتت)

(٢) ينظر: الوسائل ج١٥ باب ٨ من أبواب النفقات.

(٣) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، كانت من المهاجرات الأُول، وكانت عند أبي عمرو بن حفص المخزومي فطلقها، فتزوجت بعده أسامة بن زيد. ينظر: الإصابة ج٤: ٣٨٤.

(٤) صحيح مسلم ج٤: ٢٠٠.

معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه.

﴿لِيُنفِقْ﴾ كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه، يريد: ما أمر به من الإنفاق على المطلّقات والمرضعات، وهو مثل قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾[1].

﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ هذا موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم، أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصّروا.

﴿وَكَأَيِّن﴾ أي: وكم ﴿مِّن﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ أعرضوا ﴿عَنْ أَمْرِ﴾ ربّهم عتواً وعناداً، وجاوزوا الحد في المخالفة.

﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالاستقصاء والمناقشة.

﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً عظيماً. والمراد: حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال، ويلقون من الخسران، وجيء به على لفظ الماضي كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[2]، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾[3] ونحو ذلك، لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان.

وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للتوعيد، وبيان لكونه مترقباً، ويجوز أن يراد إحصاء السيئات عليهم في الدنيا وهو إثباتها في صحائف أعمالهم، وإعداد العذاب الشديد لهم في الآخرة، وأن يكون ﴿عَتَتْ﴾ وما عطف عليه صفة للقرية، و﴿أَعَدَّ اللَّهُ﴾ جواب لـ﴿كَأَيِّنْ﴾.

﴿رَّسُولًا﴾ هو جبرئيل عليه السلام، أبدل من ﴿ذِكْرًا﴾ لأنّه وصف بتلاوة آيات الله

---

(١) البقرة: ٢٣٦.

(٢) الأعراف: ٤٤.

(٣) الأعراف: ٥٠.

عزّ اسمه، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فلذلك صحّ إبداله منه، أو أريد بالذكر الشرف كما في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1]، فأبدل منه، كأنّه في نفسه شرف، إما لأنّه شرف للمنزل عليه، وإما لأنّه ذو شرف ومجد عند الله، أو أريد ذا ذكر، أي: ملكاً مذكوراً في الأمم، أو دلّ قوله: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾ على أرسل، فكأنّه قال: أرسل رسولاً، أو أعمل ﴿ذِكۡرٗا﴾ في ﴿رَّسُولٗا﴾ أي: أنزل الله أن ذكر رسولاً أو ذكره رسولاً، ويجوز أن يكون المراد على هذا بقوله: ﴿رَّسُولٗا﴾ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعد إنزاله لأنّهم كانوا وقت الإنزال غير مؤمنين، وإنّما آمنوا وأصلحوا بعد الإنزال والتبليغ، أو ليخرج الذين عرف منهم أنّهم يؤمنون. وقرئ: ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ بالياء والنون.

﴿قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ فيه معنى التعجب والتعظيم لما يرزق المؤمن في الجنّة من أنواع النعيم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿مِثۡلَهُنَّ﴾ عطف على ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾، قالوا: ما في القرآن آية تدلّ على أنّ الأرضين سبع إلا هذه الآية.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ أي: يجري أمر الله وحكمه بينهن، ويدبّر تدبيراته فيهن، ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ بالتدبير في خلق السموات والأرض ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الذي أنشأهما وأوجدهما.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لكونه قادراً لذاته.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ لكونه عالماً لذاته.

---

(١) الزخرف: ٤٤.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

سورة ص ٥

سورة الزمر ٣١

سورة غافر ٥٩

سورة فصلت ٨٤

سورة الشورى ١٠٤

سورة الزخرف ١٢٤

سورة الدخان ١٤٩

سورة الجاثية ١٦٢

سورة الأحقاف ١٧٤

سورة محمّد ١٩٠

سورة الفتح ٢٠٨

سورة الحجرات ٢٢٨

سورة ق ٢٤٢

سورة الذاريات ٢٥٧

سورة الطور ٢٧٠

سورة النجم ٢٨٠

سورة القمر.. ٢٩٣

سورة الرحمن.. ٣٠٥

سورة الواقعة.. ٣١٨

سورة الحديد.. ٣٣٣

سورة المجادلة ٣٤٧

سورة الحشر ٣٥٨

سورة الممتحنة ٣٧١

سورة الصف.. ٣٨١

سورة الجمعة.. ٣٨٧

سورة المنافقون.. ٣٩٥

سورة التغابن.. ٤٠٢

سورة الطلاق ٤٠٨

فهرس المحتويات.. ٤١٧